

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية للبنين
الدراسات العليا

٤٢٤

ظاهرة

الغلو في الدين

العصر الحديث

إعداد الطالب

محمد عبد الحكيم محمد أحمد

بحث مقدم

لنيل

شهادة العالمية

(الماجستير)

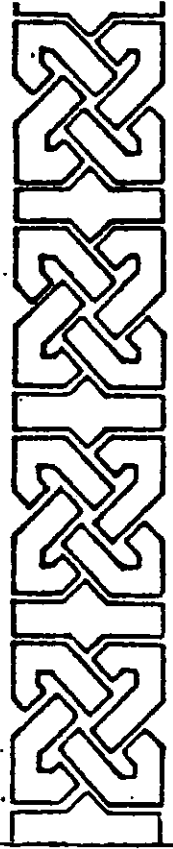
إشراف

الدكتور/ علي بن محمد ناصر الفقيهي

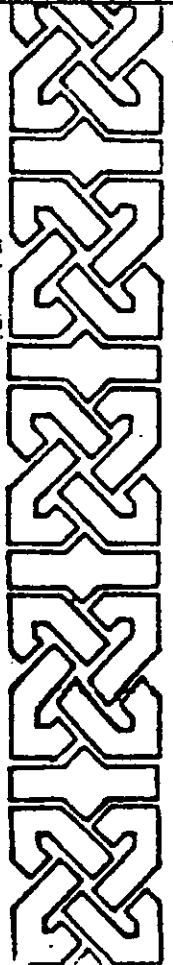


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ
تَلْحُمٍ أَجْزَلٍ يَسْتَوِي
سَوَاءً مِنْ نَجَسٍ وَسَعِي





المقدمة



وتتابعت التوجيهات النبوية تنهى عن الغلو مهما كانت أسبابه ودوافعه
فعمل السعداء بهذه التوجيهات ، ومن أعرض عنها أتعب نفسه والخلق
معهم .

فوجدنا الغلو يقع بدرجات متفاوتة ، في مختلف العصور وذلك
لأسباب متباينة .

وفي عصرنا الحديث نجم الغلو في الدين ، وتطير شروره ، واستفحل
خطره وضرره ، وشكل ظاهرة جليلة في العديد من بلاد العالم الإسلامي
وأصبحت هذه الظاهرة تشغل بال العلماء لخطورتها ، فأخذوا يدرسونها
ويتعرفون على مظاهرها ، ويردون لها أسبابها الجلية والخفية ، ويقدمون
وسائل العلاج الجديدة .

أسباب اختيار الموضوع :

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

* أن هذه الظاهرة مرض واقع نشاهده ونلمسه وهو يحتاج إلى علاج عاجل ، فأحببت أن أدلى بدلوى عسى الله أن ينفع بهذا الجهد التواضع .

* أن هذا المرض ليس محدود الأثر إنما هو ذات خطورة هائلة على أصحابه ، وعلى المجتمع ، وعلى الدعوة فهو ينفذ منها ، ويعرقل سيرتها

وإن مرضاً بهذه الخطورة لجدير بالاهتمام والدراسة والعلاج .

* إن الجهود العلمية الدقيقة البذولة لتحليل هذه الظاهرة ، ودراستها من مختلف جوانبها قليلة جداً .

ومع قلتها ركزت الكلام حول جانب من جوانب الغلو ألا وهو قضية التكفير .

اللهم إلا كتاب : الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف فإنه لس الظاهرة من جوانب متعددة .

وغير ذلك فمقالات معدودة ، ومحاضرات معدودة

لذلك وجدت الميدان في حاجة إلى جهود أخرى فقدت ما عندي ، ولا زال الميدان يحتاج لأن الظاهرة متشعبة تحتاج إلى جهود كثيرة

خطبة البحث :

=====

لقد قست الرسالة إلى ما يلي :

* مقدمة .

* وأربعة أبواب .

* وخاتمة .

* وفهارس الآيات والأحاديث الواردة في البحث ثم الموضوعات التي دار حولها البحث .

١ - المقدمة :

تحدثت فيها عن أسباب اختياري هذا الموضوع ، ومنهجه ، والعقبات التي واجهتني أثناء العمل ، ثم الاعتذار عن كل تقصير مني في جوانب الرسالة ، ثم شكرى وتقديرى لكل من قدم مساعدة لى .

٢ - الباب الأول :

تحدثت فيه عن وسطية منهج الإسلام بين سائر المناهج ثم وضحت مفهوم الغلو ، وتحذير الإسلام منه ثم أقيمت نظره سريعة على تاريخ الغلو لترابط القديم بالحديث ، والماضى والحاضر .

٣ - الباب الثانى :

أقيمت فيه نظرة موجزة على أحوال الأمة الإسلامية فى العصر الحديث لتتعرّف على الظروف التى انبجست فيها الظاهرة ، ثم أخذت فى بيان مظاهر ومعالم الغلو حديثاً .

٤ - الباب الثالث :

تحدثت فيه عن الاسباب والدوافع التي نجمت عنها تلك الظاهرة ، وقسمت
الأسباب إلى قسمين رئيسيين : قسم ترجع مسؤليته إلى الغلاة .
قسم ترجع مسؤليته إلى غيرهم .
ثم ختمت الباب بالحديث عن آثار الغلو الخطيرة على أصحابه ، وعلى المجتمع
وعلى الدعوة .

٥ - الباب الرابع :

تحدثت فيه عن العلاج : فوضعت من هم المسئولون والقادرون على العلاج .
ثم ما هي الوسيلة المجدية في العلاج وأشارت إلى الوسائل غير المجدية
لنجنبها .

ثم وضعت واجب الشباب المصابين .

فهذه هي أركان العلاج الثلاثة :

الطبيب الدواء والمصاب .

٦ - الخاتمة :

تحدثت فيها عن خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصلت إليها

٧ - الفهارس :

قمت بعمل خمسة فهارس :

- * فهرس للآيات حسب ترتيبها في السور وأشرت لمكانها في البحث.
- * وفهرس للأحاديث النبوية حسب ترتيب المعجم ، وأشرت لمكانها في البحث.
- * وفهرس للنقول من شيخ الاسلام ابن تيمية .
- * وفهرس للمراجع .

* وفهرس مفعل للموضوعات التي تناولتها في البحث مع الإشارة لمكانها .

تنبيهات على المنهج :

* لقد حرصت على نقل الآيات القرآنية برسمها العثماني وذلك تعظيماً

للقرآن الكريم ، وتلافياً للأخطاء التي تقع من النساخ ، وتشريعاً للرسالة .

* وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة أثبتها برسمها وضبطها كما هو موجود

في كتب السنة المشرفة .

* عزوت الأحاديث إلى مراجعها التي وردت فيها وذكرت أكثر من مرجع

ليسهل على القارىء الوقوف عليه إذا شاء .

* استخدمت الرموز في العزول لكتب الحديث كما في المعجم المفهرس لألفاظ

الحديث النبوى :

خ : البخارى .

م : مسلم .

د : أبوداود .

ت : الترمذى .

ن : النسائى .

جه : ابن ماجه .

حم : أحمد .

دى : الدارمى .

وقد اعتدت في تخريج أحاديث البخاري على فتح الباري فالعزوي
مكان وروده في الفتح .

أما بقية الكتب فالعزولها مباشرة دون شروحيها .

وعندما أقول : خ / ٧ / ١٠٤ / ١١٩٤ .

فالمعنى : أخرجه البخاري ، في الجزء السابع في الصفحة رقم ١٠٤ ،
ورقم الحديث ٤١١٩ .

فالرقم الأول : للجزء .

والثاني : للصفحة .

والثالث : لرقم الحديث .

٧ - وهكذا في المراجع ذات الأجزاء المتعددة .

الرقم الأول للجزء .

والثاني : للصفحة .

* أحياناً أكرر بعض النصوص في مواضع مختلفة قليلة وذلك لأهميتها
أهمها :

- * الصلة الوثيقة لهذه النصوص بالموضوعات التي وردت فيها .
- * نفاسة هذه النصوص وندرتهما فاستحقت الذكر كلما جاءت مناسبتها
- * ركزت الكلام على جانبي الأسباب والعلاج لأن الكتابات السابقة لـم
- تلمس هذين الجانبين بالقدر الكافي . فكنت أذكر عند الحديث عن كـل
- مظهر من مظاهر الغلوا أسبابه الخاصة به ثم أناقش هذا المظهر وأبين
- محل الغلوفيه تحت أضواء الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة وأقوال
- العلماء الفضلاء ، وأذكر ما ينبغي أن يكون .
- ثم خصصت باباً للأسباب العامة للظاهرة .
- وآخر لطريق علاج الظاهرة بصورة عامة .
- وذلك سداً لبعض الثغرات .

* بالنسبة للحواشي فقد جعلتها سلسلة في كل فصل على حدة
لأسباب فنية خاصة بالطباعة .

* وأخيراً أحب أن أنبه القارئ إلى أمر هام جداً ألا وهو :
استحضار تعدد طوائف الغلاة ، واختلافها ، فما يوجد عند طائفة
من مظاهر الغلوقد لا يوجد عند الأخرى ، وما يوجد من أسباب عند

هذا قد لا يوجد عند تلك .

لكن مجموع المظاهر والأسباب . . يشغلهم مجتمعين ولا يخلون منها .

والرسالة لم أخصها للحديث عن طائفة معينة بالتفصيل والتحليل

إنما هي دراسة عامة للظاهرة من حيث أسبابها ودوافعها ، ومظاهرها

ومعالجتها ووسائل علاجها . كل ذلك من منظور إسلامي .

✽ تفاوت درجات الغلاة : فمنهم الرؤس والقادة ، وهو "لا" داوهم صعب

ومنهم الضحايا والمفررين بهم وهم كثير وهو "لا" هم المقصودون في هذا البحث

بالدرجة الأولى .

العقبات التي واجهتني :

من العقبات التي واجهتني في بحثي ما يلي :

* قلة المؤلفات في هذا الموضوع حيث إنها لا تتجاوز أصابع اليدين ومعظمها في جانب واحد ألا وهو جانب التكفير .

* عدم توفر مؤلفات أصحاب الغلو ، فهي إما مذكرات تتداول بينهم ، أو عند جهات يصعب الوصول إليها . . . فاجتاج الأمر إلى جهد وعناء للوقوف على حقيقة فكرهم ومنطلقاته . . .

* الكتابة في هذا الموضوع تحتاج إلى خيرات طويلة ، وتجارب كثيرة ومعايشة واحتكاك .

وأني لست هذا الرصيد الضخم وأنا في بداية الطريق ؟

فكان لا بد من مضاعفة جهد المسائلة والاستفسار ، والتأمل الدقيق ، والتحليل والاستنباط . . .

اعتذار :
=====

إن هذا الموضوع حساس شائك ، دقيق عميق ، يحتاج إلى لجنة
بل لجان من المتخصصين ليوفوه حقه هذا ما أشعر به وأؤكد .

لذلك فأعتذر عن عدم استقصائي لكل نقطة وجانب من جوانبـــــــــــــــــه
موضحاً ومناقشاً ومعالجاً بالقدر الحاسم .

فإننا أنا فرد ولست لجنة ، وهذا ما سمحت به الظروف .

شكر وتقدير :

أقدم خالص الشكر والتقدير لفضيلة الدكتور / علي بن محمد بن ناصر
الغقيهي على توجيهاته النافعة كما أقدم خالص الشكر والتقدير لكل من قدم
لي نصيحة وأعانني على أخراج هذا البحث .

وأسأل الله لنا جميعا التوفيق والسداد ، والهدى والرشاد .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


الباب الأول

مفهوم الفلوسوفيا و تاريخه



الفصل الأول

تمهيد
ورطبة منج الإسلام



تمهيد :
=====

لقد من الله على البشرية ، وأنعم على الإنسانية
بهذا الدين الذى يكفل لمن اتبعه العزة والسيادة
ويحقق له الفلاح والسعادة .

فَمَنْ آتَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْتَقِرُّ (١)

ولما كان هذا الدين هو الدين الخاتم فقد زوده
الله - سبحانه وتعالى - بمقومات الخلود .

(٢)
فلا يخلق بعد جيل أو جيلين ، ولا قرن أو قرنين . بل
يبقى حياً مالحاً هادياً للبشرية فى كل زمان ومكان .
فهو دين الفطرة الذى ينجم معها ولا يتتامد . ويهذبها
بلا مشقة ولا إغصات ، ويمونها بلا تضيق ولا حرج .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣)

ومما يكفل لهذا الدين الخلود حفظ الله سبحانه وتعالى :

لنقرآن : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ (٤)

وقد قيض الله لسنة نبيه ﷺ من يحفظها

ومن أهم خصائص هذا المنهج الربانى الخالد : توازنه واعتداله
ووسطيته فى عقيدته وشريعته ، وأخلاقه وعبادته ...

(١) طه / ١٢٣ .

(٢) يبلى .

(٣) الروم / ٣٠ .

(٤) العنكبوت / ١٠١ .

ولقد جاء منهجه غالباً من الغلو والتقصير ، والإفراط
والتفريط فكانت أمة الإسلام أمة وسطاً بين سائر الأمم

" قال الله تعالى : **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (٥)

يقول الحافظ ابن كثير :

" والوسط هنا الخيار والأجود .

كما يقال : قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{وسطاً} في قومه ، أي : أشرفهم
نسباً .

ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العمر

كما ثبت في الصحيح وغيرها .

ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع

وأقوم المناهج ، وأوضح المناهج (٦) كما قال تعالى :

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلَةٌ أَيْكُمْ كَثِيرٌ هُوَ وَسَمَّكُمْ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٧)

وسوف نتناول بإيجاز بعض النماذج التي تجل لنا وسطية

الإسلام ، واعتدال منهجه بين سائر المناهج التي استقرت ،

ومادت وقت مجيئه .

(٥) البقرة / ١٤٣ .

(٦) تفسير ابن كثير / ١ / ١٩٠ ط دار المعرفة : بيروت .

(٧) الحج / ٧٨ .

النموذج الأول : الموقف من الأنبياء والدعاة :

لقد نظر الإسلام إلى الأنبياء والعلماء والدعاة نظرة عادلة قويمه لا إفراط بها ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقمير، وأنزلهم منزلتهم اللائقة بهم من غير وكن ولا شطط بعكس نظرة اليهود والنصارى الجائرة .

وإليك موقف اليهود والنصارى والإسلام من الأنبياء والدعاة المصلحين .

أولا : موقف اليهود :

لقد وقف اليهود من الأنبياء موقفاً مشيناً فقمروا في حقوقهم وعاملوهم أسوأ معاملة فكذبوهم وافتروا عليهم ، وأظهدوهم وظلموهم وعذبوهم وقتلوهم .

وأهانوا الدعاة والمصلحين كلما أمروهم بالقسط . ولقد سجل القرآن الكريم تلك المغازى على اليهود .

فقال تعالى : **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَتَقَيْنَا مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَرْسُلِي وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقْنَا كَذِبُكُمْ وَرَفِقَانًا تُلُونُ (٨)**

هكذا موقفهم الدائم ؟ التكريب والقتل لمن يأتي بما

يخالف أهواءهم المنحرفة ، وآراءهم المعوجة .

يقول الحافظ ابن كثير :

" قال الزمخشري ^(٩) في قوله تعالى :

" فريقتا كذبتا وفريقتا تقتلتون "

إنما لم يقل " وفريقاً قتلتن " لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل

أيضاً ، لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم

والسحر . وقد قال عليه السلام في مرض موته :

" ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري " (١١)

قلت - القائل ابن كثير - : وهذا الحديث في صحيح البخاري ،

وغيره " . (١٢)

وبين سبحانه وتعالى موقف اليهود الفظيع من الأنبياء ،

والمطّلعين الذين يدعونهم إلى شريعة العدل فيقول سبحانه :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقِّ

وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١١﴾ (١٣)

(٩) الكشاف / للزمخشري ٨٠/١ - دار المعرفة : بيروت .

(١٠) (خ ٢٣٠/٥ - ٢٦١٧) (حم ٤٥١/٢) .

(١١) (خ ١٣١/٨ - ٤٤٢٨) (حم ١٨/٦) .

(١٢) تفسير ابن كثير ١/١٢٣ .

(١٣) آل عمران / ٢١ : ٢٢ .

(١٤)

هذا هو الموقف الغالب لليهود من الانبياء والعلماء؛ ظلم

واعتداء ، تكذيب وتقتيل .

إنه موقف التقمير والتفريط .

(١٤) إنما قلت الغالب ، لأن القرآن حكى عن اليهود

الإصرار والغلو أيضا كما دعاهم أن عزيزا ابن الله .

قال تعالى : " وقالت اليهود عزيز بن الله " التوبه / ٣٠

ثانياً : موقف النصارى :
=====

• على النقيض من ذلك نجد النصارى •

فإنما كان اليهود قصرُوا وفرطوا ، فإن النصارى قد غالوا
وأفرطوا •

فغالوا في عيسى بن مريم - عليه السلام - حتى رفعوه
إلى مكانة الأوهية وعبدوه فخرجوا بذلك عن المراط
المستقيم إلى الكفر المبين •

قال تعالى : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٥٠﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ
إِلَيْهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥١﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٢﴾ (١٥)

ثم يبين القرآن النظرة السليمة ، والمكانة القويمة ،
والرأى العادل في المسيح وأمه •

الرأى الوسط بين غلو النصارى وتقصير اليهود

فيقول :

” مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَا كَلَانَ الطَّمَامُ
- أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿١٦﴾

ولم يقتصر موقف النصارى على الغلو فى المسيح وأمه بل وسعوا دائرة الغلو حتى أدخلوا فيها أخبارهم ورجالهم فبالغوا فى رفع مكانتهم حتى أعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والاتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه . فكان الأخبار والرجال يحلون الحرام ويحرمون الحلال ويقررون أحكاماً وشرائع ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالطاعة والقبول والرضا .

يقول تعالى :

اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ
وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾

(١٦) المائدة / ٧٥ .

(١٧) التوبة / ٣١ .

قال ابن كثير :

" روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير من طرق عن
عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله
ﷺ فر إلى الشام ، وكان قد تنمر فى الجاهلية
فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله
ﷺ على أخته وأعطاه فرجعت إلى أخيها فرغبتة فى الإسلام وفى
القدوم على رسول الله ﷺ فقدم عدى إلى المدينة
وكان رئيساً فى قومه طيباً وأبوه حاتم الطائى المشهور
بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله
ﷺ وفى عنق عدى طيب من فضة وهو يقرأ هذه
الآية :

" اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ "

قال : نقلت : إنهم لم يعبدوهم .

فقال : " بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلّوا لهم الحرام
فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم "

وهكذا قال حذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس وغيرهما

فى تفسير " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله "

إنهم اتبعوهم فيما حلّوا وحرّموا .

وقال السدى : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء

ظهورهم . ولهذا قال تعالى :

« وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا »

أى : الذى إذا حرم الشئ فهو الحرام • وما حله فهو
الحلال ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ •

« لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » أى : تعالى وتقدس
وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد ،
لا اله الا هو ولا رب سواه • (١٨)

• وتابعت مظاهر غلوهم فى أجازهم وربانهم حتى قرروا
عممة البابا ، وصار ذلك جزءاً من معتقداتهم •

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

« وختام المطمع هو المجمع المتم العشرين المنعقد
فى رومة سنة ١٨٦٩ وفيه أثبتوا العممة للبابا » (١٩)

• ولم يقف غلوهم عند هذا الحد ، فقد سموهم أمواتاً كما
قد سموهم أحياء ، فأقاموا المساجد على قبور أنبيائهم
ومالحيهم وشيدوها وأقاموا الشعائر فيها ، وقدموا
القرابين عندها •••• فكان ذلك سبباً فى لعنهم •

(١٨) تفسير ابن كثير / ٢ / ٣٤٨ : ٣٤٩ •

(١٩) محاضرات فى النمرانيه / محمد أبو زهرة / ١٧٧ دار

الفكر العرسى • القاهرة

«عَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَا:

لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَيْصَمَهُ نَائِلًا عَلَى وَجْهِهِ. فَإِذَا

اِغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ. فَقَالَ، وَهُوَ كَذَلِكَ «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا. (٢١)

عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ، فِيهَا تَصَاوِيرُ،

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«إِنَّ أَوْلِيكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا،

وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ. أَوْلِيكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٢٢)

• هكذا موقف النصارى، فلا عجب إذا علمنا بعد ذلك أنهم
وبعض القوى المعادية للإسلام كانوا وراء تضليل كثير من
جبال المسلمين وإخراجهم عن حد التوسط والاعتدال إلى الغلو
والضلال قديما وحديثا.

(٢٠) ثوب خز أو صوف معلم • كذا في النهاية ٨١/٢

(٢١) (خ ٥٢٣/١ - ٤٢٧) (م ٣٧٦/١ - ٥٢٩ : ٥٣٢) • (ج ٢٩٤/٣ - ٣٢٢٧)

(حم ٢٨٤/٢ ، ٢٨٥)

(٢٢) (خ ٥٢٣/١ : ٥٢٤) (م ٣٧٥/١ - ٥٢٨)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
" والنماری كثيراً ما يعظمون آثار القديسين منهم فلا
يعتبد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر
بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه .
كيف لا ؟

وقد أضلوا كثيراً من جهال المسلمين حتى صاروا
يعمدون أولادهم ويزعمون أن ذلك يوجب طول العمر للولد (٢٣)

ومصدق الله القائل : **وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا
مَنْ عِنْدَ أَنْذُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** (٢٤)

• ذلك هو موقف اليهود والنماری من أنبياء الله ورسله
ومن العلماء والمالحين .
وقد غلب عليه التقمير والتفريط من جانب اليهود والغلو
والإفراط من جانب النماری . وجاء الإسلام ليهدى إلى سوا
السبيل ، ويرشد إلى طريق العدل في الموقف من الأنبياء
والعلماء .

(٢٣) الفتاوى / لابن تيمية / ٤٦٠/٢٧ : ٤٦١ .

(٢٤) البقرة / ١٠٩ .

ثالثاً : موقف الإسلام :

لقد كرم الإسلام الأنبياء فجعلهم في منزلة سامية ،
ومكانة عالية . فأوجب على أتباعه الإيمان بهم جميعاً ،

قال الله تعالى : **عَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ**

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٥)

يقول ابن كثير :

" فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ،
لا اله غيره ، ولا رب سواه ، ويمدقون بجميع الأنبياء ،
والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين
والأنبياء ، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون
ببعض ، بل الجميع عندهم مادقون بارون راشدون مهديون
هادون إلى سبيل الخير ، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة
بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ
خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال
طائفة من أمته على الحق ظاهرين " . (٢٦)

* وعند تكذيب واحد منهم كفراً ولو ادعى الإيمان بالله
ورسله جميعاً إلا ذلك ، فإيمانه هذا زائف لا وزن له ، ولا خير
فيه ، وله في الآخرة العذاب المبين .

(٢٥) البقرة / ٢٨٥ .

(٢٦) تفسير ابن كثير / ١ / ٣٤٢ .

قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٢٧)

يقول ابن كثير :

" والمقصود أن من كفر ببعض من الأنبياء فقد كفر بسائر
الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل
الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشبه تبيين أن
إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو
عن غرض وهوى وعصبية " (٢٨)

• وقد وقع في هذه التفرقة اليهود والنصارى وغيرهم فباءوا
بغضب من الله ، وسلط الله عليهم الذل والمهانة ، أما أمة
محمد ﷺ فأمنت بكل أنبياء الله ورسله فكانت
أسعد الأمم ، فأعظم الله لهم المثوبة . وأجزل لهم العطاء .

١١ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٩)

(٢٧) النساء / ١٥٠ : ١٥١ .

(٢٨) تفسير ابن كثير / ١ / ٥٧٢ .

(٢٩) النساء / ١٥٢ .

• وقد جعل الله نصره وتأييده ، وعفوه ومغفرته ، ونعيم الجنة متوقفاً على أداء الفرائض وعلى رأسها : إتمام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإتيان في سبيل الله ، وإيمان بالرسول ومناصرتهم وتوقيرهم ... فقال سبحانه :

« * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٠) »

• وقد بلغ تعظيم الإسلام للأنبياء في النفوس ، وتوقيرهم في القلوب حداً تامياً ، حيث إن الله سبحانه قد جعل رحمته خاصة بأهل التقوى ، المتبعين نهج الأنبياء السوي ، المناصرين لهم ، الموقرين إياهم ، المنافعين عن دينهم وشرعهم وخصم هذه الفئة بالفلاح والفوز .

فقال عز وجل :

وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَأَسْأَلُكُمُ الْبِرَّ الَّذِي تَلْمِزُونَ وَيُقْرُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

استدراكات لغوية ونحوية

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|-------------------|--|
| ٢ | ٩ | يُردونها لأسبابها | يُردونها إلى أسبابها |
| ٣ | ٦ | إنما هو ذات خطورة | إنما يشكل خطورة |
| ٤ | ١٥ | والماضي والحاضر. | والماضي بالحاضر |
| ١٥ | ٩ | سقط معنى "أبهري" | الأبهر : عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب. |
| ٣٧ | ٥ | شاعت النساء | تحللت النساء |
| ٧٣ | ٥ | نوع | نوح |
| ٨٠ | ٢ | مادة "غلو" | مادة "الغلو" |
| ١٥٥ | ٩ | بما فيهم | بمن فيهم |
| ٢٠٣ | ١١ | نبهنا عن | نبهنا على |
| ٢٠٨ | ١٣ | سقط | "كل حزب بما لديهم فرحون" |
| ٢٢٢ | ٤ | هذه العرضى | هذا المرض |
| ٢٥٢ | ١٤ | نفعاً على الدين | نفعاً للدين |
| ٢٦٣ | ٦ | يذهبن | يذهبن |
| ٣٣٤ | ١٠ | أما الشروط الأول | أما الشرط الأول |
| ٣٤٦ | ٩ | الناس | الناس |
| ٣٤٨ | ٩ | مثل للحكم | مثل الحكم |
| ٣٤٩ | ٥ | شبهته | شبهته |
| ٤٧٧ | | "ديكتاتورية" | تحذف ويكتب "استبدادية" |
| ٥٦١ | ٩ | يظهر | يظن |

الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيحَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاذْبَنُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِزُّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبِعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣١)

* وقد رفع الإسلام مكانة الأنبياء في القلوب
حتى جعل تقديم حب الله ورسوله على كل شيء أول سبب
من أسباب تذوق حلاوة الإيمان .

عن أنس عن النبي ﷺ قال

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،

وأن يحب المرء لا يُحبه إلا الله ،

وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُذفَق في النار » (٣٢)

» عن أنس بن مالك : قال : قال رسول الله ﷺ

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين » . (٣٣)

ومن
عبد الله بن هشام قال « كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر :
يا رسول الله ، أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى
أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنه الآن والله أنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي ﷺ :
الآن يا عمر » . (٣٤)

(٣١) الاعراف / ١٥٦/ ٤ ١٥٧ .

(٣٢) (خ / ٦٠/ ١ - ١٦) . (م / ١ - ٦٦/ ٤٣) .

(٣٣) (خ / ٥٨/ ١ - ١٤ ، ١٥) (م / ١ - ٦٧/ ٤٤) .

(٣٤) (خ / ١١/ ٥٢٣ - ٦٦٣٢) .

■ وقد تهدد الله من يوءثر شيئاً من حطام الدنيا مهتماً
عظماً ومهماً كان محبوباً للنفس .

تهدد من يوءثر شيئاً من ذلك على محبة الله ورسوله
والجهاد من أجل نصرته دينة ، وإعلاء كلمته . وحكم
عليهم بالفسق والفضال والحرمان من الهدى .

فقال تعالى :

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٣٥)

■ وقد أمرنا سبحانه بأمر بدأ فيه بنفسه ، ألا وهو :
الملاة والسلام على خير الأنام ، النبي الخاتم ﷺ ،
وشرع ذلك في شعيرة الإسلام الكبرى (الملاة) وجعل
ذلك من أعظم القربات . (٣٦)

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٣٧)

(٣٥) التوبة / ٢٤ .

(٣٦) انظر كتاب جلاء الافهام في الملاة والسلام على خير الأنام
لابن القيم .

(٣٧) الاحزاب / ٥٦ .

﴿ هذا غيض من فيض مما جاء في الأنبياء ، وتكريمهم
وتشريفهم وتوقيرهم وتعظيمهم ... ﴾
﴿ وإلى جانب هذه الرفعة كان القرآن يركز على شيء هام
، ويذكر به حتى لا تقع الأمة في جبال الغلو .
هذا الأمر هو أنهم يتمفون بما يتمفبه البشر من
الأكل والشرب ، والزواج والإنجاب ، وأن لهم أجلاً معيناً
بعده يلقون الله .

ولنستمع إلى هذه النصوص القرآنية ، ثم للنصوص
النبوية التي تمثل الحصن العام من الغلو وتجاوز الحد .
وهي نصوص تغني بذكرها عن شرحها .

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ ﴾ (٣٨)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۗ ﴾ (٣٩)

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ۗ ﴾ (٤٠)

(٣٨) الفرقان / ٢٠

(٣٩) الرعد / ٣٨

(٤٠) الانبياء / ٤٠

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ (٤١)

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنَّ تِزْنٌ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾

ومن السنة المشرفة نذكر هذا الحديث الجامع لمكانة

النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته العادلة السوية .

قال عليه الصلاة والسلام :

" لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، فانما انا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله " (٤٢)

هكذا الوسطية : رسول : يمدق ويوقر ، يعظم وينمّر

يطاع ويتبع .

عباد : فلا يعبد .

ويمكننا أن نجمل مكانة الأنبياء في الإسلام ، وموقف

المسلمين منهم بأنهم : صفة الله من خلقه

عباد الله المكرمون

والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

(٤١) الكهف / ١١٠ .

(٤٢) الاعراف / ١٨٨ .

(٤٣) (خ) ٤٧٨/٦ - ٣٤٤٥ (حم ١/٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧)

• وننتقل الآن إلى الحديث عن موقف الإسلام من العلماء
والدعاة ...

• فإنه لم يوعر عن أمة من الأمم ، ولا منهج من المناهج
إنما فيه للعلماء والدعاة والمالحين كما نفا منهج الإسلام
وأمنه .

فبين ظلم اليهود وجورهم ، وإفراط النماري وغلوهم ، نجد
عدل الإسلام واعتداله ، وتوسطه واتزانه .

فقد رفع الإسلام شأن العلماء العالمين وأشاد بذكرهم

فقال تعالى :

» يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٤٤)

» ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٤٥)

» إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٤٦)

• وقد أمر الإسلام أتباعه بأن يسألوا علماء فيما
غاب عنهم أو أشكل عليهم .

فقال سبحانه :

» فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٧)

(٤٤) المجادلة / ١١

(٤٥) الزمر / ٩

(٤٦) فاطر / ٢٨

(٤٧) النحل / ٤٣ ، والانبيا / ٧

• وقد حث الله على حب أوليائه ، المستقيمين على منهجه
وتقديرهم ، وأذن من عاداهم فأبغضهم وأذاهم ، أنهم بالحرب
ففى الحديث القدسي:

« عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد
أذنته بالحرب . (٤٨)

• وقد أشاد الله بعمل الدعاء ، الذين يرشدون الناس إلى
طريق الله برفق ورحمة ، وصبر وتحمل .

فقال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا

إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٩﴾

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أُحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا اللَّهُ ذُرِّيَّتًا مِّنْ لَّدُنْهِ يُخَيِّرُ مَنِ ارْتَضَىٰ

ذُرِّيَّةً عَظِيمًا ﴿٥١﴾

• وأوجب الإسلام على أمته إيجاب جماعة تحمل دعوة
الله فتعلم الجاهلين ، وتنبيه الغافلين ، وتدعو إلى الخير
وتؤازره وتنهى عن الشر وتحاربه .

• وعد الله هذه الطائفة أهل الفلاح .

فقال سبحانه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾

(٤٨) (خ ٣٤٠/١١ ، ٣٤١ - ٦٥٠٢) .

(٤٩) فصلت / ٣٣ : ٣٥ .

(٥٠) آل عمران / ١٠٤ .

* وما يشيد بمكانة العلماء والمعلمين قول الرسول الكريم

« ان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وانا ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . (٥١)

* وبجانب هذه الإشادة ، والدعوة إلى التكريم ، أكد الإسلام عدة أمور تعمم من السقوط في مزالق الإفراط هي :

- ١ - الطاعة المطلقة لله ورسوله فقط .
- ٢ - العصمة للنبي فقط .
- ٣ - ما عدا النبي يمسبون ويخطئون ولا يقلل هذا من شأنهم ولا يمحوا حسناتهم ، ولا يبغضهم حقهم ، فيظاعون فيما أصابوا فيه منهج الله ، ويستغفر لهم فيما جانبهم المواب .
- ٤ - عند الاختلاف نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى : **فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٤)

بهذه القواعد سدت طرق الغلو .

فأمة الإسلام لا تقبل قول أحد أو عمله إذا خالف الهدى النبوي بل تردده عليه .

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » (٥٣) .

(٥١) (خ في الترجمة ١/١٥٩) (د ٣/٤٣٢ - ٣٦٤١) .

(٥٢) النساء / ٥٩ .

(٥٣) (خ ٥/٢٥١ - ٢٦٩٧) (م ٣/١٣٤٣ - ١٧١٨) . (ج ١/٧ - ٢٣)

(٥٤) (٤/٢٨٠ - ٤٦٠٦) .

ولا تقبل أمة الإسلام أن يطل أحد - مهما كانت مكانته - شيئاً حرمه الله ، ولا أن يحرم شيئاً حله الله فإن كان مخطئاً مجتهداً - وهو ممن يسوغ له الاجتهاد - فعفو الله يسهه . وإن كان متعمداً فالشرك حكمه .

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ (٥٤)

فحق التشريع لله وحده .

ودور العلماء هو الإيضاح ، والاجتهاد والاستنباط مما يحتمل ذلك .

* نكتفى بهذا القدر من البيان لموقف الإسلام الوسط بين تقصير اليهود الجائرين .

وغلوا النمارى الضالين فى حقوق النبيين والعلماء والمالحين . والله الهادى إلى سواء السبيل .

والآن ننتقل إلى نموذج آخر لوسطية الإسلام فى قضية شائكة تجرعت البشرية بسبب الانحراف فيها كوءوساً مرة .
إنها قضية المادية والروحية .

النموذج الثاني : الموقف من المادية والروحانية .

وقفت البشرية من المادية والروحانية ، أو الدين والدنيا ،
أو الدنيا والآخرة ، أو الجسد والروح ...
وقفت موقفاً مفظرياً بين غالٍ ومقصر وهو على كل حال
انحراف أقلق حياتها ، وتسبب في شقاؤها ...
حتى جاء الإسلام بالميزان العادل ، فوضع كل شيء في
نصابه ، وأعطى كلاً حقه ، فاستقامت الحياة وتحقق الانحجام ،
والاتساق ، واختفى القلق والاضطراب . وسنتاول هنا بإيجاز
أمماً كنماذج على الموقف المتطرف من المادية والروحانية ثم نذكر
موقف الإسلام الوسط .

أولاً : موقف اليهودية .

لقد غلت اليهودية في المادية ، واشتهرت بذلك وغلب عليها
حب الدنيا وإهمال الآخرة . فعرموا على الحياة واعتبروها
كل شيء .

وَلْتَجِدْنِيَّمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعْمِرُ النَّفْسَ
سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمِرَهُ وَاللَّهُ بِصِيرِ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

ولهبشوا وراء الشهوات ، وعبدوها ، وذبخوا الأخلاق والقيم
وقدموها قرابين للشهوات .
وفشا فيهم حب المال ، فتنافسوا وتمسارعواعليه واستخدموا
كل الوسائل البشعة ، والأساليب الجشعة لجمعه ، وضمنوا
بانفاقه في الخير .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُم بِعَذَابِ الْيَوْمِ ﴿٥٦﴾
عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَفُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ (٥٦)

وقال الله تعالى ﴿ فِظَلَمِ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّمِهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿٥٧﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥٧﴾

(٥٨) التوبة / ٣٤ : ٣٥ .

(٥٧) النساء / ١٦٠ : ١٦١ .

وكان لسان حالهم يردد مع قرنائهم .

" وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٥٨)

" وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (٥٩)

ونحن « نقرأ أسفار التوراة الخمسة الحالية ، فلانكاد نجد للروحانية أثراً ، ولانكاد نرى للأخرة مكاناً ، حتى الوعد والوعيد في هذه التوراة للمطيعين والعصاة إنما يتعلقان بأمور دنيوية ، وتكاد تتأثر بها النزعة المادية الخالصة ، فالخصب والمحة ، والثراء وطول العمر ، والنصر على الأعداء ونحوها من المكاسب الدنيوية الحسية العاجلة هي المشوات التي تبشر بها التوراة من نفذ أحكام الناموس ، وأضداد هذه الامور من الجذب والمرض والموت والوباء والفقر

والهزيمة ونحوها للذين يعرضون عن الشريعة .

ويكفى أن نقرأ هذه النصوص من التوراة لنذكر هذه الحقيقة :

" احترموا آباءكم وأمهاتكم لتعمروا طويلاً على الأرض ... اعبسوا ربكم إله الأزل ، وهويبارك خبزكم وماكم ، ويبعد عنكم العليل والأدواء ... وسيطيل أعماركم ... الخ .

إذا أظعمت أمرى وحفظتم وميتى فسأبعث عليكم الأمطار فس

أوتياتها ، فتخرج الأرض ثمرتها والأشجار فاكهتها ... الخ "

فلمن للأجزية الروحية والأخرية مكان في التوراة " (٦٠)

(٥٨) الانعام / ٢٤ .

(٥٩) البطيخه / ٢٤ .

(٦٠) العبادة في الإسلام : د . يوسف القرضاوى / ١٧٥ : ١٧٦ . موعسة الرسالة

بسيروت .

ونتج عن هذه النزعة المادية ونبذ القيم الروحية
المصراع على الحياة ، وإشباع الجسد وشهواته بالحلال
والحرام . وساد الترف والبنخ . وظلمت الشعوب الضعيفة
، ومارت فريسة للماديين الحريصين على الحياة .

وانحطت الأخلاق ، وفشا الغناء ، وشاعت النساء .

وأصبح الماديون أحط من الأعمام .

” وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ : (٦١)

ثانياً موقف النمرانية :

على النقيض من مادية اليهود الوثنيين نجد إهمال
النمارى للحياة وعداوتهم لها ، وتعذيب الجسد وإرهاقه ،
وتحريم الطيبات والزينة .
نجد غلواً فى الجانب الروحى تمثل فى الانقطاع للذكر والعبادة
والملاة والترتيل ، والهروب من الحياة إلى الخلوات والغلوات
وتحريم الزواج ، والتخرج من طيب الطعام ، وإهمال لنظافة
البدن وتقويته

كل ذلك لتزكية النفس ، وسمو الروح لتؤهل لدخول ملكوت
الله !

ولكن هذا دخول للبيت من غير بابيه .

فإذا قلبت النظر فى الإنجيل الحالى ، ورأيت تعاليمه :
" لا تحس أن لك فى الدنيا نميباً ، وأن لك فى طيبات
الحياة خطأ ، ولا تشعروا أن لبدنك عليكم حقاً ، وان لك فى عمارة
الأرض دوراً .

يقول الإنجيل :

" لا يدخل غنى ملكوت السموات حتى يدخل الجمل فى سم الخياط
وقال المسيح لشاب آمن به ودخل فى دينه :

" إذا أردت أن تكون كاملاً فانهب وسع ما تملك وأعطه للفقراء ،

ثم تعال واتبعنى .

وقال لتلاميذه : " وأنتم فلا تبحثوا عما تأكلون وما
تشربون ولا تهتموا لذلك لأن هذه الأشياء إنما يبحث عنها
غير المؤمنين " (٦٢)

واستشرى غلو النصارى ، فابتدعوا نظام الرهبانية :

" ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء

رضوان الله فأرعوها حتى رعائنها " (٦٣)

فجوا بذلك على البشرية ، وعلى الحياة ، وما حققوا مقصودهم
ولا بلغوا غايتهم ، لاصطدامهم مع الفطرة وسنن الله الماضية
ولقد نقل التاريخ أعاجيب للرهبان ، تشمئز منها النفوس
وتقشعر منها الجلود ، وتنخلع القلوب .

ينقل الأستاذ أبو الحسن الندوى عن كتاب (تاريخ أخلاق
أوريا) للموعز " ليكن " نماذج قليلة من جنون الرهبانية فيقول:
" ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً في الدين والأخلاق إلى
قرنين ، وروى المؤرخون من عجائب ذلك ، فحدثوا عن الراهب
ما كاريوس أنه نام ستة أشهر في متنقع ليقرص جسمه العناري
ذباب سام ، وكان يحمل دائماً قنطاراً من حديد .

(٦٢) العبادة في الاسلام / ١٧٦ .

(٦٣) الحديد / ٢٧ .

وكان ماحبه الراهب يوسيبس يحمل نحو قنطارين من
حديد ، وقد أقام ثلاثة أعوام فى بشر نزع .

وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين على رجل واحدة
ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة ، فإذا تعب جداً
أسند ظهره إلى صخرة لـ

وكان بعض الرهبان لا يكتفون دائماً ، وإنما يتمسكون
بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأعمام ، وكان
أكثرهم يمكنون فى مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ،
ويأكل كثير منهم الكلاً والحشيش ، وكانوا يعدون طهارة
الجسم منافيه لنقاء الروح ، ويتأثمون من غسل الأمعاء
وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم فى
النجاسات والدنس .

يقول الراهب اتھينس :

إن الراهب أنتونى لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره ،
وكان الراهب ابراهام لم يمس وجهه ولا رجليه الماء خمسين سنة
وقد قال الراهب الامكندرى بعد زمن متلفاً :

وا أسفاه : لقد كنا فى زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا

بنا الآن ندخل الحمامات .

وكان الرهبان يتجولون فى البلاد ، ويختطفون الأطفال
ويهربونهم إلى الصحراء والأديار ، وينتزعون المبيمان من حـجـور
أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية ، والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً ،

والجمهور والدهما يوعيدونهم ويحبذون الذين يهجرون آباءهم
وأمهاتهم ويختارون الرهبانية ويهتفون بأسمهم .

وعرف كبار الرهبان ومشاهير التاريخ النصراني بالمهارة
فى التهريب حتى روى أن الأمهات كن يمترن أولادهن فى
البيوت إذا رأين الراهب أمبروز .

وأصبح الآباء والأولياء لا يملكون من أولادهم شيئاً وانتقل
نفوذهم وولايتهم إلى الرهبان والقسوس .

وكان نتيجة هذه الرهبانية أن خلال الفتوة والمروءة الستى
كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيسوياً ورفؤائىل ، وزهد الناس
فى البغاشة وخفة الروح والمراحة والسماحة والشجاعة والجرأة
وهجروها .

وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية ،
وعم الكنود والقسوة على الأقارب ، فكان الرهبان الذين
تفيض قلوبهم خاناً ورحمة ، وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد
عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد ، فيخلفون الأمهات كالكلى ،
والأزواج أيا مى ، والأولاد يتامى ، عالة يتكففون الناس ويتوجهون
قاصدين المحراء همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم فى الآخرة ،
لا يباليون ماتوا أو عاشوا ، وحكى "إلىكى" من ذلك حكايات تدمع
العين وتحزن القلب .

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريهن ولا اجتماع بهن ،
وكانوا يعتقدون أن مما دفتن فى الطريق ، والتحدث إليهن ولو كن

أمهات وأزواجاً ، أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية .
وروى " ليكى " من هذه المضحكات المبكيات شيئاً كثيراً " (٦٤)

تلك بعض النماذج من غلو النمرانيه وعداوتها للجسد
والحياة ، وإن كانت بعض هذه النماذج لا تخلو من بعض المبالغات
في حكايتها فغلو القوم مشهور معلوم .

هكذا جنت الرهبانية العاتية على البشرية والحياة ، وقد
كان قصدها مقاومة المادية الجاحمة فأخفقت في ذلك .

وعاشت البشرية مضطربة حائرة تتخبط في ظلمات الغلو والتقصير ،
والإفراط والتفريط ، حتى جاء نور الإسلام ، وأرسى قواعد
العدل ، وأعطى كل ذي حق حقه ، فساد الهدوء والاستقرار .

(٦٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / لأبي الحسن الندوي / ١٦٨: ١٦٩ ط
سنة ١٤٠٢ - دار الكتاب العربي - بيروت .

ثالثاً : موقف الإسلام :

لقد جاء الإسلام لتعمير الحياة في ظل منهج الله ؛ لذلك أنكر على المادية الجامحة، كما شنع بالروحانية الجارفة ؛ لأن كلا منهما يعطدم مع الفطرة اصطداماً عنيفاً .

ثم جاء بنظام يجمع خير الأمرين ليتلائم مع خلوقه وشمولسه

فمن إنكاره على المادية والماديين قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٦٥﴾

وبين حقيقة الدنيا وأنها لا تستحق أن يلهت وراءها

قال الله تعالى : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) (٦٦)

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَيْنَاهَا أَمْرًا نَائِلًا فَأَنْهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٦٧﴾

(٦٥) الإسراء ١٨/٠

(٦٦) الكهف ٤٥/٠

(٦٧) يونس ٢٤/٠

قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٦٨)

• وقد الله علينا العديد من مواقف الماديين العنيدة وكيف

كانت عاقبتهم الوخيمة .

فهذا النمرود ، وهذا فرعون وقارون ، وهذه سبأ ، وهذا

صاحب الجنتين وغيرهم كثير .

كيف جنى عليهم ترفهم وماديتهم ؟

وكيف كان سوء عاقبتهم ؟

• وبجانب الإنكار على الماديه الجامعة نجد التشنيع بالروحية

الجارفة ؛ لأنها تبديد للطاقات البنائة ، وتخریب للحياة ، وكفر

بنعم الله .

فقال تعالى مندداً بالرهبانية وأهلها .

وَرَهْبَانِيَةٌ ابْتَدَعُوا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا (٦٩)

وأنكر على من يحرمون الطيبات فقال تعالى:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٧٠)

(٦٨) النبا ٦ / ٧٧ .

(٦٩) الحديد / ٢٧ .

(٧٠) الاحرف / ٣٢ .

ومدّ تحريم الطيبات اعتداءً فقال سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧١﴾

لقد أنكر الإسلام المادية البحتة ، والروحية المطلقة ،
وجاء بنظام وسط يجمع خير الأمرين ، وأحسن ما عند الفريقين ،
فوازن بين المادية والروحية ، أو الدين والدنيا ، أو الدنيا
والآخرة ، أو الجسد والروح .

فشرع الصلاة والصوم ... لتزكية النفس وتطهير الروح وحث

على الأخلاق الفاضلة .

« مَا شِئْتُمْ أَن تَقُولُوا فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ » (٧٢)

ورغب في العمل للآخرة ، وذكر بأخذ الحظ المعتدل من الدنيا

وَأَبْتِغِ فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأُحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ (٧٣)

وكان الإسلام حكيماً واقعياً في علاجه ، فلم يغفل الجانب
المادى دون مراعاة ، ولا الجانب الروحى بالكلية ، بل هذب كلا
منهما وسواء وقومه ، ووجهه توجيهاً نافعاً " وأبدل الشيء
بالشيء وأعطى النفس حقها من النشاط والترويج . فإن النفوس

(٧١) المائدة / ٨٧ .

(٧٢) (ت ٣٦٢/٤ - ٢٠٠٢ : ٢٠٠٥) (حم ٤٤٢/٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥١)

(٧٣) القصص / ٧٧ .

كما قال عالم من علماء المسلمين لا تترك شيئاً إلا بشيء ، وإن
النفوس قد ظقت لتعمل لا تترك، وإن الأنبياء قد بعثوا بتكميل
الغفرة وتكريرها لا بتبديلها وتغييرها " (٧٤)

فإن الله حرم الزنا وهو مظهر من مظاهر المادية الجامعة ،
وأعطى للشهوة حقها بأن شرع الزواج .

" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٧٥)

" فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ (٧٦)

وحرم الله الربا ، وشرع طريقاً شريفاً للكسب .

" وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (٧٧)

وحرم الرهبانية ، وشرع الصلوات والأدكار والقيام ..

" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ (٧٨)

" تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٧٩)

" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

« إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ . وَيَقُومُ ثُلُثَهُ . وَيَنَامُ سُدُسَهُ .

وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا . » (٨٠)

(٧٤) ما نأ خسر العالم بانحطاط المسلمين / ١٧٠ .

(٧٥) الإسراء / ٤٠٢٢ .

(٧٦) النساء / ٣٠٢ .

(٧٧) البقرة / ٢٧٥٠ .

(٧٨) الحديد / ٢٧ .

(٧٩) السجدة / ١٦ .

(٨٠) (خ ٢٨ / ٣ - ١١٥٣) (م ٨١٢ / ٢ : ٨١٨ - ١١٥١) .

• واليك بعض النصوص القرآنية والنبوية التي تجلى وسطية المنهج

الإسلامي أجلي بيان •

وهي نصوص يغنى ذكرها عن شرحها •

قال تعالى :

﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ خُدُوءًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٨١)

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣١﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ (٨٢)

(٨١) الاحرف / ٣١: ٣٢ •

(٨٢) النور / ٣٦: ٣٨ •

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٣﴾

” إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٨٤)

ومن صفات المتقين أنهم :

” كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ يَمُنُّونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْآيَاتِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِينَ وَالْمَحْرُومِينَ ﴿١٨﴾ (٨٥)

ومن صفات عباد الرحمن :

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٨٦)

ومن آيات الحكمة :

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٨٧﴾ (٨٧)

والآيات في هذا الموضوع كثيرة .

ويحسب بنا أن ننقل هنا باقية من نور النبوة، لنذكر التوازن الرائع

والاعتدال الفائق في التطبيق.

(٨٣) الجمعة / ١٠:٩

(٨٤) لبقرة ٢٢٢

(٨٥) الذاريات / ١٧ ١٩٢

(٨٦) الفرقان / ٦٧

(٨٧) الاسراء / ٢٩

كان من دعائه صلى الله عليه وسلم قوله :
« اللَّهُمَّ ! أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي .
وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي .
وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي .
وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ .
وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » . (٨٨)

وقال لبعض المغالين في العبادة :

أما والله إني لأخشاكم لله وأنفكم له ،
لكنني أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء ،
فمن رغبَ عن سُنتي فليسَ مِنِّي ، (٨٩)

وقال لأحد المغالين في الصيام والقيام والتلاوة على حجاب جسمه

وأهله وضيوفه :

« فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .
وَلِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .
وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » (٩٠)

(٨٨) (م ٢٠٨٧/٤ - ٢٧٢٠) (حم ٣٩٩/٤) .

(٨٩) (خ ١٠٤/٩ - ٥٠٦٣) (م ١٠٢٠/٢ - ١٤٠١) .


(٩٠) (خ ٥٣١/١٠ - ٦١٣٤) (م ٨١٢/٢ : ٨١٨ - ١١٥٩) .

وكان ﷺ يكثر من هذا الدعاء القرآني الجامع:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٩١)

* ونكتفى بهذا القدر من البيان لوسطية منهج الإسلام .
ولقد حرصنا على ذكر هذين المثالين لأنه قد وقع في أمتنا
إفراط وتفريط في هذه الجوانب وغيرها وهي الآن في حاجة
إلى علاج ، وجهود متواصلة بلا كلل ولا ملل ، حتى تبرا من
مرضها وتثوب إلى رشدها .

* ولم يكتفِ الإسلام بتقديمه المنهج الوسط لأبنائه وأتباعه ، بل
حذرهم من الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، ونهاهم عن ذلك، ونفرهم
منه ، وبين العواقب الوخيمة ، والنهاية الأليمة لكل منهما .
وإننا في هذه الرسالة سنتناول الحديث عن الغلو لأنه موضوع
بحثنا .



الفصل الثاني

تحذير الإسلام من الفلوس



أساليب تحذير الإسلام من الغلو

لقد تابعت النصوص القرآنية ، والتوجيهات النبوية
بتحذير أمة الإسلام من الغلو في كافة جوانب الشريعة
بأساليب متنوعة وطرق مختلفة .
وسوف أذكر أهم هذه الأساليب مدعمة بأدلتها من
الكتاب والسنة .

١- التحذير الصريح :

- فمن التحذير الصريح الرادع عن الغلو ما رواه ابن

عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

"إياكم والغلو في الدين، فانما أهلك من كان قبلكم
الغلو في الدين". (١)

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
" وهذا إسناده صحيح على شرط مسلم ". (٢)

- سبب ورود الحديث :

" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته - " ألقط لي

حصى • فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف • فجعل ينفذهن

في كفه ويقول : أمثال هؤلاء فارموا • ثم قال : أيها

الناس • إياكم والغلو في الدين ... الحديث ". (٣)

وسبب ورود الحديث ينبهنا على أمر مهم وهو:

• أن الغلو قد يبدأ بشيء من غير • ثم تتسع دائرته ويتطير

شره ". (٤)

(١) (حم ١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) • (جه ٢ / ١٠٠٨ - ٣٠٢٩) •

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم / لابن تيمية / ١ / ١٠٦ •

(٣) (حم ١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) •

(٤) الصحوة الإسلامية ... د / يوسف القرضاوي / ص ٢٥ ، ٢٦ •

• " وقوله " اياكم والغلو في الدين " عام في جميع أنواع

الغلو في الاعتقادات والأعمال

وسبب هذا اللفظ العام رمى الجمار • وهو داخل فيه فالغلو

فيه مثل رمى الحجارة الكبار • ونحو ذلك ، بناء على أنه قد

بالغ في الحصى الصغار" (٥)

٢ - الاعتبار بالأُم السابقة :

=====

ومن أساليب التحذير من الغلو: الدعوة للاعتبار بالأُم السابقة

ومعرفة أسباب هلاكها ، وضروة اجتنابها •

قال تعالى " فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ " (٦)

وقال سبحانه " لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِيَ الْأَلْبَابِ " (٧)

ومن الأُم التي ضلت وهلكت : النمارى ، وكان من أسباب هلاكها

الغلو في الدين ، وقد تجلّى غلوهم في عدة أمور منها :

١ - تقديس نبي الله عيسى ورفعهُ إلى مكانة الألوهية •

٢ - تعظيم أجدادهم ورهبانهم إلى حد العممة •

٣ - ابتداع نظام الرهبانية •

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم / ١ / ١٠٦ •

(٦) الحشر / ٢ •

(٧) يوسف / ١١١ •

قال تعالى : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا
لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيْلًا ۝ (٨)

ففي هذه الآية " ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو
والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد فـ
عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه
من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه
كما يعبدونه .

بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه
فادعوا فيهم العصمة ، واتبعوه في كل ما قالوه سواء كان حقاً

أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صحيحاً أو كذباً .^(٩)

ولهذا قال الله تعالى :

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ (١٠)

وينهاهم الله سبحانه وتعالى عن الغلو في موضع آخر

يقوله : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ

الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا

كثيراً وضلوا عن سبيل الله (١١)

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" أي لا تجوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتكم

بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجه عن حيز النبوة إلى مقام

الإلهية ، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه

إلهاً من دون الله ، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ

الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً .^(١٢)

(٩) تفسير ابن كثير / ١ / ٥٨٩ : ٥٩٠ .

(١٠) التوبة / ٣١ .

(١١) المائدة / ٧٧ .

(١٢) تفسير ابن كثير / ٢ / ٨٢ .

هكذا هلك النماری والعلّة هي : الغلو في الدين

" وذلك يقتضى أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد عن

الوقوع فيما به هلكوا ، وأن المشارك لهم في بعض

هديهم يخاف عليه أن يكون هالكاً ."^(١٣)

أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه أنه قال : إن

رسول الله ﷺ كان يقول : لا تشدّوا على أنفسكم فيشدّد عليكم ، فإن

قوماً شدّوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ؛ فتلك بقاياهم في الصوامع (١٤٠)

ففي الحديث نهى صريح من الرسول الكريم

عن سلوك سبيل الغلاة ، من التشدد في الدين وبيان سوء

العاقبة .

" والتشديد : تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب

بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات ، وتارة باتخاذ ما ليس

بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات ."^(١٥)

(١٣) اقتضاء الصراط المستقيم / ١ / ١٠٦ .

(١٤) (٤٥ / ٣٨١ - ٤٩٠٤)

(١٥) اقتضاء الصراط المستقيم / ١ / ١٠٣ .

وفى الزهد لابن المبارك من حديث عبدالله بن عمرو
موقوفاً : " إن هذا الدين متين فأغلو فيه برفق
، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المنبت لأرضا
قطع ولا ظهراً أبقى " .^(١٦)

والمنبت : أى الذى عطب مركوبه من شدة السير .

مأخوذ من البت وهو القطع .

أى : صار منقطعاً لم يصل إلى مقصوده ، وفقد مركوبه الذى
كان يوصله لو رفق به .

وقوله : " أو غلوا " من الوغول وهو الدخول فى الشيء " .^(١٧)

فهذه دعوة لأخذ النفس برفق وهى تأخذ وتحمل من تكاليف
هذا الدين حتى تبلغ مقصودها بلا سامة ولا ملل ، ولا تعب
ولا كلل .

فالغالى المشدد على نفسه كثيراً ما يهلك نفسه فتقطع
به عن السير .

لذلك دعا ناس الرسول الأكرم ﷺ إلى التوسط

والاعتدال فى السير حتى تبلغ المقصود ولا ينقطع

(١٦) الزهد / لابن المبارك / ٤٦٩ رقم ١٣٣٤ تحقيق حبيب الرحمن
الاعظمى .

(١٧) فتح البارى / ١١ / ٢٩٧ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« إِنَّ الدِّينَ بُنَى، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا

وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالفئدة والرحمة وشئ من الدلجة » (١٧)

وفى رواية له :

« سدو وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشئ من الدلجة ، القصد

القصد تبلغوا » .

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني :

« قوله : فسددوا » أي الزموا السداد وهو المصواب من غير

إفراط ولا تفريط .

قال أهل اللغة : السداد التوسط في العمل .

قوله : « وقاربوا » أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما

يقرب منه .

قوله : « وأبشروا » أي بالثواب على العمل الدائم وإن قل . (١٩)

(١٨) (خ ١/٩٤ - ٣٩) م ٤/٢١٧١ - ٢٨١٨ .

(ح ٢/٢٤٨) .

(١٩) فتح الباري / ١ / ٩٥ .

يقول النووي :

" والغدوة " : سير أول النهار .
" والروحة " : آخر النهار .
" والدلجة " : آخر الليل .

وهذا استعارة وتمثيل ، ومعناه :

استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم ،
وفراغ قلوبكم ، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون ، وتبلغون
مقصودكم ، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات
ويستريح هو ودابته في غيرها . فيمثل المقصود بغير تعب ،
والله أعلم " .
(٢٠)

وفي قوله ﷺ :

" القصد القصد تبلغوا " إغراء بلزوم طريق الوسط
المعتدل فهو المعين على بلوغ المقصود ، وحصول المطلوب

ويقول الحافظ ابن حجر في قوله ﷺ :

" ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه " أي : لا يتعمق أحد في
الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب .

قال ابن المنير : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة
فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع .

(٢٠) رياض الصالحين / ٧٩ باب الاقصاد في العبادة .

وليس المراد منع طلب الأكل في العبادة فإنه من الأمور
المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملل ، أو المبالغة
في التطوع المفضى إلى ترك الأفضل ...

وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية
فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع ، كمن يترك التيمم
عند العجز عن استعمال الماء فيفيض به استعماله إلى حصول الضرر .
(٢١)

هذه مساوىء الغلو وأضراره : هزيمة وانقطاع
وتلك محاسن الوسط وفوائده : فوز وبلوغ .

٣ - توعده الغلاة بالهلاك:

وقد توعده صلى الله عليه وسلم الغلاة المتنطمين بالهلاك.

فنعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : " هلك المتنطمون " . (٢٢) قالها ثلاثاً .

قال النووى :

" هلك المتنطمون " أى : المتعمقون الغالون المجاوزون

الحدود فى أقوالهم وأفعالهم " . (٢٣)

وقال أيضاً :

" المتنطمون : المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد " . (٢٤)

٤ - وصف الغلو بالاعتداء :

وقد عدَّ الله المبالغة فى الزهد والتقصاف اعتداءً

فقال سبحانه وتعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تُخْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٢٥)

(٢٢) (م ٢٠٥٥ - ٢٦٧٠) . (٤٥ / ٢٨١ - ٤٦٠٨)

(حم ١ / ٢٨٦) .

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى / ١٦ / ٢٢٠ .

(٢٤) رياض الصالحين / ص ٧٨ باب الاقتصار فى العبادة .

(٢٥) الطائفة / ٨٧ .

قال ابن كثير " وقوله تعالى : " واجتنبوا "

يحتمل أن يكون المراد منه : ولا تبالغوا في التضييق
على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من
السلف " (٢٦)

وقال الإمام الشاطبي :

" وسمى الله تعالى الأخذ بالتشديد على النفس اعتداءً " (٢٧)

فقال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٢٨)

فالتحليل والتحريم، والحظر والإباحة من اختصاص الله وحده

قال تعالى :

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٢٩)

فمن استخدم هذا الحق في أي شأن من الشؤون، صغيراً كان

أو كبيراً فقد اعتدى على حق الله .

(٢٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٨٨ .

(٢٧) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٩٥ .

(٢٨) المائدة / ٨٢ .

(٢٩) النحل / ١١٦ .

- سبب نزول الآية :

لقد نزلت هذه الآيات عندما اتجه بعض الصحابة إلى
الخلو في الزهد والتقشف... ليتخلوا للعبادة فحرموا
أكل اللحم ، وحرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم ...
فنزلت الآيات تنهاهم عن هذا السبيل . (٣٠)

٥ - تبرؤ الرسول من الغلو والغلاة :

=====

ومن طرق التحذير الرادعة تبرؤ الرسول ﷺ

من مطلق الغلو والغلاة .

فإنه - ﷺ - لما علم بأن أناساً من أصحابه

عزموا على هجر النساء ، وترك النوم ، ومواصلة الصوم مخضب

ﷺ من هذا النهج وقال :

" والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى : أموم

وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي

(٣١)

فليس مني ."

(٣٠) انظر تفسير الطبري ١٠: ٨/٥ ط الحلبي القاهرة .

(٣١) (ح ١٠٤/٩ - ٥٠٦٣) (م ١٠٢٠/٢م - ١٤٠١) .

(ح ٢٤١/٣ ، ٢٥٩) .

”وسنته عليه الصلاة والسلام - تعنى :

منهجه فى فهم الدين وتطبيقه ، وكيف يعامل ربه - عز وجل - ، ويعامل نفسه وأهله ، والناس من حوله ، معطيًا كل ذى حق حقه فى توازن واعتدال .” (٣٢)

٦ - التحذير من تكفير المسلم :

قد نزل بالمرء قدمه فيعص الله ، ويقمر فى حقوقه وهذا شىء لا يقدر عليه ، بل ينبغى أن يوءدب على ذلك ، وللتأديب وسائله ومقاديره المشروعة فيجب الالتزام بها ، وعدم تجاوزها ، لأن التجاوز ضار غير محمود ، له آثاره الخطيرة المترتبة عليه .

ومن الأمور الخطيرة ، والأحكام القاسية الحكم بتكفير امرئ

وتفسيقه بغير حق .

ونظرًا لخطورة هذا الأمر فقد حذر الرسول ﷺ :

أشد التحذير منه ، وزجر عنه .

(٣٣) الصحوة الإسلامية . . ٢٩/٠٠ .

فقال صلى الله عليه وسلم :

" لا يرمى رجلٌ رجلاً بالفُسوق ، ولا يرمى بالكفر ،

(٣٣)

إلا ارتدَّتْ عايقه ، إن لم يكن صاحبه كذلك »

يقول الحافظ ابن حجر :

" والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول

ذلك لأخيه المسلم . "

" وهذا يقتضى أن من قال لآخر : أنت فاسق أو قال له

أنت كافر ، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف

المذكور .

وإنه إن كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما

قال .

ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً

أن لا يكون آثماً في صورة قوله له أنت فاسق، بل في هذه

الصورة تفصيل :

* إن قصد نصح أو نصح غيره بيان حاله جاز .

* وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحق أذاه لم يجزه، لأنه
مأمور بالستر عليه وتعليمه ، ومظته بالحسن .
فهمنا أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف ،
لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما
فى طبع كثير من الناس من الأئمة لا سيما إن كان
الآمر دون المأمور فى المنزلة .^(٣٤)

٧ - سد الذرائع :

ومن وسائل الإسلام الرائعة فى مقاومة الغلو سد الذرائع
المؤدية إليه ، حتى يبقى الدين وسطاً مافياً لا كدر فيه .
• إن " سد الذرائع " قد حفظ لعقيدة التوحيد نقاءها
ومفادها ، وقوتها ، ويقاها خالدة بهذه القوة والمفاد رغم كل
المحاولات والمؤامرات التى تريد أن تنفذ من هذا السد
المنيع ، والحصن الحصين .

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٥)

(٣٤) فتح البارى / ١٠ / ٤٦٦ .

(٣٥) يوسف / ٢١ .

وسنكتفى هنا بذكر شاهدين على ذلك :

- ١ - نهيه ﷺ عن المبالغة في مدحه وإطرائه .
- ٢ - نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد .

أولا : النهي عن الإطراء :

عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر
« سمعت النبي ﷺ يقول : لا تطروني كما أطرت النصارى
ابن مريم ، فأنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله » (٣٦)
الإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه . قاله أبو السمرات .
وقال غيره :

لا تطروني : أي لا تمدحوني بالباطل ، (٣٧)
أو لا تجاوزوا الحد في مدحي .

نفى هذا الحديث الشريف نهى الرسول الأكرم ﷺ

عن المبالغة في مدحه ، لأنها يبريد إلى الغلو ، ومدحها
للانحراف عن الطريق السوي .

ولنا في تاريخ الأمم السابقة عظات وعبر :

فها هم أولاء النصارى قد هلكوا وضلوا وكان من أسباب ذلك
غلوهم في دينهم ، ومن غلوهم المبالغة في مدح نبي الله عيسى

(٣٦) (خ ٤٧٨ / ٦ - ٣٤٤٥) (حم ٢٣ / ١ ، ٢٤ ، ٤٧) .

(٣٧) تيسير العزيز الحميد / ٢٧٢ .

حتى أضفوا عليه صفات الأوهية وعبدوه .

وهن الحرس الكامل للرسول ﷺ على حماية التوحيد ، مقاومته للمدح والمداحين فمن أنس رض الله عنه " أن أناسا قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا ، سيدنا وابن سيدنا . فقال : يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل " (٣٨)

وقال ﷺ في المداحين :

« إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . - (٣٩)

بهذا النهى الشديد سد الرسول ﷺ طريق الغلو

وينبغي الإشارة في هذا المقام إلى أن النهى عن الاطراء والمبالغة

في المدح لا يعنى التقليل من توقيره ﷺ وتعظيمه .

كلا .. كلا ...

فإن للتوقير معالمه ووسائله المشروعة المعروفة من الحب

(٣٨) (حم ٣ / ١٥٣ ، ٢٤١) (ص ٤٥٢ / ٣٥٢ - ٤٨٠٦)

(٣٩) (م ٤٦٧ / ٢٢٩٧ - ٣٠٠٢) . (ص ٣٥١ / ٤٨٠٤)

(ت ٤٦٩ / ٥٩٩ - ٢٣٩٣) (ج ٢ / ١٢٣٢ - ٣٧٤٢) (حم ٢ / ١٩٤ / ٥ / ٥)

الكامل ، والسير على نهجه ، والتمك بسنته ، والعمل بشريعته
والذب عنها ، والتضحية بكل غال وثمين من أجلها ...
لكن هناك أناساً شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى
التوقير غير المشروع فנסجوا قصائد مطولة وأشعاراً مرسلة
في المديح المجاوز للحد ، الذي لا يرضى به رسول الله

فمن ذلك قول البوصيري في مديح سيد المرسلين

يا أكرم الخلق مالى من ألوز به
سواك عند حلول الحوادث العمم
ولن يفيق رسول الله جاهك بسى
إذا الكريم تحلى باسم منتقم (٤٠)

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم (٤١)

ومن شعر البرعي قوله :

وحل عقدة كرى يا محمد من
هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك فد سكرات الموت تشهونى
كما يهون إذا الأثاس فى معد
وإن نزلت ضريحاً لا أنيس به
فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم موفىها عبدالرحيم ومن
يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعا فأجبه واحم جانبه
من حاسد شامت أو ظالم نكد (٤٢)

(٤٠) ، (٤١) ديوان البوصيري / ٢٣٨

(٤٢) تيسير العزيز الحميد / ٢٢٤ : ٢٢٥

هذه نماذج يسيرة من الإطراء الخارج عن الحد، إذا
سمعها الرسول الأكرم ﷺ أو أحد الأصحاب فسيحس
في وجهه قائلها التراب، وهذا أهون عقاب.

كيف لا ؟

وقد نزع ﷺ عندما سمع أقل من ذلك بكثير
جدا ... فقد روى الطبراني بإسناده عن عبادة بن المامت
رضي
رضي الله عنه :

" انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يوعذني

المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله

من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ :

انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله " (٤٣)

هكذا نزع الرسول ﷺ من هذا اللفظ " نستغيث برسول

الله " وكره أن يستخدم في حقه علما بأنها استغاثة فيما يقدر

عليه وفي حياته .. ومع ذلك أرشدهم الى الادب الكامل في

استخدام الالفاظ . فماذا لو سمع ﷺ إطراء هو لا

الشعراء ؟ اللهم ألهمنا رشدنا .

ثانيا : النهي عن اتخاذ القبور مساجد :

لقد حذر الرسول ﷺ أمته من مزالق تهوى بهم
وتطرحهم عن سوا الصراط .

ومن ذلك : اتخاذ القبور مساجد .

فلقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك نهياً شديداً

وشدد النكير على فاعليه .

فعن جُنْدَبُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ،

قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ

« إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا .

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا .

أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ .

أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ . إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ . » (٤٥)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

(٤٤) (خ ٥٥٨/١ - ٤٦٦ ، ٤٦٧) (م ١٨٥٤/٤ : ١٨٥٦ - ٢٣٨٢ ، ٢٣٨٣

(٤٥) انظر كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد / للشيخ محمد ناصر الدين الالباني .

فلقد حذر الرسول ﷺ من اتخاذ قبور الأنبياء
والمالحين مساجد لأن ذلك يفضي إلى الغلو فيهم وعبادتهم
ولنا في تاريخ الأمم المابقة عظات وعبر • والمعيد من أتعظ
بنخيره ، ومن جرب المجرب فعقله مخرب •

فكيف وقع قوم نوع في الشرك والضلال؟

وماذا هلك اليهود والنصارى ؟

يقول تعالى عن قوم نوح :

” وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ الْمَهْتَكِرُ وَلَا تَدْرُنَّ وِدَا وَلَا

سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٤٦)

قال ابن جرير:

” ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ” كانوا قومًا

مالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا

قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم :

لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فنصورهم

فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا
يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم " (٤٧)

بهذا ظلت الأمم السابقة : تعظيم يفوق الحد، ثم بناء
قبور وعكوف عليها ، ثم عبادة .

وفى هذا العصر وما سبقه من عصور قد وقع من ذلك
الشيء الكثير . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

الفصل الثالث

مفهوم الفانو

أهميه تحديد معنى الألفاظ والمصطلحات :

إن ظاهرة الغلو في الدين من القضايا الشائكة التي تواجه
الأمه الإسلاميه في عصرها الحديث .

وقد تسببت هذه الظاهرة في أضرار بليغة للامة خصوصاً
وأنها تمر بفترة حرجة ، فقد توهنت وجه الصوره الإسلاميه ،
وعرقلت مسيرتها ...

من ثم وجب على الأمة علاج هذه الظاهرة .

• وأن أولى خطوات العلاج هي تشخيص الداء بتحديد معنى هذا
اللفظ وتجليه مفهومه . لأنه بدون هذا التحديد سيبقى الأمر
نهباً يستخدمه كل حسب مصلحته وهواه ، فسيرى أناس بتهمة الغلو
وهم ليسوا غلاة وسيدفع أناس عن أنفسهم تهمة الغلو وهم غلاة
ويبقى المرض ويستمر النزاع .

فلا بد عند معالجة قضية ، أو مناقشة مسألة من تحديد معاني
الألفاظ والمصطلحات المستخدمة ، فإن ذلك يسهل العلاج ويمر
الوصول للحق والصواب .

" فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجمله مبتدعه ومعان
مشتبهه ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ
ونغيها . ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن
يعرف دليله . ولو عرف دليله لم يلزم أن ^{من}خالفه يكون مخطئاً بل
يكون في قوله نوع من الصواب . وقد يكون هذا مصيباً من وجه وقد

(١) يكون الصواب في قول ثالث.

• ولقد وقعت نزاعات - وما زالت - طويلة الويل ، عميقة السيل في مسائل عديدة : كالتوسل ، والاجتهاد والتقليد ، والتكفير ، والتنزيه ... وقد تجرعت الأمة آلاماً مرة ، واشخت بجراحات عدة . والسبب يرجع إلى عدم تحديد معاني الألفاظ والمصطلحات المستخدمة من الأطراف المتنازعة . فهذا يتكلم في واد ، وهذا يتكلم في واد ، وهذا يقصد معنى غير ما يقصده الآخر ، وكلاهما يأتي بأحكام تخالف أحكام الآخر فتتسع هوة الخلاف ، ويتفخم النزاع . فأني يلتقيان ؟ !

ما هو القياس؟

=====

إن تحديد مفهوم الغلو يحتاج إلى مقياس دقيق ، وميزان

علم لا يخفى فيه ولا شطط . فهل عرف الناس يملح مقياساً ؟

بالطبع لا .

لأن أعراف الناس متفاوتة ، وبيئاتهم متباينة ، وترتيبتهم

مختلفة . لذلك فمنهم المتسيب الغارق في شهواته ، والجاهل بدينه

الذي يعتبر إطلاق اللحية وارتداء الحجاب تشدداً . ومنهم من يعتبر

تحذير الأمة من ولاء اليهود والنصارى والشيوعيين ... تعميماً وفتنة

طائفية . ومنهم من يعتبر الدعوة إلى الجهاد تطرفاً . ومنهم من

يعتبر النداء بتطبيق حكم الله رجعية ، ومنهم من يعتبر الحرص

على العلوات الخمس في جماعة غلواً في الدين .

وهناك طائفة أخرى تعد الاكتفاء بالفرائض تفريطاً . وتسوى

بين المغائر والكبائر . ومنهم من يعتبر الأخذ بالرخص الشرعية

تقميراً . وهكذا الناس متفاوتو الأنواق ، مختلفو الأهواء ، لذلك

لا يملحون أن يكونوا مقياساً ، ولا وقع الفساد .

(٢) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ

لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

إذاً فما هو المقياس والميزان لتحديد مفهوم الغلو؟

إنه اللغة والشرع.

هذا هو المقياس القويم الذي لا عوج فيه - المقياس العادل

الذي لا هوى به .

قال تعالى: فَإِن تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣﴾

وهذا الشرع القويم قد نزل بلسان عربي مبين .

قال تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿٥﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أَنْزَلَ بِهِ الرُّوحَ

الْأَمِينُ ﴿٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٨﴾ بِلسان عربي

مبين ﴿٩﴾ ﴿٥﴾

(٣) النساء / ٥٩ .

(٤) يوسف / ٢ .

(٥) الشعراء / ١٩٢ : ١٩٥ .

الغلو في اللغة :

لقد تناولت المعاجم اللغوية مادة " غلو " بالشرح والإيضاح
وسأنقل هنا طرفاً منها ثم أعلق على هذه المعاني .
* قال ابن دريد الأزدي :

" الغلو : ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه ، ومنه قوله
تبارك وتعالى :

" لا تغلوا في دينكم " أي لا تجاوزوا المقدار .^(٦)

* وقال الأزهري :

" غلا في الدين يغلو غلواً ، إذا جاوز الحد " ^(٧)

* وقال ابن زكريا :

" تغالى لحم الدابة ، إذا انحسر عنه وبره ، وذلك لا يكون
إلا عن قوة ومن وعلو " ^(٨)

* ويقول صاحب لسان العرب :

" أصل الغلاء : الارتفاع ، ومجاوزة القدر في كل شيء . وغلا

(٦) جمهرة اللغة / لابن دريد الأزدي / ٣ / ١٥٠ دار صادر : بيروت .

(٧) تهذيب اللغة / للأزهري / ٨ / ١٩٠ .

(٨) معجم مقاييس اللغة / لابن زكريا / ٤ / ٣٨٨ تحقيق عبد السلام
هارون ط ٢ سنة ١٣٩١ . الحبي . مصر .

فى الدين والأمر يغلو غلواً : جاوز حده وفى التنزيل " لا تغلوا
فى دينكم "

وفى الحديث الشريف : " إياكم والغلوفى الدين " أى : التشدد
فيه ، ومجازة الحد .

* وقال ابن سيوه :

غلت الدابة فى سيرها غلواً واغتلت : ارتفعت فجاوزت حن السير
والافتلاء : الإصرار . وغلابالجرية والغلام عظم غلواً :
وذلك فى سرعة شبابهما ، وسبقهما لداتهما . (٩) وهو من التجاوز .
(١٠)

* وفى المصباح المنير :

" غلا فى الدين غلواً من باب قعد : تملب وتشدد حتى جاوز
الحد . " (١١)

* وقال الفيروز آبادى :

" غلا فى الأمر غلواً : جاوز حده . وبالسهم غلواً :
رفع يديه لأقصى الغاية .

(٩) لداتهما : أقرانها .

(١٠) لسان العرب / لابن منظور / ١٥ / ١٣١ : ١٣٤ / دار صادر : بيروت .

(١١) المصباح المنير / للفيومي / ٤٥٢ / تحقيق د . عبدالعظيم الشناوى /
دار المعارف . مصر .

(١٢) فلا السهم : ارتفع في نهايه وجاوز المدى .

* ويقول، الراغب الاصفهاني :

" غلا : الغلو : تجاوز الحد . يقال ذلك إذا كان في السعر
غَلَاءً ، وإذا كان في القدر والمنزلة : غُلُو ، وفي السهم : غلوا
قال تعالى :

" لا تغلوا في دينكم "

(١٣) والغلواء : تجاوز الحد في الجراح وبه شبه غلواء الشباب

* وفي النهاية لابن الاثير :

" غلا " فيه : اياكم والغلو في الدين " أي : التشدد فيه
ومجاوزة الحد . كحديثه الآخر : " إن هذا الدين متين فأوغل
فيه برفق " . وقيل معناه البحث عن بواطن الأشياء ، والكشف عن
عللها ، وغوامض متعبداتها .

ومنه الحديث : " وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجاني عنه .

إنما قال ذلك لأن من أخلقه وآدابه التي أمر بهاء القصد في الأمور

(١٢) القاموس المحيط / للفيروز آبادي / ٤ / ٣٧٣ .

وانظر ترتيب القاموس المحيط / للطاهر أحمد الزاوي / ٣ / ٤١٤ ط ٢
/ الحلبي . القاهرة .

(١٣) المفردات في غريب القرآن / للراغب الاصفهاني / ٣٦٤ : ٣٦٥ تحقيق
محمد سيد كيلاني / الحلبي . القاهرة .

وخير الأمور أوساطها ، و

كلا طرفي قمد الأمور ذميم

ومنه حديث عمر : " لا تغالوا صدق النساء " وفي رواية : " لا

تغلوا في صدقات النساء " أي : لا تغالوا في كثرة المداق .

وأصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء .^(١٤)

(١٤) النهاية / لابن الاثير / ٣ / ٣٨٢ تحقيق طاهر احمد الزاوي ،، ومحمود محمد الطناحي / الحلبي القاهرة .

تعليق :

=====

تلك طائفة من أقوال أهل العلم من اللغويين في بيان معنى

الغلو . وهي تلتقى على إفادة عدة معان :

الارتفاع الزائد في مجاوزة الحد ، التشدد ، المبالغة

والإسراع .

ومن هذه التعريفات ندرك السمات التالية للغلو :

- ١ - الشذوذ عن القانون المعهود . " غلابا بجرية والغلالم عظم .. "
- ٢ - الشدة والشذوذ في المظهر . " تعالى لحم الدابة .. "
- ٣ - الاندفاع وعدم ضبط النفس : " الاغتلاء : الإسراع .. "
- ٤ - الخروج عن القصد الحسن ، والسير المعتدل .. " غلت الدابه في سيرها .. "
- ٥ - التكلف " غلابا بالسهم .. "
- ٦ - الفشل في إمامة الهدف ، وتحقيق المقصود : " غلابا بالسهم .. "

الغلوف في الشرع :

=====

لقد ورد ذكر الغلوف في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى

الله عليه وسلم ، فقال سبحانه :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (١٥)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ (١٦)

(١٧) وقال صلى الله عليه وسلم : " إياكم والغلوف في الدين ... "

ومن الجدير بالذكر أن أشير إلى أن الغلوف قد عبر عنه في بعض

الأحاديث : " بالتنطع " و " التشدد " .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا . (١٨)

قال النووي :

(١٩) " المتنطعون : المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد "

(٢٠) وقال أيضا : المتعمقون الغالون المبالون في أفعالهم وأفعالهم "

(١٥) النسائي / ١٧١ .

(١٦) المائدة / ٧٧ .

(١٧) (حم / ١ / ٢١٥ ، ٢٤٢) .

(١٨) (م / ٤ / ٢٠٥٥ - ٢٦٧٠) .

(١٩) رياض الصالحين / للنووي / ص ٧٨ . باب الاقتصاد في العبادة .

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووي / ١٦ / ٢٢٠ ط ٢ سنة ١٣٩٢ سنة ١٩٧٢ .

بيروت .

وعن أنس بن مالك رضى الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيشددَ عليكم، فإن

قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ؛ فتلك بقاياهم في الصوامع (٢١)

بناءً على ما سبق يمكن تعريف الغلو في الاصطلاح بأنه :

" مجاوزة حدود ما شرعه الله بقول أو فعل أو اعتقاد "

نماذج توضيح التعريف :

=====

١ - من القول المجاوز حدود ما شرعه الله : قول البدعي :

يا سيدى يا رسول الله يا أملى

يا موئلى يا ملاوى يوم يلقانى

هبنى بجاهك ما قدمت من زلل

جودا ورج بفضل منك ميزانى

واسمع دعائى واكشف ما يساورنى

من الخطوب ونفس كل أحزانى

فأنت أقرب من ترجى عواطفه

عندى وإن بعدت دارى وأوطانى

إنى دعوتك من بيا بتى برع

وأنت أسمع من تدعوه ذو شأن

فامنح جانى وأكرمنى وطنسبى

(٢٢)

برحمة وكرامات وغفران

فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه مشروع فى

الأصل كما فى قوله تعالى : " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ " (٢٣)

ولكن هذا الرجل جاوز الحدود فى المدح والإطراء، وبالغ فأضفى

من صفات الأئوهيه على الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٢) تيسير العزيز الحميد / ٢٢٥ .

(٢٣) القلم / ٤

٢ - من الفعل المجاوز حدود ما شرعه الله : دوام الصيام والقيام .. الموعدى لإهمال حقوق النفس والأسرة والمجتمع ..
فاله سبحانه شرع الصيام والقيام بقدر لا يرهق النفس

بحيث لا يكون على حساب الحقوق الأخرى .

يتجلى ذلك فى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله

ابن عمرو :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
« أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ » قُلْتُ : إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ .
قَالَ « فَإِنَّكَ ، إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، هَجَمْتَ عَيْنَاكَ . وَتَفَهَتْ نَفْسُكَ .
لِمَنِّكَ حَقٌّ . وَلِنَفْسِكَ حَقٌّ . وَلِأَهْلِكَ حَقٌّ . ثُمَّ وَنَمَّ . وَصُمَّ وَأَفْطِرْ » . (٢٤)

٣ - ومن الاعتقاد: تكفير أصحاب المعاصي . والحكم على أصحاب

الكبائر دون الشرك الأكبر بالخلود في النار .

فالإسلام نهى عن المعاصي صغيرها وكبيرها ، وذم أهلها ،

وتوعدهم ، لكنه لم يقض بتكفير كل من ارتكب معصية ،

ولم يحكم بالخلود في النار على مرتكبي الكبائر من أهل

القبلة . اللهم إلا الشرك الأكبر .

قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (٢٥)

فمن كفر كل من ارتكب معصية ... فقد بالغ في الذم وجاوز الحدود .

وأحب أن أختتم هذا المبحث بتعريف قيم لشيخ الإسلام ابن تيمية

قال : " والخلو : هو مجاوزة الحد ، بأن يزداد في حمد الشيء

أو ذمه على ما يستحق ، ونحو ذلك " . (٢٦)

(٢٥) (النساء / ٤٨ ، وأيضا ١١٦ .

(٢٦) اقتضاء الصراط المستقيم . . لابن تيمية / ص ١٠٦ .

فمن بالغ في مدح المالحين من العلماء أو الأمراء حتى
أخرجهم إلى حيز العممة أو النبوة أو الإلهية فقد غلا.
ومن كفر أصحاب المعاصي فقد غلا.

* بعد أن عرفنا مفهوم الغلو في اللغة والشرع نحب أن نلقى
نظرة عابرة على صفحات من تاريخ الغلو لتتعرف على أبرز معالمه
بإيجاز ، وذلك قبل الشروع في الحديث عن :
" ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث "
وهو موضوع البحث .

والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.



الفصل الرابع

العارف في العصر النبوي



الغلو في العصر النبوي :

لقد عاش الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضی الله عنهم الإسلام على أفضل وجه وأقومه ، وقدموا لنا صورة مثالية فريسة في تطبيق منهج الله بتوازنه واعتداله ، وشموله وكماله ... واستحقوا بذلك أن ينالوا شرف خيرية هذه الأمة .

قال رسول الله ﷺ « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم (١) »

غير أنه قد وقعت بعض المواقف الفردية المعدودة من بعض الصحابة تشير إلى الاتجاه إلى سبيل الغلو ، والتشدد في الدين عن رغبة صادقة للزيادة من الخير .

ولكن الرسول الكريم كان لهم بالمرصاد ، فردهم عن هذا السبيل ، وقوم هذا العوج ، وصحح نظرتهم ، وأرشدتهم إلى سبيل الاعتدال الخير القويم ، فاستجابوا وأطاعوا ، كل ذلك بأسلوب حكيم .

وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل إن شاء الله .

(١) (بخ ٢/٧ - ٣٦٥٠) (م ١٩٦٢/٤ : ١٩٦٥ - ٢٥٢٣ : ٢٥٢٦) (ت ٦٩٥/٥ - ٢٨٥٩) (ص ٢٩٧/٤) (٤٦٥٧) (جم ١٥٦/٦) .

النموذج الاول : الثلاثة الرهط .

عن أنس رضي الله عنه قال :

« جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ

فلما أخبروا كأنهم تقالوها ،

قالوا : وابنِ نحنُ من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال أحدُهم : أنا أنا فأنا أصلُ الليل أبدا

وقال آخر : أنا أصومُ الدهرَ ولا أنظر .

وقال آخر : أنا اعتزلُ النساءَ فلا أتزوجُ أبدا .

فجاء رسولُ الله ﷺ فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأنفاكم له ،

لكنى أصومُ وأنظر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوجُ للنساء ، فمن رغبَ من سُنتي فليسَ مني ، (٢)

فهذا موقف من مواقف الغلو يطى لنا سبب هذه النزعة :

وهي الرغبة المادقة في التزود من الخير التي دفعتهم للسؤال

عن أسلوب النبي ﷺ في عبادته ، فلما علموا ، رأوا أن

ذلك قليل فقالوا ما قالوا .

(٢) (خ ١٠٤/١ - ٥٠٦٣) (م ١٠٢٠/٢ - ١٤٠١)

(حم ٢٤١/٣ ، ٢٥٩)

لكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه :

• فأعلن على الملأ إنكاره لهذا الاتجاه الغالى ولم يذكر أسماؤهم

ثم استدماهم وخطبهم فيما بينه وبينهم •

ففى رواية البخارى " أنتم الذين قلتُم "

وعند مسلم : " ما بال أقوام قالوا كذا "

" ويجمع بأنه منح من ذلك عموماً جهراً مع عدم تعيينهم ، وخصوصاً

فيما بينه وبينهم رفقاء بهم وستراً لهم " (٣)

• وصح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه ، فبين أنها ليست

بالتطلع من أعمال والتفريط فى أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة

بين جميع مطالب الله •

" فالعلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدراً من مجرد

العبادة البدنية " (٤)

ثم أطلقها عالية زاجرة : " فمن رغب عن سنتى فليس منى " •

(٣) فتح البارى ١٠٥/١

(٤) المصدر السابق : ١٠٦/١

نموزج آخبر : عبدالله بن عمرو بن العاص

" وعن أبي محمد عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله

عنهما قال : أخبر النبي ﷺ أنى أقول :

والله لأصوم النهار ، ولأقوم الليل ما عشت ، فقال

رسول الله ﷺ :

" أنت الذى تقول ذلك ؟ "

فقلت له : قد قلته بأبى أنت وأمى يا رسول الله .

قال : فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم ، وقم ، وصم
من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحنة بعشرة أمثالها ،
وذلك مثل صيام الدهر "

قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك .

قال : فصم يوماً وأفطر يومين .

قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك .

قال : فصم يوماً وأفطر يوماً ، فذلك صيام داود . وهو أعدل الصيام
فقلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا أفضل من ذلك " .

ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول الله ﷺ

أحب إلى من أهلى ومالى .

وفى رواية :

" ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ "

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم فإن لجسدك عليك حقاً

وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لزورك^(٥) عليك

(٥) الزور : جمع زائر ، كوكب وراكب (النهاية ٣١٨/٢)

حقا ، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك

بكل حسنة عشر أمثالها ، فإن ذلك صيام الدهر

فشددت فشدد علي ، قلت : يا رسول الله ، إنى أجِدقوة

قال : مم صيام نبي الله داود ولا تزدد عليه .

قلت : وما كان صيام نبي الله داود .

قال : نصف الدهر .

فكان عبد الله يقول بعدما كبر : يا ليتنى قبلت رخصة

رسول الله ﷺ .

وفى رواية :

" ألم أخبر أنك تصوم الدهر ، وتقرأ القرآن كل ليلة؟ "

فقلت : بلى يا رسول الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير .

قال : " نعم صوم نبي الله داود ، فإنه كان أعبد الناس ، وأقرأ

القرآن في كل شهر . "

قلت : يا نبي الله ، إنى أطيق أفضل من ذلك .

قال : " فاقرأه في كل عشرين . "

قلت : يا نبي الله ، إنى أطيق أفضل من ذلك .

قال : " فاقرأه في كل سبع ولا تزدد علي ذلك . "

فشددت فشدد علي .

وقال لي النبي ﷺ : " إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر . "

قال : فمضت إلى الذي قال لي النبي ﷺ ، فلما

كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ

وفي رواية :

قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، وكان يتعاهد كنته (٦)

فيألفها من بعلمها ، فتقول له نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا

فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها .

فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال " القنى

به " فلقيته بعد ذلك فقال :

كيف تموم ؟

قلت : كل يوم .

قال : وكيف تختم (٧)

قلت : كل ليلة . وذكر نحو ما سبق .

• وهذا موقف آخر لشاب صالح تقى ، أشرب قلبه حب الله

وذاق حلاوة الوقوف بين يديه ، فأسهر ليله ، وأظلم نهاره

وزهد في الدنيا ولذاتها وبالغ في ذلك .

وكان السبب في هذا الملك كما يقول :

" ولم أرد بذلك إلا الخير " .

(٦) كنته : أي امرأة ابنه (النهاية ٢٠٦/٤) .

(٧) (خ ٢٨/٣ - ١١٥٢) (م ٨١٢/٢ : ٨١٨ - ١١٥٩)

ولكن الرسول ﷺ كانت عينه ساهرة اهتماماً بشئون
أمته فلم يقره على هذا المسلك برمته بل هذب هذه النزعة
حتى توغى ثمارها ، كسل ذلك بأسلوب حكيم وإليك معالمه :
١ - بين ﷺ له أن الفطرة الإنسانية والطبيعة
البشرية لا تتحمل ذلك دوماً ، نعم قد تتحمله فترة ولكن
تحدث بعد ذلك انتكاسة ، ولنا في تاريخ الرهبان عبرة
وفي هذه القصة أيضاً .

وهذا التوجيه النبوي مأخوذ من قوله : " فانك لا تستطيع
ذلك ... "

٢ - ونبيه ﷺ إلى مخذور خطير ، فالمبالغة في العبادة
يحبها غالباً تقصير في حقوق أخرى كثيرة ، فأين حق

الجهاد؟

وأين حق الزوجة والأولاد ؟
وأين حق الضيوف والزوار؟
وأين حق الجسد ليواصل العبادة ويقوم بأعباء
الحياة؟

قال الحافظ ابن حجر : " قال الخطابي :

" محل قصة عبدالله بن عمرو أن الله تعالى لم يتعبده
عبده بالصوم خاصة ، بل تعبده بأنواع من العبادات ، فلو
استفرغ جهده لقصر في غيره ، فالأولى الإقتصاد فيه

ليستبقى بعض القوة لغيره ، وقد أشير إلى ذلك

بقوله ﷺ في داود عليه السلام .

" وكان لا يفر إذا لاقى " لأنه كان يتقوى بالفطر لأجل

(٨)

الجهاد ."

٣ - لقد استطاع ﷺ أن يهذب هذه النزعة الجارفة

فوقف أمام جموحها ، لكنه لم يكتبها ويقتلها بل

قومها وهذبها لتمتطيع مواصلة الطريق بلا انقطاع .

فعرض ﷺ على عبدالله أن يعوم ثلاثة أيام من

الشهر . ثم صيام يوم وإفطار يومين . ثم صيام يوم

وإفطار يوم . ولم يسمح له بأكثر من

ذلك .

وسدقت نظرة الرسول ﷺ عندما بين أن الطبيعة البشرية

لا تطيق مسلك الغلو .

(٨) فتح الباري / ٤ / ٢٢١ .

فها هو ذا عبدالله رضى الله عنه يعلنها عظة واعتباراً لكل
من تصول له نفسه أن يغالى ، فيقول نادماً :

” ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول الله
أحب إلى من أهلى ومالى ” .

” يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ ”
” فشددت فشدد على ” .

ونختم الكلام على هذا الحديث بدرر ثمينة للحافظ
ابن حجر العسقلانى فيقول :

” وفيه - أى فى الحديث من الفوائد - :

تفقد الإمام لأمر رعيته كلياتها وجزئياتها ، وتعليمهم
ما يملحهم ، وأن الأولى فى العبادة تقديم الواجبات على المندوبات
وأن من تكلف الزيادة على ما طبع عليه يقع له الظل فس
الغالب . وفيه الحصن على ملازمة العبادة لأنه ﷺ

مع كراهته له التشديد على نفسه حفه على الاقتصاد ، كأنه قال
له : لا يمنعك الاشتغال بحقوق من ذكر أن تضيع حق العبادة وتتسرك
المندوب جملة ، ولكن اجمع بينهما ” .
(١)

(١) فتح البارى : ٣/٣٩٠

نموذج آخر: أبو اسرائيل .

« عن ابن عباس قال :

يَقْبَأُ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَامَ فَسَأَلَ عَنْهُ

فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مُرَّةٌ فَلْيَتَكَلَّمْ ، وَلِيَسْتَظِلَّ ، وَلِيَقْعُدْ وَلِيَتِمَّ صَوْمُهُ » (١٠)

إن الرسول ﷺ راعه ذلك المنظر أثناء خطبته

والناس قعود : رجل قائم في الشمس فعجب من هذا المملك

المنافى لرفق ويسر الشريعة السمحة ، فأمر بتقويمه .

” فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ”

فأله غنى عن مشقة هذا التي لا فائدة وراءها . وأقره على

ما فيه فائدة ولا مشقة معه ” الصوم ” .

يقول ابن حجر : في الحديث من الفوائد :

” أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو ما لا مما لم يضر

بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس

هو من طاعة الله فلا ينعقد به النذر . فإنه ﷺ أمر

أبا اسرائيل بإتمام الصوم دون غيره وهو محمول على أنه لا يشق
عليه ، وأمره أن يقعد ويتكلم ويستظل . (١١)

(١٠) (نخ ٥٨٦ / ١١ - ٦٧٠٤) . (٣١٨ / ٣٥ - ٢٣٠٠) (جه ١ / ٦٩٠ -

٢١٣٦) (حم ٤ / ١٦٨) .

(١١) فتح الباري : ٢٩٠ / ١١ .

نموذج آخر:

أَخَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ

فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً (١٢)

فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ مُتَبَدِّلَةً ؟

قَالَتْ : إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا

قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا فَقَالَ : كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ ،

قَالَ : مَا أَنَا بِأَكِيلٍ حَتَّى تَأْكُلَ ،

قَالَ : فَأَكُلْ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِيَقُومَ ،

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : نَعَمْ فَنَامَ ،

ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ فَنَامَ ،

وَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الشُّجْحِ قَالَ لَهُ سَلْمَانُ : قُمْ الْآنَ ، فَقَامَا فَصَلَّيَا ،

فَقَالَ :

إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،

وَرِزِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،

وَلِصَنيفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،

وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،

فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ،

فَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ ،

فَقَالَ لَهُ : حَدِّقْ سَلْمَانُ . (١٣)

(١٢) التبذل : ترك التفرين والتهميء بالهيئة الحنة الجميلة (النهاية ١/١١١)

وقد كان موقف سلمان من أم الدرداء قبل أن ينزل الامر بالحجاب .

(١٣) (خ ٢٠٩/٤ - ١٩٦٨ ، ٥٣٤/١٠ - ٦١٣٩) (ت ٦٠٨/٤ - ٢٤١٣) .

* هذه ثمرة من ثمرات الأخوة المادقة التي غرسها

الرسول ﷺ في نفوس أمحابه .

وهذه الأخوة عليها معول كبير في تقويم ملك الغلوة،

إذ هي تنشئ التفاهم والثقة وهما عنصرا ضروريا في

العلاج .

* إن سلمان أفزع هذا الجور الذي يرتكب باسم الدين

فما ذنب هذه المرأة المابرة لتحرم حقها ؟!

فشرع في العلاج بحزم وحكمة : فأبى أن يأكل إلا

إذا أكل معه أبو الدرداءؓ، ولما أرخى الليل سدوله، سلك

طريقة عملية متدرجة في علاج هذا الجموح وضبطه، فأمره

بالنوم في أوله، ثم قام معه في آخره ومليا جميعاً .

وهكذا نجح العلاج عند توفر :

- الأخوة .
- الحزم .
- والحكمة .
- ولين الطرف الآخر .

نموذج آخر :

عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ . فَقَالَ « مَنْ هَذِهِ ؟ »
فَقُلْتُ : امْرَأَةٌ . لَا تَنَامُ . تُصَلِّي .

قَالَ « عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ . فَوَاللَّهِ ! لَا يَمَلُ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا »

وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (١٤)

قال النووي :

" ومه " كلمة نهى وزجر .

ومعنى " لا يمل الله " أى : لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم

ويعاملكم معاملة المال حتى تملاوا فتركوا ، فينبغي لكم أن

تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضلـه

(١٤)

عليكم . "

نموذج آخر :

عَنْ أَنَسٍ ؛ قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ . وَجِبِلٌّ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ .
فَقَالَ « مَا هَذَا ؟ » قَالُوا : لَزِينَبَ . نُصَلِّي . فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ .
فَقَالَ « حُلُوهُ . لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ . فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَمَدَ » . (١٥)

(١٤) (خ ٣٦ / ٣ - ١١٥١) (م ٤٥٢ / ١ - ٧٨٥) . (ج ١٤١٦ / ٢ - ٤٢٣٨)

(حم ٤٠ / ٦ - ١٨٩ ، ٥١) .

(١٥) (خ ٣٦ / ٣ - ١١٥٠) (م ٤٤١ / ١ - ٧٨٤) .

(ج ٤٣٦ / ١ - ١٣٧١) (حم ١٠١ / ٣) .

فهذا الحديث يدل على أن النماء لم يكن أقل حرصاً
من الرجال على التزود من الخير ، والتنافس في أعمال البر .
وقد تجلّى ذلك في هذه النزعة الجامحة نحو العبادة ، ولكن
الرسول ﷺ لم يقر هذا الجموح الضار ، فعمد إلى
الزجر عنه ، وأمر بالوسط النافع .

ولنستمع الآن إلى تعليق الإمام النووي النافع حول هذين
الحديثين . فيقول :

" فيه دليل على الحث على الاقتعاد في العبادة واجتناب
التعمق ، وليس الحديث مختصاً بالجملة بل هو عام في جميع
أعمال البر .

وفي الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم
إلى ما يملحهم ، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر
فتكون النفس أنشط ، والقلب منشرحاً فتتم العبادة ، بخلاف من
تعاطى من العبادة ما يشق عليه فإنه يمدد أن يتركه أو بعضه
أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى من اعتاد عبادة ثم فرط فقال

تعالى :

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا (١٦)

وقد ندم عبدالله بن عمرو بن العاص على تركه قبول
رخصة رسول الله ﷺ في تخفيف العبادة ومجانبة التشديد
* قوله : " وان أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وان قل " (١٧)
فيه الحث على المداومة على العمل ، وأن قليله الدائم خير
من كثير ينقطع .

وانما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن
بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر ، والمراقبة والنية والإخلاص
والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ، ويشمر القليل الدائم بحيث
يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة . (١٨)

* وقد ظهرت عند بعض الصحابة نزعة شديدة إلى العبادة والفلو
فيها ، والانقطاع لها وحرموا على أنفسهم طيبات أحلت لهم
فأنزل الله آيات تنكر عليهم هذا السبيل وتردهم إلى طريق
الاعتدال .

(١٦) الحديد/٢٧ .

(١٧) هذا اللفظ في بعض روايات الحديث .

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووي ٧١/٦ .

" أخرج ابن جرير عن عكرمة أن عثمان بن مظعون ، وعلى
ابن أبي طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، ومالما موسى
أبي حذيفة في أصحابه

تبتلوا فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا
المسوح ، وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل
السياحة من بنى إسرائيل ، وهموا بالإخفاء ، وأجمعوا لقيام
الليل ، وصيام النهار ، فنزلت هذه الآية :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩﴾

يقول : لاتعتنوا بنغير سنة المسلمين ، يريد ما حرموا
من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من قيام الليل
وصيام النهار ، وما هموا به من الإخفاء .

فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله ﷺ

فقال :

" إِنْ لَأَنْفُسَكُمْ حَقًّا ، وَإِنْ لِأَهْلِيكُمْ حَقًّا . صُومُوا

وَأَنْظُرُوا ، وَامْلُوا وَنَامُوا ، فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنَا "

فَقَالُوا : اللَّهُمَّ أَسْلَمْنَا وَاتَّبَعْنَا مَا أَنْزَلْتَ . " (٢٠)

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله ولها

شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين .

ولله الحمد والمنة . " (٢١)

" عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى

النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله إني إذا أكلت من هذا اللحم أنتشرت إلي

النساء ، وإني حرمت على اللحم .

فنزلت " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِهَا حَلَّ اللَّهُ لَكُمْ " (٢٢)

* ولما هجر عثمان بن مظعون أهله فتبذلت ، وعلم بذلك رسول الله

ﷺ استدعاه وسأله عن سر ذلك فأجاب : " إني تركته لله

لكي أتخلى للعبادة فأمره بالعدول عن هذا الخلو فعدل عنه " . (٢٣)

(٢٠) تفسير الطبري ١١/٧

(٢١) تفسير ابن كثير : ٨٧/٢

(٢٢) المصدر السابق : ٨٧/٢

(٢٣) تفسير الطبري : ١٠/٥

خلاصة :

* على ضوء ما سبق نستطيع أن نخرج بالحقائق الآتية :

* أن الغلو قد بدأت بوادره في العصر النبوي.

* أنه كان في مجال العبادة .

* أنه كان بدافع الرغبة العارفة في التزود من الخير .

* أن الرسول ﷺ قاوم هذا الاتجاه وقوم هذه

المغلاة .

* أنه كان منحصراً في أفراد لاجتماعات .

أسباب الغلو وعلاجه :

أولا : أسباب الغلو :

لقد تجلينا من الوقائع السابق ذكرها أن سبب الغلو في هذا العصر الزاهر هو الرغبة المادقة في التزود من الخير ، وذلك ما أعلن عنه المحابة الكرام الذين وقع منهم الغلو .

* فيها هو ذا عبدالله بن عمرو يجيب رسول الله ﷺ عندما سأله عن مبالغته في الصوم والقراءة فيقول :
" بلى يا رسول الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير ."

* ولما هجر عثمان بن مظعون رضى الله عنه زوجته وسأله الرسول ﷺ عن ذلك قال :
" إنى تركته لله لكى أتخلى للعبادة ."

* فهو لاء المحابة الأتقيا الأبرار لم يشبع منهم ما فرض عليهم من عبادات ، وعدوه قليلاً ، فزادوا حتى بالغوا ، وقالوا ما قالوا .
نلمح ذلك فى قصة الثلاثة الرهط .

" قلما أخبروا - أى عن عبادة النبي ﷺ كأنهم تقالوها - أى عدوها قليلة ."

مقارنين ذلك بأن الرسول ﷺ قد غفر له ما تقدم من نبيه وما تأخر . فكيف بهم . فرأوا أنها قليلة بالنسبة لحالهم .

ثانياً : أسلوب العلاج :

لقد قاوم الرسول الأكرم ﷺ مسلك الغلو في مهده
قبل أن يستفحل خطره ، حتى قضى عليه . كل ذلك بحكمة رائعة .
ونوجز القول ها هنا بالإشارة إلى أصول الأسباب الناجحة
في العلاج .

- * معالجة الأمر بروح الشفقة والرحمة والاحوة .
- * التدرج في العلاج ، وتقديم الحلول .
- * بيان محاذير وعيوب الغلو من التفسير في حقوق أخرى وأن
الفطرة البشرية لا تطيق الاستمرار على هذا الغلو .
- * الدعوة للتعاظ بمن سبق من الأمم .
- * ستر الغلاة وعدم التشنيع بهم ، مع الحوار الهادئ . يسهل
العلاج .
- * الزجر عن سبيل الغلو والبراءة منه " فمن رغب عن سنتي
فليس مني " .
- * تمحيح المفاهيم ، وبيان السبيل القويم ، فالخشية والتقوى تحصل
بالتوازن ، لا بالمبالغة في أمر وإهمال أمور .

هل وقع غلو في العقيدة ؟
=====

ما سبق ذكره كان مبالغة في مجال العبادة والزهد ،

وهناك سوء الفهم يطرح نفسه وهو :

هل وقعت المبالغة في أمور تتصل بالعقيدة كما وقعت في

العبادة ؟

أجيب فأقول : نعم

لقد وقعت وقائع يسيرة تشير إلى الخروج عن طريق

الوسط السوي ولكن الرسول الأكرم ﷺ حمها في

حينها .

وإليك الوقائع :

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً أتى النبي

ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال : ما شاء الله

وشئت . فقال النبي ﷺ : " أجعلتني لله

عدلاً ؟ "

قل ما شاء الله وحده . " (٢٤)

وفي رواية ابن مردويه : أجعلتني لله نداً ؟ والمعنى واحد

(٢٤) (حم ١/٢١٤ ، ٣٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧٢) .

٢ - ٤٨٠٦ - حدثنا مسدد ، حدثنا بشر - يعني ابن المفضل - حدثنا

أبو سلمة سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن مطرف ، قال :

أبي : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت

سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى (٤) ، قلنا : وأفضلنا فضلاً

وأعظمتنا طولاً ، فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا

يَسْتَجْرِبَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، . (٢٥)

وعن أنس رضي الله عنه :

" ان أناسا قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا ، وابن خيرنا

وسيدنا وابن سيدنا ،

فقال : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان

أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق

منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل " (٢٦) .

فهنا نرى أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أرادوا

أن يعبروا عن تقديرهم وتوقيرهم للرسول الأكرم ﷺ

فانطلقت ألسنتهم بهذه العبارات : سيدنا ، أفضلنا ، أعظمتنا ،

خيرنا ...

(٢٥) (ج ٤/٣٥٢ - ٤٨٠٦) .

(٢٦) جم ٣/١٥٢ ، ٢٤١ ، ٤/٢٥) .

وهي عبارات مدح .

ولكن الرسول ﷺ كره هذا اللون من الخطاب والتعبير ، لأنه يجر غالباً إلى الغلو ، ويدل عليه ، فحسب ﷺ هذا الأمر ، وأغلق هذا الباب حامية للتوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي قد يضمحل معها ، أو تنقصه .

٣ - وعن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلدَه في الشراب ، فأتى به يوماً فأمر به فجلدَه ، فقال رجلٌ من القوم : اللهم للمنة ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي ﷺ : لا تلمنوه ، فوالله ما علمتُ أنه يحبُّ الله ورسوله .

وفي رواية :

لا تسكونوا عونَ الشيطان على أخبكم ، (٢٧)

وكلا الروايتين في البخاري .

إن الخمر ملعونة ، وملعون شاربها ، وما قبيها ... هذا حكم عام .

فالمصابي الذي دعا باللعن أخذ هذا الحكم العام وطبقه في قضية عين ، وفاته أنه ينبغي توافر عدة شروط وانتقاء

• عدة موانع لإلحاق الحكم العام بقضية المعين .
• إن بغض الخمر التي حرّمها الله ، وبغض العصاة الذين يتناولونها ، والحكم العام فيمن يتناولها ، كل ذلك دفعه إلى إطلاق هذا الحكم القاس على هذا العاصي .

لكن الرسول ﷺ وقف أمام هذا النزعة الغالية في الأحكام ونهى عن ذلك فقال " لا تلعنوه "


وعلى هذا بقوله : " إنه يحب الله ورسوله "

فقد وجد مانع من لحوق الحكم العام بهذا الشخص المعين .
وهذا النهي عن لعن المعين يفيد كراهة التنزيه أو كراهة التحريم .

فإن كان قصد اللعن السب والتقييح فهو كراهة تنزيه وإن كان قصد اللعن الطرد والإبعاد من رحمة الله لمن لا يستحق ذلك فهو كراهة تحريم .

لقد كره الرسول ﷺ ذلك لأن " لعن المعين والدعاء عليه قد يحمله على التماذي ، أو يقنطه من قبول التوبعة ، بخلاف ما إذا صرف ذلك إلى المتصف فإن فيه زجراً وردعاً عن ارتكاب ذلك ، وباعثاً لفاعله على الإقلاع عنه " (٢٨) .

هذه نتائج مما وقع من الغلو فيما يتصل بأمر العقيدة وقد كان الرسول ﷺ لها بالمرصاد يثدها في حينها لئلا يستفحل خطرهما .



الفصل الخامس

المخرج



تمهيد:

=====

* لقد قدم الجيل الأول النموذج المثالي في فهم الدين وتطبيقه باستقامتهم على وسطيته في شتى المجالات ، وذلك بفضل الله وتوفيقه ثم رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، ومراقبته تصرفاتهم فهماً وتطبيقاً ، فكان إذا رأى انحرافاً يميناً أو شمالاً عن سبيل الاعتدال يادر بتقويمه بحكمة بالغية .

* فلما توفى صلى الله عليه وسلم بدأت زاوية الغلو تنفجر ، ودائرتة تتسع ، وشرره يتطايرو .

وذلك يرجع إلى :

١ - دخول جماعات كثيرة في الإسلام لها عقائدها القديمة التي لم تستطع الإصلاح منها كلية فقالت ببعضها عن قصد أو غير قصد .

٢ - يضاف إلى ذلك الجهل : فقد نشأ أناس لم يحسنوا فهم القرآن والسنة ولا تطبيقهما ، ولا إنزالهما منازلهما فضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ودخل في الإسلام أناس لا يعرفون لغته فقل نصيبهم من علمه وفهمه .

فسهل التفرير بهم ، والزج بهم إلى سبيل الغلو .

٣ - المواقف ضد الدين :
فالإسلام قد استطاع أن يقهر طواغيت الأرض ، وأن يكشف
زيف الأفكار المنحرفة ويدحضها ، فعلا سلطانها ، وقويت
شوكته ، فلجأ بعض الحاقدين إلى اعلان الدخول فيه مع
إبطان الكفرة . وأخذوا يكيدون لهذا الدين سراً مستغلين
جبل الناس بحقائق الدين ، فأثاروا شبهات ، وجاءوا
بفهم عجيب للنصوص ، واختلقوا نصوصاً من عند أنفسهم
ونسبوها إلى الرسول زوراً ، وشجبوا الغلاة بعمد
الإيحاء إليهم سواء عرف الغلاة ذلك أم لم يعرفوا
وفي هذا الفصل سنلقى نظرة عابرة على بعض الغلاة .

الخوارج :

* تعريفهم :

يقول الشهرستاني في تعريف الخوارج : " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام المحاربة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل زمان " (1)

* ألقابهم :

" للخوارج ألقاب : فمن ألقابهم الوصف لهم بأنهم خوارج .

ومن ألقابهم " الحرورية "

ومن ألقابهم " الشراة "

ومن ألقابهم " المارقة "

ومن ألقابهم " المحكمة "

وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة ، فإنهم ينكرون

أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية . والسبب

الذي سماوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب . والذي سماوا

له محكمة إنكارهم الحكمين ، وقولهم : لا حكم إلا لله . والذي

سماوا له حرورية نزولهم بحروراء فد أول أمرهم . والذي سماوا له

(1) الملل والنحل / للشهرستاني / 105 - الانجوا المعربة .

شراة قولهم : شرينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها
بالجنة .^(٢)

* فرقهم :

إن فرق الخوارج كثيرة ، وسبب كثرتهم هو كثرة انشاقهم
على أنفسهم . فقد كان يكفى لهذا الانقسام اختلافهم فى مسألة ،
يقول هذا برأى ويخالفه آخر ، فيفترقان ، ويتبع كل واحد
جماعة ، ويكون فرقة ... وهكذا .

لذلك تعددت فرقهم ولكن كبارهم :

" المحكمة ، والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسية ، والعباردة
، والثعالبة ، والإباضية ، والعتوية ، والباقون فروعهم " .^(٣)

" فالعباردة أتباع عبدالكريم بن عجيرد انقسموا إلى خمس
عشرة فرقة " .^(٤) فهذا مثال يدل على كثرتهم بسبب انقسامهم .

(٢) مقالات الاسلاميين / لآبى الحسن الأشعري / ٢٠٦/١ : ٢٠٧ .
تحقيق محمد محمى الدين عبد الحميد/ ط سنة ١٣٨٩ النهضة المصرية .
(٣) الملل والنحل / ١٠٦ .
(٤) مقالات الاسلاميين / ١٧٧/١ .

جماع رأى الخوارج :

* أجمع الخوارج على إكفار علي ، وعثمان والحكميين ، وأصحاب

الجميل ، وكل من رضى بالتحكيم وصوب الحكميين أو أحدهما .

* وأجمعوا على الخروج على المظلم الجائر .

* وأجمعوا على تكفير مرتكبي الذنوب وظلومهم فى النار

وخالف ذلك قلة (النجدات ، والإباضية) (٥)

* فعامة فرقة الإباضية على عدم تكفير عثمان وعلي ... وإنما على

حد قولهم : " إنه لمن المعيب أن نتهم روح الإسلام فى

نفس عثمان ، ولكن من المعيب كذلك أن نغيبه من الخطأ . أما

على فيقولون : إننا نحترمه ونقدره وإنما نعاتبه على قبول

التحكيم " (٦)

* أما موقفهم من مرتكبي الذنوب فإنهم يحكمون بالخلود فى النار على

مرتكبي الكبائر دون الصغائر إذا لم يتوبوا . (٧)

* أما النجدات فإنهم لا يحكمون على مرتكبي الذنوب بالخلود فى النار

إذا كانوا من موافقيهم دون غيرهم . (٨)

(٥) (مقالات الأعلاميين ١/١٦٧ : ١٦٨) (الملل والنحل ١٠٦) .

(الفرق بين الفرق / للبغدادى ٧٣/ دار المعرفة : بيروت) .

(٦) لقاء مع مفتى عمان بمطبة جبرين الاردنيه / عدد ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ ص ٣١ : ٣٣ .

(٧) انظر دراسات اسلاميه فى الأصول الإباضيه / بكير بن سعيد أهوشت/ ص ٧٠ : ٧٨ فقد جمع أقوال أئمة المذهب الإباضى .

(٨) انظر الفرق بين الفرق / ٨٩ .

أصلهم ونشأتهم :

يرجع أصل الخوارج إلى ذى الخويصرة التميمي الأعرابي
الجهول ولقد كان لهذا الجهول الغبي موقف مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدل على جهله . وسطحية فهمه ، وقصر نظره
، وآفة إعجابه برأيه ، وتعجله في حكمه . واتهامه بالظلال
والجور لمن خالف رأيه .

وقد ورد في شأن الخوارج أحاديث كثيرة منها :

عن أبي سعيد الخدري قال: يَبْنَانَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا .
أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْرِصَةِ . وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اأَعْدِلْ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَيَنَلِكْ ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ .
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اأُذِنُ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُهُ . فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ .
وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ . يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ .
يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . » (٩)

(٩) (خ ٦١٧/٦ - ٣٦١٠ ، ٦٧/٨ - ٤٣٥١) .

(م ٧٤٣/٢ ، ٧٤٤ - ١٠٦٤) (حم ٤/٣ ، ٥ ، ٣٣ ، ٢٢٤) .

* وفى رواية :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ . وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ . وَآتَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ ! إِنْ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ (١٠)

* وفى رواية : « إِنْ مِنْ صِنْفِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ . يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ . وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ . يَمُرُّونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . لَنْ أَدْرَكَهُمْ لَأَقْتُلَهُمْ قَتْلَ عَادٍ » . (١١)

* وفى رواية :

« سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحَدَاتُ الْأَسْنَانِ ، سَقَبَاءُ الْأَخْلَامِ . يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ . يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ . يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . » (١٢)

(١٠) (م ٧٣٩/٢ - ١٠٦٢) (حم ٤/٤٢١) .

(١١) (خ ٣٧٦/٦ - ٣٦٤٤) (م ٧٤٢/٢ - ١٠٦٤) .

(١٢) (خ ٦١٨/٦ - ٣٦١١) (م ٧٤٦/٢ - ١٠٦٦) .

* وفى رواية :

« يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ .
لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيمَهُمْ » (١٣)

* وفى رواية :

« يحسنون القيل ، ويميثون الفعل .. يدعون إلى كتاب الله
وليسوا منه فى شيء » . (١٤)

* وفى رواية للنسائى عن أبى برزة أنه قيل له :

« هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذُكُرُ الْخَوَارِجَ ؟
فَقَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَذَى وَرَأَيْتَهُ بَعِنَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَمَنْ عَنْ شِمَالِهِ وَلَمْ يَعْطِ مَنْ وَرَاءَهُ شَيْئًا
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ وَرَائِهِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَا عَدَلْتَ فِي الْقِسْمَةِ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مَطْمُومٌ الشَّعْرُ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ
أَيْضَانِ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ وَاللَّهِ لَا تَجِدُونَ بَعْدِي رَجُلًا هُوَ أَعْدَلُ
مَنِي ثُمَّ قَالَ يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ كَانَ هَذَا مِنْهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيمَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ
الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ سِيَّاهُ التَّحْلِيْقُ لَا يَزَالُونَ يُخْرِجُونَ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ مَعَ الْمَسِيْحِ الدَّجَالِ
فَإِذَا لَقِيْتَهُمْ فَاتْلُوهُمْ ثُمَّ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ » (١٥)

(١٣) (م) ٧٤٨/٢ - ١٠٦٦

(١٤) (حم) ٢٢٤/٣

(١٥) (ن) ١١٩/٧ : ١٢١ - ٤١٠٤ (حم ٤/٤٢٥)

* فهذه الأحاديث تبين : أن شيخ الخوارج وإمامهم هو ذو
الخويمرة التميمي^(١٦) الأعرابي الجحول ، وأنه يخرج من
فضئه^(١٧) قوم على شاكلته وسينضم إليهم من شابههم إذا لطيور
على أشكالها تقع .

* وأن فكر الخوارج سيبقى في أقوام إلى آخر الزمان حتى
زمن الدجال .

* يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" فأقرب البدع من زمنه على الله عليه وسلم بدعة الخوارج
فإن التكلم ببدعته ظهر في زمانه . ولكن لم يجتمعوا وتمير لهم
قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ."^(١٨)

(١٦) انظر الملل والنحل / للشهرستاني / ص ٢٨٠ وتلخيص ابلين/ لابن
الجوزي / ص ٩٠ والفتاوى/ لابن تيمية / ٥٧٩/٢٨

(١٧) الفضئ : الأصل والمراد انه يخرج من نسله وعقبه (النهاية /
٥٦٩/٣

(١٨) الفتاوى / ٤٩٠/٢٨

صفاتهم :

ان للخوارج معالم يعرفون بها وصفات يتميزون بها خير من يرشدنا الى هذه الصفات ، وبدلنا عليها ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر صلى الله عليه وسلم صفات القوم في أحاديثه الشريفه وسوف أتناول هنا تجليمة هذه الاوصاف بشئ من البيان وذلك لأمر هامة منها :

١ - أن الوقوف على هذه الصفات يكشف لنا عن معالم غلوهم ومظاهره ، ويضع أيدينا على أسبابه ودوافعه وفي ذلك من الفائدة ما لا يخفى .

٢ - أن وجودهم ستمر الى آخر الزمان كما أنبأنا صلى الله عليه وسلم وفي الروايات السابق ذكرها ، فالوقوف على صفاتهم أمر هام

٣ - أن الوقوف على صفاتهم ومعرفتها يقي المرء من الوقوع فيها إذ من لم يعرف الشر وقع فيه غالباً .

كما أن معرفة صفاتهم تجعلنا نأخذ حذرنا ممن أتصف بها ، وتجعلنا نعمل على علاج من ابتلى بها .

بعد هذا أشعر في بيان صفاتهم كما دلت عليها الاحاديث النبويه الشريفه .

١ - الظعن والتضليل :

من أبرز صفات الخوارج الظعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم
عليهم بالخروج عن العدل والصواب .

وقد تجلت هذه الصفة في موقف نذى الخويصرة مع رسول
الهدى صلى الله عليه وسلم حيث قال الخويصرة :

((يا رسول الله ، اعدل))

فقد عد نذو الخويصرة نفسه أروع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجور والخروج عن
العدل في القسمة .

وان هذه الصفة قد لا زتهم عبر التاريخ . وقد كان لها
أسوأ الاثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال .

يقول ابن تيمية عن الخوارج :

((فهولاء أصل ضلالم))

اعتقادهم في ائمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل
وانهم ضالون .

وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة وغيرهم .

ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا . ثم يرتبون على الكفر احكاما

ابتدعوها)) . (١٩)

٢ - سوء الظن :

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم شيخهم نبي الخويصرة
الجهول على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بعدم الاخلاص حيث
قال :

(والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها ،
وما أريد فيها وجه الله .)

فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أعطى السادة الأغنياء ، ولم يعط الفقراء ، لم يحمل هذا التصرف على
المحمل الحسن ، وهذا شيء عجيب خصوصا وأن داعيهم
كثيرة ، فلولم يكن الا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى صلى
الله عليه وسلم لكفى به داعيا الى حسن الظن ، ولكن نذا
الخويصرة أبي ذلك ، وأساء الظن لرضه النفس ، وحاول أن يستر
هذه العلة بستر العدل ، وبذلك ضحك منه ابليس ، واحتال
عليه ، فأوقعه في مصايده .

فينبغي للمرء أن يراقب نفسه ، وأن يدقق في دوافع سلوكه
ومقاصده ، وان يحذر هواه ، وأن يكون منتبها لحيل ابليس لأنه كثيرا
ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق ، ويبرر السلوك القبيح باسم
مبادئ الحق ، وما يعين المرء على وقاية نفسه ، والنجاة بها من حيل
الشیطان ومصايده العلم .

فدوا الخويصرة لو كان عنده اثاره من علم ، أو ذرة من فهم
لما سقط في هذا المزلق .

والآن ندع المجال لعلماء الاسلام ليظهروا لنا عظمة التصرف
النبوي ، وحكمته صلى الله عليه وسلم الفائقة في معالجة الامور
يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

((لما كان عام حنين قسم صلى الله عليه وسلم عنائهم حنينين
بين المؤلفه قلوبهم من أهل نجد والطلقاء من قريش كعبيدة
ابن حصن . . . ولم يعط المهاجرين والانصار شيئاً .

أعطاهم ليتألف بذلك قلوبهم على الاسلام ، وتألّفهم عليه
مصلحة عامة للمسلمين .

والذين لم يعطهم هم أفضل عنده وهم سادات أولياء الله
المتقين وأفضل عباد الله الصالحين بعد النبيين والمرسلين والذين
اعطاهم منهم من أرتد عن الاسلام قبل موته . وعاشهم أغنياً
لا فقراء .

فلو كان العطاء للحاجه مقدماً على العطاء للمصلحة العامة
لم يعط النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الاغنياً السادة المطاعين
في عشائهم . ويدع عطياً من عنده من المهاجرين والانصار

الذين هم أحوج منهم وأفضل .

ومثل هذا طعن الخوارج على النبي صلى الله عليه وسلم

وقال له أولهم :

((يا محمد ، اعدل فانك لم تعدل ، وقال : ان هذه لقسمة

ما أريد بها وجهه الله . . .))

وانهم مع كثرة صومهم وصلاتهم وقراءتهم اخرجوا عن السنة والجماعة

وهم قوم لهم عبادة وورع وزهد ، لكن بغير علم فاقضى ذلك عندهم

ان العطاء لا يكون الا لذوى الحاجات . وان اعطاء السادة المطاعين

الاغنيا لا يصلح الا لغير الله بزعمهم ، وهذا من جهلهم .

فان العطاء انما هو بحسب مصلحة دين الله .

فكلما كان لله أطوع ، ولدين الله انفع ، كان العطاء فيه أولى .

وعطاء محتاج اليه في اقامة الدين ، وقمع اعدائه واظهاره واعلاءه

أعظم من اعطاء من لا يكون كذلك ، وان كان الثاني أحوج (((٢٠)

فينبغي للمرء أن يكون ذا بصيرة ، مدركا لشيء من فقه الدعوة

ومقاصد الشريعة ، حتى لا يزل في التشابهات ويحاور فيهبى ويضيع

ويسى الظن والذم مع قيام موجبات المدح والثناء .

٢- المبالغة في العبادة :

وقد أرسدنا الى هذه الصفة قوله صلى الله عليه وسلم :

«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ .

وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ .

وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ .» (٢١)

فالمبالغة في العبادة من صيام وقيام ، وذكر وتلاوة قرآن أمر اعتبر

به الخواج .

د) فقد عرفوا باسم القراءه * لعدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة الا

انهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ، ويستبدون برأيهم

ويتنظمون في الزهد والخضوع وغير ذلك .» (٢٢)

وصف ابن عباس هذه المبالغة عند ما ذهب لمناظرتهم فيقول :

« فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً جباههم قرحة (٢٣)

من السجود ، وأيادهم كأنها ثفن الإبل ، وعليهم قمم مرحضة مشربين

سهمة وجوههم من السهر .» (٢٤)

(٢١) م (٧٤٣/٢ ، ٧٤٤ - ١٠٦٤) .

(٢٢) فتح الباري / ١٢ / ٢٨٢ .

(٢٣) الثفن : ما يصيب الارض اذا برك ويحصل فيه غلظ من أثر البروك .

مرحضة : مغسولة ، وثوب رحص : غسل حتى خلق .

سهمة : السهام الضر وتغير اللون وتبول الشفتين .

(٢٤) تلبيس ابليس / ٩١ .

• وهذا موقف يدل على حرصهم على الذكر في أعمد الأحوال .

يقول ابن الجوزي :

" فلما مات على رضى الله عنه أخرج ابن طجم ليقتل ، فقطع عبد الله

ابن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم فكهل عينيه بمسارحى

فلم يجزع ، وجعل يقرأ :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق " (٢٥)

حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان .

فعلج على قطع لسانه فجزع . فقيل له : لم تجزع ؟

فقال : أكره أن أكون فى الدنيا مواتاً لا أذكر الله . وكان رجلاً أسمر

فى جبهته أثر السجود لعنة الله عليه " (٢٦)

لكن هذه العبادة لم تنفعهم ، ولم يستفيدوا منها ، فقد كانت

كالجسد بلا روح ، والشجر بلا ثمر ، إذ لم تهذب أخلاقهم ، وعزك

نفوسهم ، وترقق قلوبهم ، فالعبادات صرعت لذلك .

قال تعالى : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (٢٧)

(٢٨) كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ

(٢٥) العلق / ١ : ٢٠

(٢٦) تلبيس إبليس : ٩٤ : ٩٥

(٢٧) العنكبوت / ٤٥

(٢٨) البقرة / ١٨٣

فلم يكن نصيب هؤلاء الحمقى من القيام إلا السهر،

ومن الصيام إلا الجوع

ومن التلاوة إلا بهج الصوت

إن حال الخوارج هذا يرشدنا إلى فائدة يقول عنها ابن حجر

« لا يكفى في التعديل ظاهر الحال ، ولو بلغ المشهود بتعديله

الغاية في العبادة والتقشف والورع حتى يختبر باطن حاله : (٢٩)

٤- الغدّة على المسلمين :

* لقد عرف الخوارج بالغلظة والجفوة ، وقد كانوا شديدى القسوة
والعنف على المسلمين ، وقد بلغت شدتهم حداً قبيحاً ، فاستحلوا
دماة المسلمين وأموالهم وأعراضهم فنزعوهم وقتلوهم . . .
* أما اعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم
فلم يؤذوهم .

وخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الصفة بقوله :

يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ . وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ

ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل

فمن ذلك هذا الموقف المروع :

" لقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب ، فقالوا : هل سمعت

من أبيك حديثاً تحدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدّثناه ؟

قال : نعم .

سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر
فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الطامس
والطامس فيها خير من المعامى ، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله
المقتول .

قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟
قال : نعم .

فقد موه على غفير النهر ، فضربوا عنقه ، فسأل دمه كأنه شراك
نعلل . وقروا بطن أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى . ونزلوا
تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم ، فقذف بها
في فيه . فقال أحدهم : أخذتها بغير حدها ، وغير ثمنها ،
فلفظها من فيه .

واخترط أحدهم سيفه ، وأخذ يهزه ، فهرسه خنزير لأهل الذمة
ففسره به يجربه فيه .
فقالوا هذا فساد في الأرض . فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فس
ثمنه . (٣)

(٣٠) نخل مواقير؛ كثيرة الحمل بالرطب .

(٣١) تلبين ابلين / ٩٣ : ٩٤ .

البداية والنهاية / لابن كثير / ٢٨٨/٧ . المعارف : بيروت ط٢

سنة ١٣٩٤ - ١٩٧٤ .

هذه معاملة الخوارج للمسلمين والكافرين :

قسوة وشدة وحنف على المسلمين

ولين ولطف ومودعة للكافرين

فلم ينتفعوا بكثرة تلاوتهم وذكرهم ، إذ لم يهتدوا بهديه ولم

يسلكوا نهجه .

فقد " وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة ، وانا ندب السبي

إلى الشدة على الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج " .^(٣٢)

قال تعالى :

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ »^(٣٣)

« يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَيْدِ مَنْكُرٍ عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ »

وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ »^(٣٤)

فالخوارج عكسوا الآيات ، فأرهبوا المسلمين وروعهم .

(٣٢) فتح الباري : ٣٠١/١٢ .

(٣٣) الفتح / ٢٩ .

(٣٤) المائدة / ٥٤ .

يقول المبرد عن أحدهم وفرقتة :

" وأقام نافع بالأهواز يمترض الناس ويقتل الأطفال ، فإذا أجيب
إلى المقالة جبا الخراج ، وفشا عماله في السواد ، فارتاع لذلك
أهل البصرة " . (٣٥)

ان هذه الشدة والقسوة ، والترهيع والفتك جعل بعض المسلمين
يدعى الشرك لينجوا من الفتك .

قال المبرد :

" حدثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة ، فأحسوا
الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم
فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، وكانوا قد أشرفوا على العطب . (٣٦)

فقالوا له : شأنك ، فخرج إليهم .

فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟

قال : شركون ستجيرون ، ليسمعوا كلام الله ويحرفوا حدوده .

فقالوا : قد أجرناكم !

قال : فعلمونا .

(٣٥) أخبار الخوارج / للمبرد / ١٠٠

(٣٦) العطب : الهلاك .

فجعلوا يعلونه أحكامهم .

وجعل يقول : قد قلت أنا ومن معي .

قالوا : فاشوا بها حينئذ فانكم اخواننا .

قال : ليس ذلك لكم ، قال الله تبارك وتعالى :

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا نَهَى (٣٧)

فابلغونا ما نمننا ، فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا :

ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن . (٣٨)

(٣٧) التوبة ٠٦/

(٣٨) اخبار الخوارج ٠٦/

٥- قلة الفقيه :
=====

ان من كبرى آفات الخوارج . ضعف فقههم لكتاب الله تعالى وسنة
رسوله ﷺ ، ونقصه بذلك سوء فهمهم وقلة تدبرهم
وتعمقهم ، وعدم انزال النصوص منازلها الصحيحة .

ولقد أرشدنا رسول الهدى ﷺ الى هذا الرص
الخطير حيث قال فهمم :
• يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم •

فقد شهد لهم الرسول ﷺ بكثرة التلاوة والقراءة لكتاب
الله تعالى ومع ذلك هم مذمومون .
لماذا ؟

لأنهم لم ينتفعوا به لآفة الفهم العقيم ، والتصور المنحرف الذى
أصيبوا به ، فلم يحسنوا الاستشهاد بالوحي المنير فوقع منهم
عسر مستطير ، فارهقوا أنفسهم والعباد معهم .

قال الحافظ ابن حجر :

قال النووي : المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروءه على لسانهم
لا يصل إلى حلوقهم ، فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم لأن المطلوب
تعقله وتدبره بوقوعه في القلب .

قلت : وهو مثل قوله فيهم أيضاً

أى : ينطقون بالشهادتين ولا يعرفونها بقلوبهم . (٣٩)

ان آفة سوء الفهم وقلة الفقه ذات خطر عظيم ، ولقد جنت
هذه الآفة على الأمة الاسلاميه ، وأصحابها بجراح خطيرة فقد
دفعت أصحابها الى تكفير العالحين وتخليبهم والطمع فيهم بغير
حق ، ثم نشأ عن ذلك شقاق ، وفراق وعراك ، وظلم ونسب واعتداء

وإليك تصور الصحابة لفهم الخوارج السيء :

قال الإمام البخارى :

وكان ابن عمر يرام شراراً خلق الله ، وقال : إنهم انطلقوا لى آيات

نزت في الكفار فجعلوها على المؤمنين (٤٠)

وعند ما سمع سعيد بن جبير رأى ابن عمر سر بذلك وقال :

" ما يتبع الحروريه من التشابه قول الله تعالى :

(٣٩) فتح البارى : ٢١٣/١٢

(٤٠) غ (٢٨٢/١٢)

• وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ^(٤١)

• ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ^(٤٢)

فَإِذَا رَأَوْا الْإِمَامَ يَحْكُمُ بِخَيْرِ الْحَقِّ قَالُوا : قَدْ كَفَرَ . وَمِنْ كَهَر
عَدَلَ بِهِمْ فَقَدْ أَشْرَكَ . فَهَذِهِ الْأُمَّةُ شُرَكَوْنَ .
فَيُخْرِجُونَ فَيَقْتُلُونَ مَا رَأَيْتَ لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ . . .

وقال نافع :

ان ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال : يكفرون المسلمين
يستحلون دماءهم وأموالهم ، وينكحون النساء في عدد هن ، وتأتيهم
المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج ، فلا أعلم أحداً أحق بالتقال
منهم^(٤٣) .

هكذا : سطحية في الفهم ، وجور في الحكم ، وشناعة في السلوك .
إن قلة فقههم ، وسطحية فهمهم حالت دون الاهتداء بالوحي النبوي
وجعلتهم يهونون صهلكون .

(٤١) المائدة / ٤٤ .

(٤٢) الانعام / ١ .

(٤٣) الاحتمام / ١٨٣/٢ : ١٨٤ .

* أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
وَذَكَرَ عِنْدَهُ الْخَوَارِجُ وَمَا يُلْقُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَقَالَ : يَوْمُنُونَ بِمَحْكَمِهِ
وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ تَشَابِهِهِ .^(٤٤)

* وَقَدْ أَدَّى هَذَا الْفَهْمُ السَّقِيمُ إِلَى مَخَالَفَةِ إِجْمَاعِ السَّلَفِ فِي الْعَدِيدِ
مِنَ الْمَسَائِلِ ، لَجَهْلِهِمْ ، وَاعْجَابِهِمْ بِرَأْيِهِمْ ، وَعَدَمِ سُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ
فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ .

* إِنْ آفَتْ سَطْحِيَّةُ الْفَهْمِ ، وَقَلَّتْ الْفَقْهَ ، قَدْ جَعَلَتْهُمْ يَهْلِكُونَ فِيمَا
يَسْتَنْبِطُونَ رَفْمَ قِرَائَتِهِمْ الْكَثِيرَةَ ، وَاسْتَفْهَادِهِمُ بِالنُّصُوصِ الْقُرْآنِيِّهِ
وَالنَّبَوِيِّ لَكِنْ فِي فَرِيقٍ مَوَاضِعِهَا .

وَصَدَقَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ إِذْ يَقُولُ فِيهِمْ :

* يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ *

* يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ *

* يَحْسِنُونَ الْقَيْلَ ، وَيَسِيئُونَ الْفِعْلَ . . . يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ

(٤٤) تفسير الطبري ١٨١/٣

(٤٥) فتح الباري ٣٠٠/١٢

وليسوا منه في شيء . (٤٦)

ولك أن تنظر في شعارهم " لا حكم الا لله " لتدرك ما ذكر.

٦- حداثة السن وسفاهة الحلم :

ما لوحظ على الخارجيين عن سبيل العدل والهدى حداثة السن

وسفاهة الحلم . وذلك مصداقاً لقوله ﷺ :

• سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاة الأحلام •

يقول الحافظ ابن حجر :

• أحداث الأسنان : المراد أنهم شباب .
وقوله : سفهاة الأحلام : والمعنى أن عقولهم رديئة .

قال النووي :

إن الثبوت وقوة البصيرة ، تكون عند كمال السن ، وكثرة العجايب
وقوة العقل • (٤٧)

نعم : إن حداثة السن تعاحب غالباً قلة العلم ، وعدم سبر فروع الأمور
والأحداث ورؤيتها رؤيئة بعيدة ، بل سطحية عاجلة ، وذلك لقلية
التجارب ونقص الخبرة . وإن الشباب يتميزون بالحماس ، ويزداد هذا الحماس
إذا كان للدين .

(٤٧) فتح الباري ١٢/٢٨٧

فإذا اجتمعت حماسة الشباب ، وقلة العلم ، ونقص التجربة ، والإعراض
عن أهل الذكر أثر ذلك ظلوا وتطرفاً . . .

إن حداثة السن لها صاحبت سفاهة الحلم أنتجت تصرفات غريبة وسلوكاً
عجيباً .

ولقد تجلت هذه السفاهة في مواقفهم تجاه الأحداث فمن ذلك
* هذا الخلط العجيب والتناقض الغريب :

* فقد آثروا رأيهم على رأي رسول الله ﷺ وصحابته الكرام
رضوان الله عليهم .

* واعتقدوا في أنفسهم العوالب وفي أئمة الهدى الخطأ .

* وكفروا بعضهم بعضاً لخلافات يسيرة .

وندع المجال لابن حزم ليصور لنا جهلهم ومظاهره وأسبابه وعجائبه
فيقول :

" ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا ففى
السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ .

ولم يكن فهم أحد من الفقهاء ، ولا من أصحاب ابن سمود ، ولا
أصحاب عمر ، ولا من أصحاب علي ولا أصحاب عائشة ، ولا أصحاب أبي
موسى ، ولا أصحاب معاذ بن جبل ، ولا أصحاب أبي الدرداء ، ولا أصحاب
سلطان ، ولا أصحاب زياد ، وابن عباس ، وابن عمر .

ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من
دقائق الدنيا ومغارها ، فظهر ضعف القوم ، وقوة جهلهم ، وأنهم
أنكروا ما قام البرهان الذي أوردنا بأنه الحق .

ولو لم يكن من جهلهم إلا قرب عهدهم بخبر الأنصار يوم السقيفة
وإذعانهم رضي الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجوب الأمر في قريش
دون الأنصار وغيرهم ، وإن عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاماً
وأشهر ، وجهلهم أدرك ذلك بسنة وثبتت عند جميعهم كتابات أمر النبي
ﷺ ولا فرق ، لأن الذين نقلوا إليهم أمر رسول الله ﷺ

ونقلوا إليهم القرآن والشرايع فدانوا بكل ذلك . هم بأعيانهم لا زيادة فيهم
ولا نقص نقلوا إليهم خبر السقيفة ، ورجوع الأنصار إلى أن الأمر لا يكون إلا
في قريش .

وهم يقرؤون ويقرآن قوله تعالى :

« لَا يَسْتَوِي مَنكُرٌ مِّنْ أُنْفُقٍ مِّن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ
أَوْلِيَّتِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِ لَوْ
وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (٤٨)

وقوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَبُّهُمْ رُكَّاعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » (٤٩)

(٤٨) الحديد / ١٠

(٤٩) الفتح / ٢٩

وقوله تعالى :

” لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا “ (٥٠)

ثم أعماههم الشيطان ، وأضلهم الله تعالى على علم ، فعلوا ببيعة مثل علي ، وأعرضوا عن مثل سعيد بن وهب ، وسعد ، وابن عمر وغيرهم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، وأعرضوا عن سائر الصحابة الذين أنفقوا بعد وقاتلوا ووعدهم الله الحسنی .

وتركوا من يقرون أن الله تعالى عز وجل علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، ورضى الله عنهم ، وبايعوا الله . وتركوا جميع الصحابة ، وهم الأعداء على الكفار ، الرحماء بينهم ، الركع السجد ، المتبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، الحثي عليهم في التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل ، والذين فاظ الله بهم الكفار ، المقطوع على أن باطنهم في الخير كظواهرهم . لأن الله عز وجل شهد بذلك .

فلم يبايعوا أحداً منهم ، وبايعوا عيث بن رعي مؤذن سباج أيام ادعت النبوه بعد موت النبي ﷺ ، حتى تداركته الله عز وجل ففر عنهم ، وتبين له ضلالهم .

فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب العراسي أعرابي
بوال على عقبه لا سابقه له ولا صحبة ، ولا فقه ، ولا شهد الله
له بخير قط . فمن أضل من هذه سيرته واختياره ؟
ولكن حق لمن كان أحد أثمته ذوالخوصرة الذي بلغه
ضعف عقله ، وقلة دينه إلى تجهيره رسول الله ﷺ في حكمه
والاستدراك عليه ، ورأى نفسه أروع مناه ﷺ ، هذا
وهو يقر أنه رسول الله ﷺ إليه ، مه امتدى ، مه
عرف الدين ، ولولا لكان حماراً أو أضل . ونعوذ بالله من
الخذلان . (٥١)

وهو ابن الجوزي طرفاً من حنقهم وسفاهة حنقهم فيقول عنهم :
" واستحلوا دماً لأطفال ، ولم يستحلوا أكل شرة بغير ثمنها .
وتعبوا في العبادات وسهروا ، وجزع ابن طجم عند قطع لسانه من فوات
الذكر . واستحل قتل على كرم الله وجهه . ثم شهروا السيوف على
السلمين .

ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم ، واعتقادهم أنهم أعلم من على
رضى الله عنه .

(٥١) الفيل في الملل والنحل / لابن حزم / ٤ / ٢٢٧ : ٢٢٨ .

فقد قال ذو الخوصرة لرسول الله ﷺ : اهدل
فما عدلت وما كان إبليس ليهدى إلى هذه المغازى .
نعموز بالله من الخذلان . (٥٦)

إن الإشارة إلى الخواج بانهم أحداث الأستنان ترشدنا إلى
ضرورة علاهى سالب هذه الحداثة . عن طريق توطيد النفس
على التأنى والرصة ، والاسترشاد بأهل العلم والخبرة والتجربة
فيما أشكل .

هكذا كان شباب الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله
ﷺ فيما أشكل عليهم ، ويسألون كبار الصحابة من بعده ، ويستفيدون
منهم ومن خبرتهم وحنكتهم . وكانوا لا يزكون أنفسهم وتهمون فيهم ، فكانوا
بذلك خير شباب الدنيا .

تلك هي أبرز معالم الخوارج : ويمكن أن نجمل مظاهر ظوهم فيما يلي :

=====

١ - الطعن في مخالفاتهم وتخليطهم وتكفيرهم . ودليل ذلك : طعنهم

في الرسول ﷺ وقسسته وتكفيرهم لأمير المؤمنين عثمان ،

وطى بن أبي طالب والحكيم وأصحاب الجمل

٢ - سوء الظن : ودليل ذلك : اتهامهم الرسول ﷺ

بعدم الإخلاص في القصة لأنهم لم يفهموا مقصده

السامى لقصر نظرهم ومرض قلوبهم ، فنادوا إلى إساءة الظن .

٣ - المبالغة في العبادة بغير علم : وهذا مأخوذ من قول الرسول

الأكرم ﷺ :

• يحقد أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم . . .

٤ - الشدة على المسلمين : يدل على ذلك قوله ﷺ :

• يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان

* أما أسباب ظوهم ودوافعه فيمكن إجمالها فيما يلي :

١ - قلة الفقه وسوء الفهم ، لعدم تفقهم في السنة ، ولعدم تتلمذهم

على الصحابة " يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم " .

٢ - نقص التجربة والخبرة وسفاهة العلم .

• أحداث الاسنان سفها الاحلام

٣ - اتباع الهوى والإعجاب بالرأى .



الفصل السادس

الشيعة



الشيعة :
=====

إن الشيعة من أعظم الناس غلواً في الدين ، وذلك يرجع
إلى موعسى هذه الفرقة الحاقدين على الإسلام وتآمرهم بالكيد
الماكر له .

وقد تجلى غلوهم في مظاهر عدة .

فمن هم الشيعة ؟

وما هي أشهر فرقهم ؟

ومتى ظهوروا ؟

وما هو أصل نشأتهم ؟

وما مظاهر غلوهم ؟

هذا ما سنتناوله - إن شاء الله - في هذا الفصل بإيجاز .

تعريف الشيعة

الشيعة لغة :

قال صاحب لسان العرب :

" الشيعة : القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وكل قوم
اجتمعوا على أمر فهم شيعة (إلى أن قال) والشيعة أتباع الرجل
وأنتاره وجمعها شيع . وأشباع جمع الجمع . ويقال
شايعة كما يقال وإلاه من الولي .

(إلى أن قال) وأصل الشيعة الفرقة من الناس ، ويقع على
الواحد والاثني والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد
وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله
عليهم أجمعين ، حتى صار اسماً خاصاً لهم ، فإذا قيل : فلان
من الشيعة عرف أنه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم .
وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطابقة ."^(١)

(١) : لسان العرب / ٨ / ١٨٨ دار صادر بيروت .

الشيعة اصطلاحاً :

إن مصطلح " الشيعة " قد مر بمراحل مختلفة ، وفي كل مرحلة كان يطلق ويراد به معنى يخالف سابقه ، وسوف أشير إلى ذلك قريباً وأوضحه .

أما هنا فما ذكر معنى الشيعة في الاصطلاح باعتبار ما استقر عليه الأمر وشاع .

* يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في المقالات .

" إنما قيل لهم الشيعة لأشبهوا علياً رضوان الله عليه

ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ . " (٢)

* ويحدد ابن حزم معنى التشيع فيقول :

" من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس

بعد رسول الله ﷺ ، وأحقهم بالإمامة ، وولده من بعده

فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون .

فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً . " (٣)

(٢) مقالات الاسلايين / ١ / ٦٥ .

(٣) الفصل في الطل والنحل / ٢ / ٢٧٠ .

جامع قولهم :

لقد اجتمعت كلمة الشيعة على كثرة فرقهم ، واختلاف آرائهم

على أمور هي :

* القول بتفضيل على رض الله عنه على الخلفاء الراشدين قبله

رض الله عنهم . والقول بأن أهل البيت أحق بالخلافة .*

وينبغي أن يكون في الاعتبار أنهم متفاوتون في القول بالتفضيل

وأحقية الخلافة . فمثلاً :

* الزيدية : يقولون بأفضلية على رض الله عنه على سائر الصحابة

بما فيهم الخلفاء الراشدون ، ومع ذلك فإنهم يقولون بمحة إمامة

أبي بكر وعمر رض الله عنهما من باب جواز إمامة المفضول مع الغاظر ..

* أما الرافضة ومنهم الإمامية ، فيقولون : إن علياً أفضل الصحابة

وإن الرسول نص على خلافته ، غير أن الصحابة عدلوا عن ذلك فولسوا

أبا بكر وعمر .. فارتدوا بذلك إقليلاً منهم ، وإمامة الشيخين

باطلة ، ويجب التبرؤء منهم

فرقهم :

إن للشيعة فرقاً كثيرة ، وكثرتهم ترجع إلى انقسامهم على أنفسهم واختلافهم فيما بينهم كما هو شأن أهل الأهواء . ونضرب مثلاً على ذلك بالإمامية :

يقول الفخر الرازي فيهم بعد أن ذكر ثلاث عشرة فرقة منهم " وهذا الذي ذكرناه في الإمامية قطرة من بحر لأن بعض الروافض قد صنّف كتاباً وذكر فيه ثلاثاً وسبعين فرقة من الإمامية . (٤)

أكبر فرقهم :

الشيعة على تعددهم وتفرقتهم يرجعون إلى خمس فرق هي : (٥)
" كيمانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وأسمايلية ."

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين / لفخر الدين الرازي / ٥٦ .
(٥) الطل والنحل / للشهرستاني / ١ / ١٣١ .

ظهور التشيع وتطوره :

مر التشيع بمراحل حتى استقر على صورته النهائية التي شاعت

واستقر عليها .

* فقد ظهر لقب " الشيعة " لأول مرة سنة ١٢٧هـ إثر حادثة التحكيم
وانشقاق الخوارج .^(٦)

وفى هذه الفترة كان هذا اللقب يطلق على كثير من خيار
المحابة والتابعين ، ولم يظهر أى كلام حول تفضيل على رضى
الله عنه على الشيخين فضلاً عن انتقاصهما أو سبهما .

* ثم تطور الأمر فى سنة ٣٩٠هـ وظهر أناس يفضلون علياً رضى الله
عنه على الشيخين رضى الله عنهما من غير إكفار للشيخين ولا بغضهما
ولا سب لهما .

وهؤلاء يسمون " الشيعة المفضلة " .

وقد أحس على بأن أناساً يفضلونه على الشيخين ، فكره ذلك ،

ونهى عنه .

» وقد ثبت عن على رضى الله عنه فى صحيح البخارى وغيره من نحو
ثمانين وجهاً أنه قال :

(٦) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية / ٥ ، والخاتمة / ٣٢٠ : ٣٢١ .

خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ثم عمر.....

وروى عنه بأسانيد جيدة أنه قال :

لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد

المفتري". (٧)

* ثم تجاوز الأمر حده ، فقد استطاع ابن سبأ - لعنه الله -

أن يغوى أناساً ويغريهم بالقول بألوهية علي رضي الله عنه وقال

كثير منهم بتقديم علي رضي الله عنه على سائر الصحابة وسبواهم

وتبرؤوا من الشيخين أبي بكر وعمر وظهرت آراء عجيبة ، وعقائد

غريبة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" وثبت عنه - أي علي رضي الله عنه - أنه حرق غالبية الرافضة

الذين اعتقدوا فيه الألوهية". (٨)

ويقول أيضا :

" ظهر في زمن علي التكلم بالرفض ، لكن لم يجتمعوا ويمسروا لهم

قوة إلا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .

بل لم يظهر اسم الرفض إلا بعد خروج زيد بن علي بن الحسين بعد

المائة الأولى لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

رفضته الرافضة فسموا " رافضة ". (٩)

(٧) الفتاوى / ٢٨ / ٤٧٣ : ٤٧٤ . ومختصر التحفة الاثني عشرية / ٥ : ٦ .

(٨) الفتاوى / ٢٨ / ٤٩٠ .

(٩) الفتاوى / ٢٨ / ٤٩٠ .

تلك أقوال علماء الإسلام في التطور التاريخي للشيعة وحتى

استقراره على الصورة النهائية .

ويمكن أن نجمل ذلك فيما يلي :

=====

* كان التشيع يطلق ابتداءً على حبا على آل البيت ومواليهم ..

* ثم أطلق على من يفضل علياً على عثمان رضي الله عنهما .

* ثم أطلق على من يفضل علياً على الخلفاء الراشدين، وهذا

الإطلاق الأخير هو الذي شاع وانتشر واستقر حتى عصرنا هذا

مع الأخذ في الاعتبار بتفاوت درجات التفضيل .

* فالروافض الإمامية ينتقمون الصحابة وبخاصة الشيخان

أبو بكر وعمر ويتبرءون منهم ويكفرونهم .

تلك هي خلاصة تطور اصطلاح التشيع .

* غير أن الشيعة يحاولون أن ينفخوا على مذهبهم حالة ممن

القدسية بزعمهم أن التشيع قديم قد ظهر في زمان النبي ﷺ

وذلك لاستدراج العوام وأشباههم وخدمهم .

« إن التشيع في صورته النهائية قد تولى كبره أعداء
الإسلام على مختلف طوائفهم من مجوسية ، ويهودية ، ونصرانية
فالتشيع في الأصل يرجع إلى كل ذلك .

يقول المقرئى :

” السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس
كانت من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر
في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسيااد
وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة
عندهم على أيدي العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً
، تعاضهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام
بالمحاربة ففى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله الحق ...
فأرأوا أن كيده على الحيلة أنجح ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، ، ،
واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت ، واستبشاع
ظلم على ثم سلكوا بهم ممالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى” (١٠)

(١٠) خطط المقرئى ٢٨٢/٣ ط بولاق . القاهرة .

* " إن مذهب الشيعة له مشابهة تامة ، ومناسبة عامة "

مع فرق الكفرة والفسقة الفجرة أعنى :

اليهود والنصارى والمابثين والمشركين والمجوس " (١١)

ويقول ابن حزم عن الفرس :

" رأوا أن الكيد للمسلمين على الحيلة انجح ، فأظهر

قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل البيت

رسول الله ﷺ ، واستشاع ظم على بن ابي طالب رضى

(١٢)

الله عنه ، وسلكوا بهم مسالك مختلفة حتى أخرجوهم عن الإسلام "

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق

عبدالله بن سبأ ، فإنه أظهر الإسلام . وأبطن اليهودية ، وطلب

أن يفسد الإسلام كما فعل بولس النمراني الذي كان يهودياً

(١٣)

في إفساد دين النصارى ."

* ويمكن أن ندرك بصمات اليهودية والنمرانية والمحوسية نفسى

الفكر الشيعى .

(١١) مختصر التحفة الاثني عشرية / ٢٩٨ .

(١٢) الفصل فى الملل والنحل / ٢ / ٢٧٣ .

(١٣) الفتاوى / ٢٨ / ٤٨٣ .

فمن ذلك :

* "إحداثهم عيد أبيهم " بابا شجاع الدين" الذين لقبوا

به "أبا لوعروة المجوس" القاتل لعمر بن الخطاب رض الله
عنه " (١٤)

* "وتعظيمهم يوم النيروز الذي هو من أعياد المجوس" (١٥)

أما مشابهتهم لليهود :

* فلأن اليهود قالت : لائمح الإمامة إال لرجل من آل داود عليه
السلام ، وقالت الرافضة : لائمح الإمامة إال لرجل من آل علي
ابن أبي طالب رض الله عنه .

* واليهود توغر صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة
يوغرونها " (١٦)

* وأما مشابهتهم للنماری فلأن النماری أحدثوا كثيراً من
الأعياد كيوم مقتل عمر وعثمان وما أشبه ذلك . والنماری
يصورون صورة عيسى ومريم ويضعون ذلك في كنائسهم ويعظمونها
ويسجدون لها .

فكذلك الرافضة ، فإنهم يصورون صور الأئمة ويعظمونها بل
يسجدون لها ولقبورهم وما جرى مجرى ذلك" (١٧)

(١٤، ١٥) مختصر التحفة الاثني عشرية / ٢٠٨ : ٢٠٩ .

(١٦، ١٧) مختصر التحفة الاثني عشرية / ٢٩٨ : ٢٩٩ .

مظاهر غلوهم :

إن الشيعة عموماً خرجوا عن وسطية الإسلام ، وهم متفاوتون

في إفراطهم وغلوهم .

وقد تجلّى غلوهم في عدة أمور منها :

- اعتقاد عصمة الأئمة .
- تأليه بعضهم الأئمة .
- عبادة القبور .
- تكفير مخالفيهم .

أولاً : عصمة الأئمة :

لقد تجاوز الشيعة حد تقديرهم لأئمتهم حتى شهدوا لهم

بالعصمة ، وأصبح ذلك جزءاً أصيلاً من معتقدتهم .

يقول الشيخ المفيد :

" أجمع علماء الشيعة على عصمة الأئمة وأنهم مطهرون من

كل دنس ، وأنهم لا يذنبون صغيراً ولا كبيراً ، وأنهم مومنون

بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى آخرها . لا يوصفون

في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل" (١٨)

(١٨) أوائل المقالات / للمفيد / ٧٤ . عقائد الإمامية الاثني عشرية /

للزنجاني / ١ / ٤١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٢ / ١٥٧ : ١٦٣ .

" ولم يشذ عن هذا الرأي سوى ابن بابويه القمي، وأستاذه محمد بن الحسن بن حمد بن الوليد، حيث أجازوا صدور الخطأ عن الإمام سهواً، إلا أن هذا الرأي سرعان ما رده متكلمة الشيعة بعنف وشدة، وبلغ الأمر بالشيخ المفيد أنه ألف رسالة ينقض فيها رأى من يزعم أن النبي أو الإمام يسهو" (١٩)
ويقول الزنجاني :

" ونعتقد أن الإمام كالنبي ﷺ يجب أن يكون معمولاً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً . كما يجب أن يكون معمولاً من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظه الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ ."

(٢٠)

(١٩) عقائد الامامية ١٦١/٢/٠٠ ، أوائل المقالات / ٧٤ : ٧٥ .
(٢٠) عقائد الامامية ١٧٩/٣/٠٠ .

ثانياً : تأليه الأئمة :

لقد تجاوز بعض الشيعة الحدود ، وبالغوا في تعظيم

أئمتهم حتى اعتقدوا ألوهيتهم .

فالسبئية أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي مؤسس الشيعة

غلوا في علي رضي الله عنه وزعموا أنه كان نبياً ثم زاد

غلوهم فزعموا أنه كان إلهاً .

ولقد رفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم

(٢١)

منهم في خفرتين .

ولم يقف الأمر عند حدود تأليه الأئمة من آل البيت

بل كلما ظهر ضال خدع الناس وادعى الألوهية :

(٢٢) " فالبيانية زعموا أن بيان بن سمان كان إلهاً " (٢٢)

(٢٣) " وكذلك زعمت الخطابية في أبي الخطاب " (٢٣)

وتاريخ المذهب الشيعي ملئ بهذا الهوس والخبيل .

(٢١) الفرق بين الفرق / للبغدادي / ٢٢٣ .

(٢٢) المصدر السابق / ٢٢٧ .

(٢٣) المصدر السابق / ٢٤٧ .

ثالثاً : عبادة أصحاب القبور :

لقد برع الشيعة في هذا المجال ، وأتوا فيه بالأحاديث

فعمموا قبور أئمتهم تعظيماً يفوق الوصف ، حتى أنهم :

" كانوا يتمطون بالمشاهد أكثر منهم بالمساجد وبالنجف

وكريلاء والمشهد أكثر منهم بالحرمين الشريفين " (٢٤)

وقد بلغ بهم الأمر حداً فاحشاً في تعظيم هذه القبور

وعبادتها حتى أصبحوا " يحجون إلى القبور ، وطائفة منفلتوا

كتباً وسموها ، مناطق حج المشاهد ، كما صنف أبو عبدالله

محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً

في ذلك ، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت

ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل " . (٢٥)

ومما ساعد على انتشار هذه المنكرات بين العوام وأشباههم

أن الدولة الباطنية المعروفة بالفاطمية قد حكمت بلاد الشام ،

ومصر والمغرب فترة طويلة ، وتركت فيها هذه الآثار السيئة

* ومن أقوال الشيعة الدالة على غلوهم في أصحاب القبور :

" ان السجود على تربة أبي عبدالله الحسين عليه السلام

يخرق الحجاب " . (٢٦) " السجود على طين قبر الحسين عليه السلام

ينور إلى الأرضين المسبح " . (٢٧)

(٢٤) رجال الفكر والدعوة / للندوي / ١٧٧/٢ ، والفتاوى ٤٩/١٥ : ٥٠ .

(٢٥) الفتاوى ٤/٥١٧ : ٥١٨ ، ١٧/٤٩٨ ، ٢٧/١٦٢ ، ٣٣٨ .

(٢٦ ، ٢٧) عقائد الإمامية / للزنجاني / ١/٢٩٦ .

رابعاً : التكفير :

* ان غالبية الشيعة يتهمون الصحابة بالظلم ، ومنهم من زاد مبالغة فكفرهم :

" كالكاملية أتباع أبي كامل فإنه كان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي بتركه قتالهم " .
(٢٨)

* وكفر الشيعة بعضهم بعضا حتى الفرقة الواحدة وهذه عادة أهل الأهواء ، فلا تعجب .

" فالبترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية علي تكفير أبي بكر وعمر .
والجارودية يكفرون السليمانية والتبرية ، لتركهما تكفير أبي بكر وعمر " .
(٢٩)

وهذه الفرق المنتسبة إلى الزيدية تخالف تماماً رأي الإمام زيد .

* وفرق الشيعة الأمهات يكفر بعضهم بعضاً .

يقول الإسفرائيني :

" واعلم أن الزيدية والإمامية منهم من يكفر بعضهم بعضاً والعداوة بينهم قائمة دائمة " .
(٣٠)

(٢٨) الفرق بين الفرق / ٥٤ .

(٢٩) المظدر السابق / ٣٤ .

(٣٠) التبصير في الدين / للإسفرائيني / ٤١ تحقيق كمال الحوت ٣٠٣

ويقول البغدادي

" وبين الزيدية وإمامية منهم معاداة تورث تظليل بعضهم

بعضاً . وقال بعض شعراء الإمامية يهجو الزيدية :

يا أيها الزيدية المهمله إمامكم ذا آفة مرطلة
يا رخمات الجوتباً لكم غتمت فأخرجكم لنا حنابلة

فأجابه شاعر الزيدية :

إمامنا منتصب قائم لا كالذي يطلب بالغريله
كل إمام لا يرى جهرة ليس يساوي عندنا خردله (٣١)

واليك قول امام من أئمة الشيعة الاثني عشرية :

قال صاحب التقيوم الذي هو من أجل علماء الإمامية عندهم
إن الشيعة المحضة قد تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة
والناجية منهم الاثنا عشرية ، والباقيون يعذبون في النار مدة
ثم يدخلون الجنة . دائماً أو منقطاً

فهم يثبتون جرماً في حق من يحب الأمير (٣٢) إما تعذيباً
دائماً أو منقطاً .

وأيضاً قال صاحب التقيوم : وأما سائر الفرق الإسلامية
فكلهم مخلدون في النار . (٣٣)

(٣١) الفرق بين الفرق / ٧١ .

(٣٢) المراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(٣٣) مختصر التحفة الاثني عشرية / ٢٠٧ : ٢٠٨ .

وهذا الاعتقاد مستمر إلى الآن وليس حدثاً تاريخياً عفى عليه
الزمن . غير أنهم يخفونه ليخدعوا مخالفيهم وخصوصاً أصحاب العواطف
وهذا من باب التقيّة .
ومن خير حال القوم بدقة وقف على شنائعهم ، وأخذ حذره .



الفصل السابع

الصوفية



الصوفية

نشأة التصوف :

متى نشأ التصوف ؟ وما سبب التسمية ؟ وأين ظهر ؟

— يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" أما لفظ (الصوفية) فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيخ :

كالإمام أحمد بن حنبل ، وأبي سليمان الداراني . وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به . (١)

— أما عن سبب التسمية فيقول ابن تيمية :

" وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي — فإنه من أسماء النسب : كالقرشي ، والمدني ، وأمثال ذلك .
فقيل : إنه نسبة إلى " أهل الصفة " .
وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك ل قيل : صفي .
وقيل : نسبة إلى الصف المقدم بسين يدي الله .
وهو أيضاً غلط ؛ فإنه لو كان كذلك ل قيل : صفي .

- وقيل : نسبة إلى الصوفة من خلق الله .

وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقال : صوفى .

- وقيل : نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طانحة ،

قبيلة من العرب ، كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ،

ينسب إليهم النساك .

وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف

أيضاً ؛

لأن هؤلاء غير مشهورين ، ولا معروفين عند أكثر النساك .

ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن

الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم

باسم " الصوفي " لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرى أن يكون

مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام . (٢)

- وقيل : - وهو المعروف - إنه نسبة إلى لبس الصوف .

- أما عن مكان ظهورها فيقول ابن تيمية :

" أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بني ديرة الصوفية

بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن

، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف

ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأعمار . " (٣)

ما سبق ندرك أن التصوف ظهر في آخر المائة الثانية . وكان ذلك
بالبصرة .

وسموا بذلك نسبة إلى لباس الصوف .

التنازع في الصوفية والتصوف :

لقد سلك الصوفية طريق الزهد ووقعت منهم مبالغات في ذلك ،
وظهرت فيهم أمور لم تكن معهوده لدى الجيل الأول من الصحابة
والتابعين كالصعق عند سماع القرآن . . . وغير ذلك .

وكان منهم العالم والجاهل ، والصادق والكاذب . . . لذلك تنازع
الناس في ذمهم ومدحهم .
يقول ابن تيمية :

" ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في
طريقهم :

— فطائفة ذمت " الصوفية والتصوف "

وقالوا : إنهم يتدعون ، خارجون عن السنة ، ونقل عن طائفة من
الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف ، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل
الفقه والكلام .

— وطائفة غلت فيهم ، وادعوا أنهم أفضل الخلق ، وأكملهم بعمد

الأنبياء (٤).

ثم عقب ابن تيمية على هذين الرأيين ، وبين الرأي الصواب فقال :
" وكلا طرفي هذه الأمور ذميم .

والصواب : أنهم مجتهدون في طاعة الله ، كما اجتهد غيرهم من
أهل الطاعة .

ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده .

وفيهم المقصد الذي هو من أهل اليقين .

وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب

فيتوب أو لا يتوب . (٥)

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه ، عاص لربه .

(٤) الفتاوى ١٨/١١

(٥) الفتاوى ١٨/١١

انحراف التصوف :

بدأ التصوف بالزهد في الدنيا ، والتقليل من طيبتها . وقســد راق لأناس انتسبوا إلى الإسلام ولهم عقائد موروثة منحرفة عن الإسلام ، راق لهم حركة الزهد هذه ، فانتسبوا إلى التصوف ، وانحرفوا به عن أصل مساره الذي هو الزهد وتركية النفس يقول ابن تيمية :

" التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه ، كقول بعضهم :

الصوفي : من صفا من الكدر ، واتلأمن الفكر ، واستوى عنده الذهب والحجر التصوف : كتمان المعاني ، وترك الدعاوى ، وأشبهاء ذلك .

وهم يسيرون بالصوفي إلى معني الصديق * (٦)

هذا هو الأصل ، لكن ماذا حدث للتصوف والصوفية ؟

" قد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ، ولكن عنــــد

المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم :

كالحلاج مثلاً ، فان أكثر شائخ الطريق أنكروه . وأخرجوه عن الطريق .

هـتل : الجنيد بن محمد سيد الطائفة . وغيره . كما ذكر ذلك الشيخ أبو

عبد الرحمن السلمي في " طبقات الصوفية " و ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في

تاريخ بغداد . " (٧)

(٦) الفتاوى / ١١ / ١٦ : ١٧ .

(٧) الفتاوى / ١١ / ١٨ .

قال أبو عبد الرحمن السلمي عند الكلام عن الحلاج :

" والشايخ في أمره مختلفون ، رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبوا أن يكون له

قدم في التصوف . " (٨)

وقال الخطيب البغدادي في الحلاج :

" الحسين بن منصور الحلاج ، يكنى أبا المغيث ، وقيل : أبا عبد الله .

وكان جده مجوسياً اسمه محمى من أهل بيضا فارس . . والصوفية مختلفون

فيه :

فأكثرهم نفى الحلاج أن يكون منهم ، وأبى أن يعمده فيهم . " (٩)

* لقد دخل في التصوف مبتدعون ، وحاقدون على الإسلام ، وأخذوا يخترعون

في الدين ، فأضافوا إليه ، ونقصوا منه ، وروجوا لبدعهم وخرافاتهم

وعقائدهم المنحرفة ، فراجت بضاعتهم لعدة أمور منها :

— انتشار الجهل بين الناس ، فصعب عليهم تمييز الحق من الباطل ، فوقعوا

في شباك المبتدعة .

— التأييد السياسي للمبتدعة .

فقد حصل المنحرفون على مساندة السلطان والدولة لاسيما سلطمان

الدولة الفاطمية الرافضية التي أهدت بدع المتصوفة ، وروجت لها ،

(٨) طبقات الموفيه / لابن عبد الرحمن السلمى / ٣٠٧ : ٣٠٨ تحقيق نور الدين

شريبه . مكتبة الخانجي : القاهرة ط سنة ١٣٨٩ - ١٩٦٩ .

(٩) تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي : ١١٢/٨ : ١١٤ الترجمة رقم ٤٢٣٢ .

وظهرت في عهدها بدع الموالد ، وتشبيد القبور بكثرة لم تعهد من قبل . فشاع التصوف المنحرف ، وأصبحت له الصولة والدولة والرواج والانتشار .

وقد لاقى التصوف المنحرف الذي اختلط بالفلسفة إنكاراً من أكثر شيوخ التصوفة المستقيمين .

يقول ابن تيمية :

" وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم : كالحلاج مثلاً : فإن أكثر شيوخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق . مثل :

الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره . كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن

السلمي في " طبقات الصوفية " وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد . " (١٠)

فبدخول الزنادقة والبتدعة في سلك التصوف ، صار هنالك نوعان من

التصوف :

تصوف الفلسفة والابتداع والجهل . وتصوف أهل العلم والاستقامة .

يقول ابن تيمية :

" فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية

وقال ابن الفارض السمي سلطان العاشقين - :

" فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن

منادى أجابت من دعاني ولبست

إن دعى الله أجاب ابن الفارض ، لأنه عينه ، وإن دعى ابن الفارض لبي

الله ، لأنه اسمه وسماء ! " . (١٤)

ويقول أيضا :

وكل الجهات الست نحوى توجهت بما تم من نسك وحج وعمرة

لها صلوات بالمقام ، أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلوات^(١٥)

ويقول أيضا :

وما كان لي صلى سوى ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل سجدة^(١٦)

(ب) وحدة الوجود :

أما وحدة الوجود فهي تعني انه ليس هناك موجود الا الله فليس غيره

في الكون ، وأن هذه المظاهر التي نراها هي مظاهر لحقيقة واحدة

هي الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

وقد قال بهذا الباطل والضلال كثير من الزنادقة مثل ابن عربي فقد

قال في فصوص الحكم :

(١٤) هذه هي الموفيه / ٤٠ .

(١٥) المصدر السابق / ٤١ .

(١٦) المصدر السابق / ٤٣ .

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الرب إلا راهب في كنيسة (١٧)

وقال :

" سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها " . (١٨)

وقال :

" إن العارف من يرى الحق " الله " في كل شيء بل يراه عين كل شيء " . (١٩)

ولقد خدع الناس كثيراً بهذا الباطل ثم تعرى في النهاية .

فقد صادر الأزهر تفسير ابن عربي لما فيه من الكفر البواح والضلال

الصراح ، مع أن الأزهر يؤوى التصوف إلى كنفه .

وأخيراً أحب أن أقول :

إن هناك انحرافين دخلا في التصوف :

أولاً : انحراف أنكره عامة التصوفة كالقول بالحلول والاتحاد ، ووحدة

الوجود ،

وهذا لن نضيع وقتنا معه لأنه هراء .

ثانياً : انحراف وقع فيه عامة التصوفة وهو موجود حتى الآن بكثرة مثل :

الغلوف في الصالحين ، والغلوف في النسك والأذكار ، والبالغ في

الزهد والتقشف .

وهذا هو الذي سنتحدث عنه في الصفحات القادمة - إن شاء الله -

لوجوده وانتشاره . .

(١٧) هذه هي الصوفية / ١٠٠

(١٨) المصدر السابق / ٤٨

(١٩) المصدر السابق / ٤٨

مظاهر الغلوفي التصوف :

لقد فشا الغلوفي التصوف بعد انحرافه ، وان أبرز مظاهر

الغلوفية هي :

(١) الغلوفي الصالحين . وله عدة مظاهر .

(٢) الغلوفي النسك .

(٣) المبالغة في الزهد .

وسوف نتناول كل مظهر من هذه المظاهر بكلمة تناسب

المقام .

أولاً : الغلو في الصالحين ومظاهره :

لقد أثنى الله تعالى على أوليائه ، ورفعهم درجات ، وبشرهم بالخير في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٠﴾**
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٠﴾

فولى الله هو المؤمن التقى كما بينت الآيات :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٢١﴾

ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٢﴾

ولقد أعلن الله الحرب على من آذى أوليائه وعاداهم .

من عادى لى ولئيا فقد آذنته بالحرب . . . (٢٢)

هذا قبس من تكريم الله لأوليائه .

ومع هذا التكريم حذرنا الإسلام من الغلو فيهم بأن نخلط بين حقوقهم

وحقوق الله عز وجل .

فأولياء الله - مها ارتفعت مكانتهم - عبيد لله رب العالمين .

إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَنِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ﴿٢٤﴾

(٢٠) يونس / ٦٤٤٦٢

(٢١) البقرة / ٢٥٧

(٢٢) محمد / ١١

(٢٣) (خ / ١١ / ٣٤٠ - ٦٥٠٢) .

(٢٤) مريم / ٩٣

غير أن جهال الصوفية انصرفوا عن سبيل الإسلام القويم ، وغلوا
في الصالحين .

ولقد تجلى غلوهم هذا في عدة مظاهر منها :

(١) المبالغة في المدح والإطراء .

(٢) تشييد القبور وبناء المساجد عليها .

(٣) صرف بعض العبادات لهم مثل : الدعاء والذبح والنذر

(٤) إقامة الموالد لهم .

— فلقد صاغوا مئات القصائد الطوال في المديح الغالي، والإطراء المجاوز
للحدود .

وظنوا أن ذلك يقربهم إلى الله ، ويرضيه عنهم . فمن ذلك قول

البرعي : (٢٥)

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| يارسول الله ياذا الفضل يا | بهجة في الحشرجاهاً ومقاماً |
| عد على عبدالرحيم الملتجى | بحمى عرك ياغوث اليتامى |
| وأقلني عشرتي ياسمى | في اكتساب الذنب في خمسين عاماً |

وقال بعضهم في قصيدة في بعض شيوخهم : (٢٦)

(٢٥) تيسير العزيز الحميد / ٢٥٥ .

(٢٦) المصدر السابق / ٢٢٦ .

ياسمىدى يا صفي الدين ياسمىدى يا عمدتي بل وما ذخرى ومفخرى
أنت الملاذ لما أخفى ضرورته وأنت لسي طجاً من حادث الدهر

هذه بعض النماذج اليسيرة ما طفحت به كتب التصوفة وما
يتداول في مجالسهم ومخاطبتهم .

ولقد نهى الإسلام عن المديح الغالي والإطراء فقال صلى الله عليه
وسلم :

لأنظرون كما أطرت النصارى ابن مريم ، (٢٧)

فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله «

ولقد ذم صلى الله عليه وسلم المداحين الكذبة وحث على مطاردتهم
وعقابهم . فقال :

« إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْشُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . (٢٨)

أما إذا كان المدح بالحق ، وبدون إسراف فلا بأس به .

قال تعالى في الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ . (٢٩)

وقال صلى الله عليه وسلم :

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا . (٣٠)

(٢٧) (خ ٤٧٨/٦ - ٣٤٤٥) . (حم ١/٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧) .

(٢٨) (م ٢٢٩٧/٤ - ٣٠٠٢) . (ت ٤/٥٩٩ - ٢٣٩٣) .

(٢٩) القلم ٤/

(٣٠) (خ ١٢/٦ ، ١٧ - ٣٦٥٤ : ٣٦٥٦) . (م ١٨٥٤/٤م - ٢٣٨٢) .
(ت ٦٠٦/٥ - ٣٦٥٥) (ج ١/٢٦ - ٩٣) (حم ١/٢٠٧) .

ثم ان التصوفة لم يكتفوا بغلوهم في مجال القول بالمدح والإطراء بل تجاوزوا ذلك إلى مجال خطير كما تجاوز غيرهم . فبنوا القبور للصالحين وشيدوها ، وتوغلوا في الانحراف فاتخذوا القبور مساجد ، وزادوا خطوة فنذروا النذور لهؤلاء الصالحين ، ونحروا الذبائح لهم ، وتوجهوا إليهم بالدعاء وأقاموا لهم الموالد العريضة والاحتفالات . فخرجوا بذلك عن خط الإسلام المعتدل القويم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

" فقد فشا في بلاد كثيرة بناء المساجد على قبور الموتى ، اعزازاً لذكراهم ، وتقرباً إلى الله - كما يقال - بمحبتهم ومجاورتهم . مع أن النصوص قاطعة بمنع هذا العمل ولعن مرتكبيه . وكان أولى بهؤلاء البائسين أن يدعوا الموتى ^(٣١) إلى ما قدموا ، وأن يقفوا عند حدود الله ، فلا يعصون وصاياه . . . "

وهذه البدعة تسربت إلى المسلمين عن النصرانية بعد تحريفها . فقد صح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، يقال لها " مارية " وذكرت مارآته فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٣١) يدعوا : يتركوا .

« إِنَّ أَوْلِيكَ^(٣٢) ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ،
وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ . أَوْلِيكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (٣٢)

وهذه البدعة دخلت النصرانية من الوثنية الأولى .

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس وغيره من السلف أن ودأوسواعاً
وأخواتهما كانوا قوماً صالحين من أمة نوح عليه السلام . فلما ماتوا عكفوا على
قبرهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعمسدهم ، فكان
هذا مبدأ عبادة الأصنام (٣٣)

وإغلاقاً لأبواب الفتنة ، وسداً لذرائع الفساد ، شدد النبي عليه
الصلاة والسلام على المسلمين في حظر هذا السلك ، وعزم عليهم أن ينفذوا
أيديهم من الموتى ، وأن يستقبلوا الحياة بجهدهم وعزمهم ، دون
تعويل على صالح مات أو بقى . فالإيمان لا يجدى عليه - أمام ربه
- إلا صالح عمله .

وفى هذا الإرشاد المبين يقول :

« لَا تَصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ . وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا » . (٣٤)

ويقول : « لَعَنَّ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى . اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » . (٣٥)

ويقول : « الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ . إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحِمَامَ » . (٣٦)

(٣٢) (خ ٥٢٣/١ : ٥٢٤ - ٤٢٧) (م ٣٧٥/١ - ٥٢٨) .

(٣٣) تفسير الطبري / مج ١٢ / ٩٩ .

(٣٤) (م ٦٦٨/٢ - ٩٧٢) (س ٢٩٤/٣ - ٣٢٢٩) (ت ٣٥٨/٣ - ١٠٥٠) .
حم ١٣٥/٤ .

(٣٥) (خ ٢٠٠/٣ - ١٢٣٠) (م ٣٧٦/١ - ٥٢٩ : ٥٢٢) .

(س ٢٩٤/٣ - ٣٢٢٧) (حم ٢٨٤/٢ ، ٢٨٥ ، ٣٦٦) .

(٣٦) (ج ٢٤٦/١ - ٧٤٥) (حم ٨٣/٢ ، ٩٦) .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخصيص القبور والبناء عليها . وكان يوصى جيوشه - وهو يطارد الوثنية في جزيرة العرب
" أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثَلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ . وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ " (٣٦)

وعن المعرور بن سويد قال : مليت مع عمر بن الخطاب - في طريق

مكة - صلاة الصبح ، فقرأ فيها :

" الرُّكِّيْفُ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ " (٣٧)

و " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (٣٨)

ثم رأى الناس يذهبون مذاهب بعد انصرافهم من الصلاة -

فقال : أين يذهب هو ؟

فقال : يا أمير المؤمنين - مسجد ، صلى فيه رسول الله ﷺ

فهم يطلون فيه !!

فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار

أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً .. !! فمن أدركته الصلاة

في هذه المساجد فليصل . ومن لا فليمض ولا يتعمدها .. " (٣٩)

(٣٦) (٢م/٦٦٦ - ٩٦٩) (٣٥/٢٩١ - ٣٢١٨) . (٣٣/٣٥٧ - ١٠٤٩)

صا (حم ١/٩٦ ، ١١١ ، ١٢٩)

(٣٧) الفيل /١

(٣٨) قريش /١

(٣٩) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب /١٢٢ : ١٢٣

" وقد دعا رسول الله ﷺ ربه ألا يكون قبره
بعده عيداً " (٤٠) - موسماً -

والخبراء بحقائق الأديان وطبائع النفوس يعرفون وجه الحكمة
فيها أمر به الله ورسوله ، من تحريم أتخاذ القبور ما جدد .
إن رجاء البركة أول ما يذكره الخارجون على هذه النصوص ، أو
المحرفون لها . لكن هذه البركة المزعومة سرعان ما تتحول إلى
تقديس للهاكين واتجاه إليهم بالأدعية والندور ، واستمراخ بهم
في الأزمات والنوائب .
فإننا لم يكن الأمر شركاً محضاً فهو مزلفة إليه ، مهما كابر
المعاندون .

وقد رأيت عشرات من الظلمات المكتوبة ، ترمى في فريخ الإمام
الشافعي ، أو ترسل إليه بالبريد !!
وسمعت المئات من سفهاء العامة ، يلهثون بالنجوى الحارة حول قبر
الإمام الحسين وغيره !!

ولم أر أسفه من هو٤٤٤ وأولئك إلا الذين يعتذرون عنهم . من

معاليك المتموفه وأدعياء المعرفة .

على أن علاج هذه المناكر المبتدعة ، لا سبيل اليه إلا

بإشاعة العلم والخلق ، وتهذيب العقول والطباع .

فإن النهي ملوات الله وسلامه عليه لم يهدم الأضام إلا بعد

أن مكث عشرين عاماً ، يكون الأمة التي توءمن بالله ، وتكفر

بالتواغيت " (٤١)

* ولم يكتف المتصوفة بذلك بل زادوا في انحرافهم وغلوهم في

المالحين فأقاموا الموالد لهم .

وفي هذه الموالد تجلت الموفيه في ثوبها البالي السيء . فما

أصل الموالد ؟

وماذا يحدث فيها ؟

وما حكم الإسلام عليها ؟

يقول الشيخ محمد الغزالي :

" ان أصل الاحتفال بالموالد يرجع إلى الفاطميين فهم أول من أحدثها

(٤٢)

بالقاهرة في القرن الرابع الهجري حيث ابتدعوا ستة موالد :

" المولد النبوي ، ومولد الإمام علي ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ،

ومولد الحسن والحسين ، ومولد الخليفة الحاضر " .

(٤١) ليس من الاسلام / محمد الغزالي / ٢٠٧ : ٢٠٩ / دار الكتاب الحديثه

القاهرة سنة ١٤٠٣ .

(٤٢) انظر الخطط المقرزية / ٢ / ٢٧٤ طبعه بولاق .

ثم توسع الناس في الأمر ، فإذا مات من يحبونه مالحاً ، بنوا
له ضريحاً وقبة ، وجعلوا هذا القبر مزاراً ، واحتفلوا بما حبه
مرة أو أكثر كل عام .

وفي هذه الموالد التي يحبها الموفيه ترى العجب العجيب
فماذا يحدث ؟

" الحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة
ففي ساحتها الواسعة ينتشر الرقعا ء دون خجل ، ويختلط النساء بالرجال
في الأكل والنام ، وكثيراً ما تقع جرائم الزنا واللواط ، ويدخن
الحشيش ، وتسمع الأغانى والموسيقى الخليعة ، وتختفى روح الجسد
وتقدير الأمور ، لتحل مكانها قلقاً لا كتراث ، وقبول الدنيا .. كما تختفى
النظافة من الما جد ، وتضطرب الأوقات والجماعات ، ودعمك من
أن الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبةٌ فرما ضمن
أحدهم على أمه بقروش يبرها بها في الوقت الذي يبسط يده بالنفقة
هنا ، إكراماً لما حب المولد ، الذي لا يخيب قامداً ولا يرد طالباً .. !
وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقاتٍ للذكر ، ودروساً
للعلم ، وتلاوةً للقرآن ، وإطعاماً للفقراء والمساكين ...
ولو خلت الموالد من الآثام التي سقناها آنفاً ، لوجب تعطيلها
أيضاً لمظاهر التدين الفاسد التي تسودها .

فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان من الرقص الذي يسود
وجه الدين .

أما القرآن المتلوفى هذه الساحات فما ينتفع به تالٍ ولا
سامع . إنه فناء مملول النغم ، يتصنع له بعض المامعين
شيئاً من الإقبال ، ريثما يفرغ منه .

وكذلك الوعظ فى دروس الوعظ والإرشاد التى ينظمها الأُهر
الآن يبغى بها تعليم الجماهير المحتشده فى هذه الموالد . تلك
كلها محاولات عابثة وإهدار لقيمة الذكر الحكيم والحديث
الشريف .

ولو افترضنا بعض الخير فى هذه الأعمال ، فإنها لاتعد
مبرراً لإقامة الموالد بعدما أوضنا الشرور التى تكتنفها .

وقانون الشريعة فى هذا : أن درء المفاسد مقدم على جلب
الممالح

قال ابن حجر :
" ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر؟

وفظم عن جميع أنواع الشر حيث قال رسول الله ﷺ :

" فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ،

وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » (٤٣)

أى أن الشر - وان قل لا يرخس فى شىء منه . والخير يكتفى

منه بما أمكن !..

فكيف نفتح باب شر متيقن لخير موهوم ؟

ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم ؟

عمل لم يفعله الرسول ﷺ ، ولا صحابته ، ولا التابعون

لهم بإحسان قرونًا طويلة .^(٤٤)

(٤٤) ليس من الاسلام / ٢٤١ : ٢٤٢ .

ثانياً : الغلو في الزهد في الدنيا :

من الأمور البارزة التي اشتهر بها المتوفون هي مبالغتهم

الشديدة في الزهد في الدنيا .

وقد أثار عنهم الشيء الكثير في هذا المجال ، فرفضوا

الدنيا جملة ، وقللوا المطعم والمشرب لدرجة شديدة . وتركوا

النكاح . وساحوا في الأرض ، وغير ذلك مما رفضه الشرع .

واليك نماذج تدل على غلوهم :

قال ابن الجوزي وهو يتحدث عن الصوفية :

" كان في القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته ، وفيهم من

يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن .

فروى لنا عن سهل بن عبدالله أنه كان في بدايته يشتري بدرهم

دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة

وستين كرةً فيفطر كل ليلة على واحدة ."^(٤٥)

وقد نقلت عنهم أقوال غالية في هذا المجال .

فكان أبو سليمان يقول :

" الزيد بالعسل إسراف "^(٤٦)

(٤٥) تلبس إبليس / ٢٠٦ .

(٤٦) المصدر السابق / ٢٠٧ .

وقال عبدالله بن زيد :

" منذ أربعين سنة ما طعمت نفسى طعاماً إلا فى وقت ما أحل الله
لها الميتة " .^(٤٧)

وهذه قصة يرويها ابن الجوزى يتجلى فيها تنطع القوم فيقول
" جاء رجل الى أبى يزيد قال : أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت
فيه .

قال : لا تطيق ذلك .

فقال : إن رأيت أن توسع لى فى ذلك .

فأذن له فجلس يوماً لا يطعم نصبر ، فلما كان اليوم الثانى قال

له : يا أستاذ ، لا بد مما لبد منه .

فقال : يا غلام ، لا بد من الله .

قال : يا أستاذ ، نريد القوت .

قال : يا غلام ، القوت عندنا إطاعة الله .

فقال : يا أستاذ ، أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل .

فقال : يا غلام إن الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل"^(٤٨)

(٤٧) تلبيس ابليس / ٢٠٧ .

(٤٨) الممدد السابق / ٢٠٨ .

قال أبو أحمد الصغير : أمرني عبدالله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر جبات زبيب لإفطاره ، فأشفت عليه ليلة فحملت إليه خمس عشرة جبة فنظر إلي وقال :

من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر جبات وترك الباقي ^(٤٩)

وقد جمع ابن الجوزي ، كثيراً من حال القوم في قوله :

" وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم ، حتى قال بعضهم : أكل درهم من اللحم يقس القلب أربعين صباحاً . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الدينوي نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت :

قال رسول الله ﷺ : " احرموا أنفسكم طيب الطعمام

فإنما قوى الشيطان أن يجري في العروق بها " . ^(٥٠)

وفيه من كان يمتنع عن شرب الماء المالح .

وفيه من يمتنع من شرب الماء البارد في شرب الحار .

ومنهم من كان يجعل ما في دن مدفون في الأرض فيمير حاراً .

ومنهم من كان يعاقب نفسه بترك الماء مدة ^(٥١)

(٤٩) تلبيس إبليس / ٢٠٩ .

(٥٠) قال ابن الجوزي : الحديث موضوع عملته يدا بزيغ الراوي ، انظر

تلبيس إبليس / ٢٠٩ .

(٥١) تلبيس إبليس / ٢٠٩ : ٢١٠ .

والفواكه واللذة ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها
أفراح للنفس فيمنح النفس لذتها حتى تملأ غمماً (٥٤)

” وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية . يبقى أحدهم أربعين
يوماً لا يأكل الخبز ، ولكنه يشرب الزيوت ، ويأكل الفواكه الكثيرة
اللذيذة .” (٥٥)

* هذه نبذة يسيرة من حال القوم ، وسلوكهم الغالى الحائس
عن سبيل الإسلام الوسط القويم فلم يصبوا الخير . فالخير
فى هديه ﷺ فهو خير الهدى .

وقد كان هديه ﷺ وميرته فى الطعام : لا يرد موجوداً
ولا يتكلف مفقوداً ، فما قرب إليه شئ من الطيبات إلا أكله ، إلا أن
تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم ، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه
أكله ، وإلا تركه ، كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ، ولم يحرمه
على الأمة ، بل أكل على ما نذته وهو ينظر ، وأكل الطوى والعسل
وكان يجهما ، وأكل لحم الجوز والظأن والدجاج ولحم الجارى ، ولحم

(٥٤) تلبيس ابليس / ٢١٠ : ٢١١ .

(٥٥) الممدد السابق / ٢١١ .

حمار الوحش ، والأرنب ، وطعام البحر ، وأكل الشواء ، وأكل الرطب
والتمر وشرب اللبن خالماً ومشوباً ، والسويق والعمل بالماء ، وشرب
نقيع التمر ، وأكل الحريرة ، وهي حواء يتخذ من اللبن والدقيق
وأكل القثاء بالرطب ، وأكل الأظ ، وأكل التمر بالخبز ، وأكل الخبز
بالخل ، وأكل الشريد : وهو الخبز باللحم ، وأكل الخبز بالاهالة
وهي الودك وهو الشحم المذاب . وأكل من الكبد المشوية ، وأكل
القديد ، وأكل الدباء المطبوخة ، وكان يجها ، وأكل المسلوقة ،
وأكل الشريد بالسمن ، وأكل الجين ، وأكل الخبز بالزيت ، وأكل
البطيخ بالرطب ، وأكل التمر بالزبد وكان يحبه .

ولم يكن يرد طيباً ولا يتكلفه ، بل كان هديه أكل ما تيسر فإن

أعوزه صبر ، حتى انه ليربط على بطنه الحجر من الجوع ، ويرى

الهلال والهلال والهلال فلا يوقد في بيته ﷺ نار (٥٦)

هكذا كان هديه ﷺ : توسط واعتدال ، فلا شره ولا

حرمان ، لا تحريم للطيبات ولا تكالب عليها . بل التناول منها بقدر
الحاجة . وعلى هذا الهدى سار السلف المالح من الصحابة الكرام والتابعين
لهم بإحسان ومن اقتفى أثرهم .

(٥٦) زاد المعاد / لابن القيم / ٧٧: ٧٦/١ تحقيق محمد حامد الفقى .

* ومن مظاهر الزهد الغالى عند الصوفية تركهم النكاح .

" فقدماءهم تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد ، ورأوا النكاح شاغلاً

(٥٧)

عن طاعة الله عز وجل "

" أما جماعة من متأخري الصوفية فإنهم تركوا النكاح ليقال : زاهد .

والعوام تعظم الصوفى إذا لم تكن له زوجة فيقولون : ما عرف امرأة

قط . . .

قال أبو حامد :

" ينبغي أن لا يشغل المرید نفسه بالتزويج ، فإنه يشغله عن

(٥٨)

السلوك ، ويأنس بالزوجة ، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى

* إن ملك التصوف هذا خارج عن الاعتدال إلى الغلو ، مناف لهدى

القرآن ، ومنهج الرسول الأكرم ﷺ : قاله تعالى من على

عباده بقوله : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٥٩)

وقال ﷺ : لجاير :

« فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ » (أَوْ قَالَ : تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ) ، (٦٠)

وهل ملئ الله عليه ولم يرشده إلى ما يقطع أنسه بالله ؟

كلا . . كلا . . بل إلى ما يعينه على طاعة الله .

(٥٧) ، (٥٨) تلبيس إبليس / ٢٩٤ : ٢٩٥ .

(٥٩) الروم / ٢١ .

(٦٠) (خ / ٩ - ١٢١ - ٥٠٧٩ : ٥٠٨٠) (م / ٢ / ١٠٨٧ : ١٠٩٠) .

وقد أنكر ﷺ على من أرادوا أن يهلكوا سبيل الغلو

ظناً منهم أن ذلك يقربهم إلى الله .

وقال كلمته المجدية لمنهج الاعتدال :

” أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،

لكني أصوم وأفطر ، وأصل وأرقد ، وأتزوج النساء ،

ومن رغب عن سنتي فليس مني ، (٦١)

وإليك نبذة من الهدى النبوى فى معاشره الأهل :

قال ابن القيم :

وكان يقول ﷺ :

” خيركم خيركم لأهله . وأنا خيركم لأهلي . (٦٢)

وكان ربما مديده إلى بعض نساك فى حضرة باقيهن .

وكان إذا طى العصر دار على نساك فدنا منهن ، وأستقرأ أحوالهن

فإذا طأ الليل أنقلب إلى بيت حاجه النوبة . فخصها بالليل ،

وقالت عائشة : ” كان لا يفضل بعضنا على بعض فى مكثه عندهن فى القسم

وقل يوم إلا كان يطوف علينا جميعا ، فيدنو من كل امرأة من غـسـير

مسيح ، حتى يبلغ التى هو فى نوبتها فيبيت عندها . (٦٣)

(٦١) (خ ١٠٤/١ - ٥٠٦٣) (م ٢ / ١٠٢٠ - ١٤٠١) .

(٦٢) (جه ٦٣٦/١ - ١٩٧٧ : ١٩٧٨)

(٦٣) زاد المعاد / ١ / ٧٨ : ٧٩ .

معنى الزهد :
=====

إن الصوفية أخطأوا فهم معنى الزهد ، فجعلوه هو الحرمان
أو ترك الطيبات ، وصدر منهم ما صدر ، ونحب هنا أن نبين معنى
الزهد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه :

" الزهد المشروع : ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة ، وأما كل ما
يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل
ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع " (٦٤) .
بهذا المقياس الدقيق السليم ندرك خطأ الصوفية في تمورها
للزهد إذ جعلوا من شروطه الفقر وترك الأموال ، والعزوف عن
الطيبات ، وتعذيب الجسد وحرمانه مما يملحه . وهذا تمسور
خاطيء .

" فالزهد قد يكون مع الغنى ، وقد يكون مع الفقر ، ففس

الأثبيا ٤ والسابقين الأولين ممن هو زاهد مع غناه كثير " (٦٥) .

وفي نبي الله داود وطيحان ، ويوسف القدوة الحسنة . فقد
كانوا أغنياً عباداً زهاداً ، وكذلك كان كثير من السلف الأول : كأبي بكر
، وعثمان ، وعبدالرحمن بن عوف ... رضوان الله عليهم .

(٦٤) الفتاوى / ١١ / ٢٨٥٢٧

(٦٥) الفتاوى / ١١ / ٢٧٠

ثالثاً : الغلو في العبادة :

من الأمور التي غالى فيها الصوفية وأشتهرت عنهم : العبادة والغلو فيها . وقد رسم مشايخهم لأتباعهم الطريق ومن معالمه نصيب كبير من الأوراد والأذكار والصلاة والصيام لا يمكن النهوض به إلا بأرهاق الجسد وهضم حقوقه ، وتضييع حقوق الكثيرين وهجر الحياة وتعميرها إلى الخلوات والأربطة .

وقد تجاوزوا صور العبادة المشروعة إلى أنواع أبتدعوها وأصلوها وألزموا بها من يريد الانتماء إليهم .

وبذلك شابه منحرفو الصوفية مبتدعي الرهبانية وخرجوا عن الطريق الوسط الذي رسمه الإسلام لأتباعه .

العبرة بالمعاني لا المباني :

قد يغضب أناس ممن انتسبوا الى التصوف مما ذكر عن الصوفية

ويقولون : نحن لسنا كذلك .

وقد يسمع آخر أن فلاناً صوفى فيبادر الى رميهِ بكذا وكذا

فيصيب ويخطئ^{٥٤}.

فأجبت أن أختم هذا المبحث بهذا التنبيه وهو أن العجبة

بالمعاني والمضامين لا المباني والعناوين .

واننا قد تحدثنا عن غلو الصوفية من خلال كلام من أنتسبوا

الى التصوف وهم محسوبون عليه ، وكلامهم هذا يفر من

يتبعه لمخالفته لهدى الإسلام المعتدل، فوجب علينا التنبيه عليه

واننا نبهنا عن المعاني السيئة ، ولا يهمننا العنوان والاسم

والى هذا ينبغي أن توجه الهمة .

يقول ابن تيمية مشيراً الى هذا المعنى :

" أولياء الله : هم المؤمنون المتقون ، سواء سمي أحدهم فقيراً

أو صوفياً أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جدياً أو مانعاً أو

أميراً أو حاكماً أو غير ذلك . (٦٦)

قال الله تعالى :

الْأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَوْفُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ (٦٧)

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

ويقول " ثم لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيها أمور يجبهها الله ورسوله فتلك يوعمر بها وإن سميت فقراً أو تصوفاً لأن الكتاب ، والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج عن ذلك بأن تسمى باسم آخر كما يدخل في ذلك أعمال القلوب بالتوبة والمبر والشكر والرضا ، والخوف والرجاء والمحبة والأخلاق المحمودة .

وقد أدخل فيها أمور يكرهها الله ورسوله كما يدخل فيه بعضهم نوعاً من الحطول والاتحاد ، وآخرون نوعاً من الرهبانية المبتدعة في الإسلام ، وآخرون نوعاً من مخالفة الشريعة إلى أمور ابتدعوها إلى أشياء أخرى ، فهذه الأمور ينهى عنها بأى اسم سميت

والمؤمن الكيس يوافق كل قوم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة وأطاعوا فيه الله ورسوله ، ولا يوافقهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة أو عصوا فيه الله ورسوله " (٦٨)

(٦٧) يونس / ٦٢ : ٦٣ .

(٦٨) الفتاوى / ٢٨ / ١١ : ٢٩ .

فكثيراً ما رأينا أناساً يتناحرون ، وتنشب بينهم الممارك
من أجل إطلاق أسماء ونفيها .

هذا يطلقها ويريد معنى سيئاً فيذم ويقدم ، وذاك يريد معنى
حسناً فيثني ويمدح ، ويغضب ممن يذم ويقدم ..

فتنشأ الخلافات ، وتوغر الصدور ، ويتسع الشقاق .

ولو وزن الفريقان أقوالهم وأفعالهم بما كان عليه رسول الله واصحابه
لاهدوا الى سواء الصراط ، ولارتفع النزاع والشقاق .

تلك فكرة موجزة ، ونظرة عابرة على تاريخ الغلو وأهله ،
وفي الحقيقة ان استقراء الحديث عن الغلو وأهله قديما يطول
جدا .

لذلك اكتفي بما عرضته .

والآن ننتقل الى الحديث عن الغلو في العصر الحديث ، و تحليل
هذه الظاهرة ، والكشف عن أهم اسبابها و دوافعها ، ثم
بيان طريق العلاج .

الباب الثاني

ظاهر الفلوفى المصر الحديث

تمهيد
نقطة على العصر الحديث

نظرة على العصر الحديث :
=====

قبل الكلام عن الغلو حديثاً ، أحببت أن أشير إلى العصر الحديث والأوضاع التي سادت فيه ، والتي كان لها أثر في بروز ظاهرة الغلو .

ففي أواخر القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي بدأت سيطرة دول الكفر على بلاد العالم الإسلامي فلم ينج منها إلا النذر اليسير .

وبدأ أعداء الله يعطون بلا كلل ، ويخططون بلا ملل لسلب المسلمين عن دينهم .

" وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ امْتُنعُوا " (١)

* فعملوا على تفتيت وحدة المسلمين ، وتمزيق شملهم ففشوا الأفكار القومية ، وشجعوا الوطنية ، فانفرط عقد المسلمين ، فبعد أن كانوا

إخوة متحابين صاروا أحزاباً متعصبين " كَلَّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ " (٢)

* وبذلوا كل غال وثمين لإسقاط الخلافة الإسلامية فأسقطوها بمسود مخططات ومؤامرات ، فازداد المسلمون ضعفاً إلى ضعفهم ، وازداد تسلط أعداء الله ، وشنوا حملة شعراء على الإسلام وأهله .

(١) البقرة / ٢١٧ .

(٢) المؤمنون / ٥٣ .

* فهدروا أفكار العلمانية اللادينية ، وفصلوا الدين عن الدولة ، وجاءوا بالقوانين الوضعية . . .

* وعملوا على إفساد الجيل السلم اجتماعياً . . .

* وشجعوا الانحراف الاقتصادي . . .

* وحاربوا الدين ، وسخروا من أهله المتسكين به . .

* وإلى جانب هذا اهدتوا إلى حيلة خبيثة هدامة ، ألا وهي تشجيع

البدع والخرافات ، والموائد والحلقات . . والطرق والفرق ، وأبـدوا

ذلك تأييداً عظيماً ، فتن الكثير من ضعفاء النفوس والعقول .

* وتدهور حال العالم الإسلامي للمكائد التي حيكت له ، ولبعده عن التمسك

المطلوب بكتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

وانطبق على المسلمين قوله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كاتداعى

الآكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال :

بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله

من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ،

فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا

وكرهية الموت) . (٣)

(٣) (حم ٥ / ٢٧٨) (٤٥ / ٤٨٣ - ٤٢٩٧) .

وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٢ / ٦٨٣ - ٩٥٨ .

* كما خطط أعداء الإسلام بخبت ودقة لإيجاد جيل جاهل
بدينه ، ذى قلب وعقل ونزعة غريبة فأفسدوا مناهج التعليم ،
فكان هذا غزواً فى الصميم . (٤)

* وفى وسط هذه الظلمات الحالكة كان هناك ومضات خير ، فعالت
صيحات بعض المصلحين تدعو الناس إلى الإفاقة من غفلتهم ، واليقظة
من نومتهم ، والتمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .
لاسترداد العز السليب ، والمجد المصوب . تدعوهم للقضاء على السذل
برفع راية الجهاد . فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا .

قال صلى الله عليه وسلم :

(إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ،
وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (٥)

* فرجع المسلمون إلى ما كانوا عليه ، ورفعوا راية الجهاد فقمع
أهل الزيغ والفساد ، وطهرت منهم البلاد .
* وعند خروج هؤلاء الأعداء ، جاءوا بأناس تربوا على أفكارهم وتسلموا
قيادة البلاد ، ولقد صدرت منهم مواقف غريبة ، حيث أنزلوا المحن ببعض

(٤) انظر كتاب " غزو فى الصميم " / عبدالرحمن حبنكه الميدانى .

(٥) (مجم ٢ / ٤٢ ، ٨٤) وانظر السلسلة الصحيحة للالبانى ١ / ١٥ -

بمضى جلدتهم من المسلمين ، كان من نتائجها بروز أفكار غالية ، ومواقف قاسية من بعضهم .

* وعادت الانتعاشة لأمة الإسلام مرة ثانية .

* ومع هذا الاستبشار كان هناك بعض السلبيات منها :

١ - بروز بعض الأفكار الغالية ، العائدة عن وسطية الإسلام واعتداله .

٢ - الشدة في المعاملة مع الآخرين .

وأخذت هذه السلبيات تنتشر بين بعض الشباب وتتسع رويداً رويداً حتى انتشرت في أماكن عدة وأصبحت تشكل ظاهرة تشغل بال العلماء ، والربيين والدعاة والمفكرين واحتاج الأمر إلى بذل جهود عاجلة لمعالجة هذه الظاهرة . وإيقاف انتشارها ، للحد من ضررها .

* وهذه الرسالة جهد من الجهود التي تبذل لتحليل تلك الظاهرة وبيان معالمها ، والكشف عن أسبابها ودوافعها ، وتجليات آثارها وخطورتها ثم تقديم العلاج .

وأسأل الله التوفيق والسداد .



الفصل الأول

تهذيب الامور



مظاهر الغلو في العصر الحديث :

إن الغلو علة تصيب بعض أتباع الأديان . وهذه العلة لها أعراض ودلائل ، وعلامات ومظاهر .

وفي هذا الباب سأتناول أهم هذه المظاهر وأجلاها وسأناقش هذه المظاهر ، وأبين موقف الإسلام منها .

• ومنهجي في بيان المظاهر ليس هو السرد للحكايات، وإنما القصص والمواقف للأشخاص .

ولكنه استخلاص الملامح العامة التي تجمع مظاهر الغلو عند الغلاة مع تعدد فرقهم ، واختلاف جماعاتهم .

وقد تحاشيت ذكر الأسماء مكتفياً بالإشارة إلى الداء وتحليله ثم تقديم الدواء .

وذلك اقتداءً بهديي صلى الله عليه وسلم في مواجهة الغلو والغلاة وتقديم العلاج .

حيث قال : " ما يزال أقوام يقولون كذا وكذا " . فقد أغفل ذكر أسمائهم واكتفى بعلاج خطئهم .

الفصل الاول : تسهيل الأمور
=====

- لقد أمر الإسلام بأفعال متفاوتة الراتب فمنها الفرض والسنة ،
أو الواجب والمستحب ، ومنها المباح .

- ونهى عن أشياء متفاوتة الراتب أيضاً فمنها الحرام والمكروه .

- وينبغي أن نعلم أن الأمور الواجبة متفاوتة أيضاً وكذلك الأمور
المحرمة

- إذاً فما أمر به الإسلام ما هو عظيم جليل خطير ومنه الميسر .
وكذلك ما نهى عنه منه العظيم ومنه الميسر .

فينبغي للمرء أن يفرق بين هذه الأمور جيداً لأن الخلل في التفرقة
يوقعه في الإفراط أو التفريط فمن عظم الميسر والمخ فيه فهو غالي . ومن
هون العظيم وقل منه . فهو مقصر .

وبما أن البحث في الغلو فإني سأتناول تعظيم الميسر لأنه علامة على
الغلو .

* لقد أقبل شباب الإسلام في هذا العصر على دراسة دينه ، وتعلم
أحكامه ، وأخذ في التمسك به ، وعظموه في قلوبهم . . . بصدق وإخلاص ،
وعزم وحماس . غير أن بعضهم خرج عن الاعتدال قليلاً أو كثيراً في نظرته
للأمور ، وتقييمه لها ، وحكمه عليها ، فكبر صفاتها ، وعظم هيئاتها .
ورتب على ذلك أموراً خطيرة مع أصحابها . ولهذا السلك أسباب .

أسباب تهويل الأمور :

ويرجع السبب في تعظيم الأمور الخفيفة إلى أشياء منها :

(١) عدم العلم بمراتب الأحكام وهي : الواجب ، الحرام ، والمنسذوب ، والمكروه ، والباح . فأدى عدم العلم بحدودها وضوابطها إلى الخلط بين المنسذوب والواجب ، والمكروه والحرام . فأعطى المنسذوب فوق ما يستحق ، وأعطى المكروه فوق ما يستحق . لذلك ينهني الرجوع إلى كتب أصول الفقه لمعرفة حدود كل حكم وضابطه حتى تتلافى الخلط والوقوع في تعظيم اليسير ، أو تهويل عظيم .

(٢) رأينا بعض هؤلاء يبدأ التزامه بدينه بالتمسك بالسنن والمستحبات مع الفرائض والواجبات ، لكن كان التركيز على السنن والمستحبات أكثر ، لأن المحافظة عليها مرتبة أعلى وهو يطلب العلا ، ولأن كثيراً من الناس لا يحافظ على ذلك ، كما يحافظ . ولأهك أن هذا قصور عن الكمال .

ولكنة ماقرأ هؤلاء الغباب ، وما سمعوه من بعض العلماء عن فضل الالتزام بالسنن والمستحبات وتعظيمهم لذلك حتاً لهم على فعلها ، انقدح في ذهنهم أن التقصير في ذلك تقصير في الواجب لا الكمال ، فأعطى المستحبات أو المكروهات أكثر ما تستحق ، فكان بذلك مغالياً وإن حسن قصده ، وكثرت عبادته .

(٣) رد الفعل الذي حدث في نفوسهم نتيجة تساهل بعض الناس في

السنن والمستحبات والتقليل من شأنها جداً لحد الاستهانة أحياناً
أو ما يوهي بذلك قولاً وفعلاً . فأدى ذلك إلى مزهد من يمدح
الستحب والعقصة على تركه كالواجب ، وإلى المزهد من إنكار
المكروه والزجر على فعله كالحرام .

عموماً منهم أنهم بهذا يحافظون على الدين .

* فأسلوب التساهل الذي يستخدمه البعض في المندوبات والكليات
وسيلة لتجرؤ الناس الضعفاء على التساهل في الواجبات ، وكذا
التيهون من شأن المكروه قد يوقع الضعفاء في ارتكاب الحرام فينبغي
الحذر من مثل هذا الأسلوب والبعد عنه . كما ينبغي الحذر
من مجاوزة حدود ما شرعه الله بأن يزداد في المدح أو الذم فوق ما شرعه
الله . وخير الأمور أوسطها ، وإعطاء كل ذي حق حقه بالمعدل
والميزان .

* تلك أهم أسباب تهويل الأمور اليسيرة ، وتكبير الصغيرة . والآن
نأتي لذكر بعض النماذج ما وقع ، وما أكثر ما وقع ، مناقشين محل
الغلو فيها ، كاشفين عن ذلك في ضوء الإسلام .

وأحب أن أذكر بحد الغلو ، ألا وهو إعطاء الشيء من المدح أو الذم
فوق ما يستحق شرعاً .

نموذج : في الفروع :

- بعض الناس لا يجهرون بالتأمين في الصلاة ، وأمثال تلك السائلة
فنظر إليهم بعض الشباب . . نظرة قاسية ، فطعنوا في صلاتهم
وكان طعنهم متفاوتاً في الغدة . . وموهم بالابتداع لمخالفتهم هدى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و من ثم حكموا بجواز هجرهم
ومقاطعتهم ، وتخلوا عن معاوتهم . . لأن التأمين من الصلاة ، والصلاة
هي ركن الإسلام بعد الشهادتين . . ، وترك التأمين خلل في الصلاة ،
وخلل الصلاة خلل في الإسلام . . وهكذا تصعد الأمر .

المنافسة :

* إن هذه النظرة ، وذلك المسلك ، وتلك النتائج لا يقرها الإسلام
وهي مخالفة لهدى الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وصحابته
الكرام ، وقد وضح تلك المخالفة علماء الإسلام من قديم .

* فإن من يبحث يرى أن الجهر بالتأمين هو الراجح على الإسرار بها ،
وهي من ظهرت له الأدلة الجلية أن يلتزم هدى الرسول الأكرم
فهو خير الهدى .

ومع هذا لا ينبغي أن يترتب على ترك الجهر بها تلك النتائج التي
رتبها بعض مهولي الأمور ، فليس هذا سلك علماء الإسلام الأفاضل .

فالإمام ابن القيم ذكر ستة مرجحات للجهر بالتأمين في كتابه أعمال
الموقعين (١) .

وبين في كتابه " زاد المعاد " أن الخلاف في هذا الأمر خفيف
يدعى صاحبه إلى اتباع مآرجحه الدليل بالحسنى ولا يعنف . . .

فقال وهو يتحدث عن آراء الناس في قنوت الفجر :

" فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء " (يريد أهل الكوفة الذين

(١) انظر اعلام الموقعين . . ٢/ ٣٩٦ : ٣٩٨

يكرهون القنوت في الغجر مطلقاً) وبين من استحبه عند النوازل وغيرها ،
وهم أسعد بالحديث من الطائفتين ، فإنهم يقتنون حيث قنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ويتركونه حيث تركه ، فيقتدون به في فعله
وتركه ، ويقولون : فعله سنة ، وتركه سنة . مع هذا فلا ينكرون
على من داوم عليه ، ولا يكرهون فعله ، ولا يرونه بدعة ، ولا فاعله
مخالفاً للسنة .

كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ، ولا يرون تركه بدعة ،
ولا تاركه مخالفاً للسنة .

بل من قنت فقد أحسن ، ومن تركه فقد أحسن ، وركن الاعتدال
محل للدعاء والثناء ، وقد جمعها النبي ﷺ فيه ، ودعاء
القنوت ثناء ودعاء ، فهو أولى بهذا المحل . وإذا جهر به الإمام
أحياناً ليعلم المأمومين فلا بأس بذلك ، فقد جهر عمر بالاستفتاح
ليعلم المأمومين ، وجهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنائز
ليعلمهم أنها سنة .

ومن هذا أيضا جهر الإمام بالتأمين .

وهذا من الاختلاف المباح الذي لا يعنف فيه من فعله ولا ممن
تركه . وهذا كرفع اليدين في الصلاة وتركه ، وكالخلاص في أنواع
التشهدات ، وأنواع الأذان والإقامة ، وأنواع النكح : من الأفراد .
والقران ، والتتبع . (٢)

إن هذه المسائل وأشباهها لا يجوز فيها الهجر ولا القطع ولا
إحداث فرقة بسببها .

(٢) زاد المعاد / لابن القيم / ١ / ١٤٤ تحقيق محمد الفقى .

(١) سئل شيخ الإسلام عن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد :

فهل ينكر عليه أم يهجر ؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين ؟ فأجاب : الحمد لله ، مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ، ولم يهجر . ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه . وإذا كان في المسألة قولان :

فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به . وإلا قلند بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين . والله أعلم . (٢)
وقال :

" وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط . ولو كان كما اختلف سلطان في شئ تهاجرا لم يسبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة . " (٤)

* فلا يجوز تصعيد الأمور ، وتجسيمها .

كذلك لا يجوز أن نرضي بالمرجوح ونترك الراجح اللهم إلا أن تكون المصلحة في الترك أكبر . بل علينا الدعوة الهادئة ، والبيان الجلي ، بالأسلوب الأمثل ، فإن استجابوا فله الحمد ، وإلا فنسأل الله لهم الهداية .

✻ وينبغي أن نفرق بين العالم والعامي ، وبين من اطلع على الأدلة ومن لم يطلع ، وبين من وضعت له الحجة ومن لا . . .

• وبعد : فهذا نموذج مما وقع في الأحكام يدل على غيره ، ويعدى لنظيره .

والآن ننتقل إلى نموذج في مجال آخر .

(٣) الفتاوى / ٢٠ / ٢٠٧ .

(٤) المصدر السابق / ٢٤ / ١٧٣ .

نموذج آخر: في العقيدة

حدث بين أهل البحرين خلاف حول مسألة "رواية الكفار بهم" ثم اتسع الخلاف وعظم ضرورة فافترق الناس وتهاجروا وتلاعنوا ولم يملوا خلف بعضهم البعض حتى الجمعة .

فكتب شيخ الإسلام رسالة إليهم ليتنظم أمرهم ، ويجتمع شملهم . وبين الصواب وحدود الخلاف وتأسف لما حدث فقال :

" وما كنا نظن أن الأمر يبلغ بهذه المسألة إلى هذا الحد ، فالأمر في ذلك خفيف . . . " (٥)

وبين " أن هذه المسألة ليست من المهمات التي ينهي كثرة الكلام فيها ، وإيقاع ذلك إلى العامة والخاصة حتى يسبق شعاراً ، ويوجب تفرق القلوب ، وتشتت الأهواء . " وبين حدود الخلاف وما ينهني أن يلتزم فقال :

" وليست هذه المسألة فيما علمت ما يوجب المهاجرة والمقاطعة . فإن الذين تكلموا فيها قبلنا عاتبهم أهل سنة واتباع . وقد اختلف فيها من لم يتهاجروا ويتقاطعوا . "

وأخبر عن وقوع خلاف بين الصحابة الكرام ، وكذلك من تبعهم من العلماء الفضلاء ، ووضح أن منهجهم في الخلاف لم يتجاوز مناقشة الأدلة وإن صدرت من بعضهم كلمات غليظة فإنها لم تتجاوز اللسان .

ولم ينل الخلاف من وحدتهم ، وتآلف قلوبهم ، واحترام بعضهم بعضاً ، فلم يحدث هجر ولا قطيعة .

" كما اختلف الصحابة رضي الله عنهم والناس بعدهم في رؤية النبي ربه في الدنيا ، وقالوا فيها كلمات غليظة :

(٥) الفتاوى ٤٨٥/٦ .

كقول أم المؤمنين عائشة :

مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ .^(٦) ومع هذا فما أوجب هذا النزاع تهاجراً ولا تقاطعاً .

وكذلك ناظرالإمام أحمد أقواماً من أهل السنة في مسألة " الشهادة للمعصرة بالجنة " . حتى آلت المناظرة إلى ارتفاع الأصوات . وكان أحد وغيره يرون الشهادة . ولم يهجرُوا من امتنع من الشهادة . إلى مسائل نظير هذه كثيرة .^(٧) .

ما سبق يتضح لنا أن مسائل العقيدة فيها الجليل الخطير الذي يترتب عليه الكفر أو الايمان . الهدى أو الضلال . . .

وفيهما الدقيق اليسير الذي لا يترتب عليه مثل ذلك ، وهكذا كان منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم :

التزام الأدب ، وعدم تهويل ولا تهوين الأمور فلم تتفرق القلوب ، وتتشاحن النفوس بسبب الأمور الدقيقة الخفية .

إنما هو البيان الجلي ، وقد يأخذ طابع الشدة ولكنها شدة اللسان لا القلب . فالقلب يكن كل رحمة لأخيه كما قال تعالى :

(٦) (خ ٢١٢/٦ - ٢٢٢٤) (١٢/١٥٩ - ١٧٧) .

(٧) الفتاوى ٥٠٢/٦ : ٥٠٣ .

وانظر في رسالة البحرين / ٦ / ٤٨٥ : ٥٠٦ .

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِجْمَاءٌ يَلْفُوفُونَ

أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

وقد عثرت على كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية أحسبه من
درر أقواله ، ونفائس قواعده ، يجلى فيه آفة هذه العرض وسببه .
فيقول رحمه الله عند الحديث عن المنحرفين من اتباع الأئمة أن من
صور هذا الانحراف :

• أن يقول الإمام قولاً فيزاد عليه قدراً أو نوعاً :

• كتكفيره نوعاً من أهل البدع كالجهمية المعضة فيجعل المنحرف

البدع نوعاً واحداً حتى يدخل فيه الرجئة والقدرية .

• أو زمة لأصحاب الرأي بمخالفة الحديث والإرجاء .

فيخرج المنحرف ذلك إلى التكفير واللعن .

• أوردته لشهادة الداعية وروايته ، وغير الداعية في بعض

البدع الخليطة لا الخفيفة فيعتقد المنحرف رد خبرهم مطلقاً .

مع نصوص الإمام الصرائح بخلاف ذلك " (١٠)

في ختام هذه الفقرة يمكننا القول بأن منهج السلف في سائل

الفقه ، والمعقدة هو المنهج الوسط ، الذي يقدر الأمور بقدرها ، فلا


تهويل ولا تهوين ، لم يخرجهم الخلاف ، عن الاعتدال إلى الغلو ولم

يوقمهم الود والإحسان في التقصير والرضا بالخطأ .

(٨) الفتح / ٢٩ .


(٩) السائدة / ٥٤ .

(١٠) الفتاوى / ٢٠ / ١٨٥ .



الفصل الثاني

الاستبداد بالرأى



الفصل الثاني : الاستبداد بالرأى :

الاستبداد بالرأى :

من أبرز معالم الغلو حديثاً التعصب للرأى ، وعدم الاعتراف برأى الغير ، وإنكار ما عنده من الحق مادام خالفه في الرأى ، وقد يبالغ بعضهم في تجاوز حد تسفيه رأى الغير إلى رميه بالضلال والزيغ ثم الكفر !

وهذه الآفة ، آفة الاستبداد بالرأى قديمة قد ابتلى بها بعض الناس ، وسيطرت على فرق غير سديدة المسلك . وسلك التعصب لا يقره الإسلام ، ولا يتفق مع سلك الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان . وقد أنكروا علماء الإسلام هذا الاستبداد .

وفي هذا الفصل سأتناول الكشف عن أسباب هذه العلة ، وأبين موقف الإسلام منها .

من الأسباب التي تولد التعصب للرأى ، والانحياز له :

(١) قلة العلم .

فقد جرت العادة بأن من جهل شيئاً عاداه . ومن لم يطلع على آراء الآخرين ، ويتعرف عليها ، لاشك أنه سيتشبث بما عنده .

(٢) مصادفة الرأى لذهن خالٍ ، فيعكف صاحبه عليه بشدة وعنف دون تبصر بحيث يصعب عليه مناقشته فضلاً عن ترك هذا الرأى لغيره ولو كان صواباً .

(٣) الإعجاب بالرأى .

هذه آفة عظمى تدفع أصحابها إلى التعصب الشديد للرأى ولو تجلت أمارات خطئه ، كما تتجلى الشمس في رابعة النهار .

(٤) اتباع الهوى .

فالهوى والميول النفسية تؤثر على المرء فتجعله يتسك برأيه ، وتصدّه عن الاستجابة لآراء الآخرين ونصحهم .

ماهو التعصب المذموم ؟

إن المسائل تنقسم إلى أقسام .

(١) فهناك مسائل أدلتها قاطعة متواترة ودالاتها كذلك ، وأدلة المخالف باطلة متهاففة .

فليس لصاحب الحق الذى معه النصوص الصريحة . . أن يتنازل

عن رأيه ، ولا يضره أن يرمى بالتعصب أو غيره .

(٢) وهناك مسائل اجتهادية ، أدلتها تحتل التأويل ، فنصوصها

ليست قاطعة الدلالة ، ولا صريحة المعنى ، بل تحتل هذا

وهذا .

فهذه المسائل هي التى يذم فيها التعصب للرأى بحيث ينكسر

على الآخر ، ولا يسمع له . .

قال الإمام الشافعي :

" والاختلاف على وجهين .

— فما كان منصوصاً لم يحل فيه الاختلاف .

— وما كان يحتمل التأويل ، أو يدرك قياساً فذهب التأول أو القياس

إلى معنى يحتمل وخالفه غيره لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الاختلاف

في المنصوص . " (١)

هكذا موقف العلماء الفضلاء : الالتزام بالمنصوص عليه .

والتسامح فيما يحتمل التأويل .

— إن آفة الإعجاب بالرأى ، والتعصب له ، هوت بأصحابها إلى

دركات خطيرة ، في أزمنة قبلنا .

— فما الذي هوى بذي الخويرة الجهول .

يقول ابن الجوزي :

" وآفته أنه رضي برأى نفسه ، ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق

رأى رسول الله ﷺ

— وما الذي هوى بأصحاب ذي الخويرة غير إعجابهم برأيهم ، وظن

السوء في غيرهم .

(١) جامع بيان العلم وفضله / لابن عبد البر / ٢ / ٦١ .

(٢) تلبيس إبليس / ٩٠ .

" وكانت الخوارج تتعبد ، الا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي

كرم الله وجهه . وهذا مرض صعب . (٣)

* إن هؤلاء الساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها ،

ولم يستمعوا لمن يجليها لهم ، ويفهم إياها ، لأن الصواب

هورأيهم ، وماعداء الخطأ !!

يقول محمد أبو زهرة :

" أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ، ولا حكم إلا لله ، والتبرؤ

من الظالمين .

وباسمها أباحوا دماء المسلمين ، وخضبوا دماء الإسلام بنجس

الدماء ، وشنوا الفارة في كل مكان . (٤)

* إن هذا التعصب العقيد قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد

وضوحه ، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وناظرهم ابن عباس

رضي الله عنهما ، وأزالوا أعدارهم . ودحضوا شبهاتهم ، وأقاموا

عليهم الحجج الدامغة ، وأنحوهم بالبراهين الساطعة ، فلم

يستجيب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين .

(٣) تلبس إبليس / ٩١ .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد أبو زهرة / ٦١ دار الفكر العربي
القاهرة .

كذلك ناظرهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^(٥) وحاجهم ، ولكن
منعهم من الاستجابة استيلاءً ألفاظ على عقولهم .

يقول محمد أبو زهرة :

" ولقد ناقشهم الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز وكان من
الخلاف بينه وبينهم أنه لم يعلن البراءة من أهل بيته الظالمين مع
إقرارهم أنه خالف من سبقه من بني أمية ومنع استمرار ظلمهم ، بل رد
الظالم التي ارتكبوها إلى أهلها ، ولكن استولت عليهم فكرة النطق
بالتبرؤ .

فكانت هي الحائل بينه وبين الدخول في طاعته . والسير في لواء

الجماعة الإسلامية . (٦)

* ان هذا التعصب المذموم ، والاستبداد المقيت بالرأى ، قد
صد جل الفرق الحادثة عن منهج السلف في فكرهم وآرائهم . وقد بلغ
الأمر حداً بالغاً عندما ضلل أصحاب الأهواء بعضهم بعضاً ، وزاد بعضهم
إلى التكفير .

(٥) ايضاح هذه المناظرات في محث الحوار العرص ٥١٥ : ٥٠٥

(٦) تاريخ المذاهب الإسلامية / ٦١ .

ولا تعجب من هذا فلك سنة أصحاب الأهواء والتعصب
الذموم للآراء :

انشقاق ، وفرقة ، وتكفير .

* وفي عصرنا هذا ظهرت بعض الدعوات ، وفي بعضها خير كثير
، وتعالى صيحاتها . بأن الحق والصواب هو دعوتنا وكفى
وليس هناك شيء اسمه خلاف في سائل الاجتهاد وامحوا هذه
الفكرة البالية من أذهانكم ، وتعالوا نخبركم بالحق فهو عندنا
وحدنا ، لا غيرنا لأنه واحد لا يتعدد .

* وزاد بعضهم خطوة فحمل في صدره البغضاء لمن خالفه في الآراء ،
وهجر وقطع ، لأنه من لوازم الحب في الله ، البغض في الله ،
لأنه ترك الحق ، فالحق واحد لا يتعدد وهو عند هؤلاء فقط !
* وبلغ بعضهم الغاية :

عندما دعا وأمر بنبذ كتب الفقه ، وآراء الأئمة الأجلاء ووصف
ذلك بأنه نوع من عبادة الأصنام . ودعا لاتباع رأيه هو ،
وفهمه هو لأنه الطهم المعصوم ! وسيأتي بما لم تأت به
الأوائل . (٧)

(٧) انظر الحكم وقضية تكفير السلم / ١٢٠ .
والتكفير والهجرة وجها لوجه / رجب مذكور / ١٢٠ .

موقف الإسلام من الاستبداد بالرأى :

* إن الإسلام لا يقر التعصب للرأى ، والاستبداد به ، وقد دل على ذلك منهج الرسول صلى الله عليه وسلم . وسلوك أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، وأقوال علماء الإسلام الغضلاء .
وقبل الشروع في بيان ذلك أحب أن أذكر بأن التعصب المذموم هو ما كان للآراء التي تحتل أدلتها التأويل ، وهي محل اجتهاد . لا الآراء التي أدلتها قاطعة وهي نص في الموضوع ، فهذه لا محل للتسامح فيها .

* إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اجتهدوا أيام رسول الله ﷺ في بعض الأمور ، وكان بعضهم يرى ما لا يراه الآخر ، وعند الرجوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقر المجتهدين منهم على اجتهادهم مادام لهم رأى معتبر ، والأمر يحتمل الاجتهاديين ، ولا يعنف أحداً منهم .

أخرج الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب :

« لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الظُّهْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ »

فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوَتَّ أَوْتَمْتِ . فَصَلُّوا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : لَا نُصَلِّي إِلَّا

حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ . قَالَ : فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ (٨)

لقد دل هذا الحديث على أمور منها :

- ١ - جواز اختلاف الآراء ما دام الأمر يحتمل التأويل .
 - ٢ - احترام كل فريق لرأى أخيه .
 - ٣ - التزامهم الجهم بأدب الاختلاف .
- ويكفى دلالة أن الرسول ﷺ صوب الفريقين ، ولم يعنف أحداً منهم .

والأمثلة على هذا كثيرة ، وإنما اكتفينا بذلك لأن مقصودنا بيان تسامح الصحابة الكرام فيما يحتمل التأويل ، والبعد عن التعصب للرأى ، والاستبداد به .

* وقد كان بعض الصحابة يرى ما لا يراه البعض الآخر ، لعدم وجود نص صريح في الموضوع ، إنما هو دليل يحتمل التأويل ، وقابل للاجتهاد فيه ، فيجتهد هؤلاء ، ويجتهد هؤلاء ، وقد تختلف الآراء فيقر بعضهم بعضاً دون تعنيف ولا إنكار .

" عن عمر أنه لقي رجلاً فقال : ما صنعت ؟

فقال : قضى علي وزيد بكذا .

فقال : لو كنت أنا لقضيت بكذا .

قال : فما يمنعك والأمر اليك ؟

قال : لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسول الله

لفعلت ، ولكني أردك إلى رأى ، والرأى مشترك .

فلم ينقض ما قال علي وزيد .

وهذا كثير لا يحصى . (٩)

* وقد كان يحدث بين الصحابة الكرام في أحيان قليلة شدة في القول
إنكاراً لرأى الآخر ، لكنها شدة لا تتجاوز اللسان ، ولا تنقص من
احترام الآخر ، ولم تفرق بينهم ، ولم تنسل من وحدة قلوبهم ، إذ
القلوب متراحة متعاطفة متأخية .

قال تعالى :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (١٠)

ونضرب على ذلك مثالين :

(١) اختلف الصحابة رضوان الله عليهم . في رؤية النبي صلى الله عليه

وسلم ربه في الدنيا ، وقالوا في ذلك كلمات غليظة ، كقول أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها :

« مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ . » (١١)

ومع هذا ، فما أوجب هذا النزاع تهاجراً ولا تقاطعاً ، ولا شحناً

ولا بغضاً ولا عداً . . .

(٩) جامع بيان العلم وفضله ٥٩/٢ .

(١٠) الفتح ٢٩ .

(١١) (خ ٢١٢/٦ - ٢٢٣٤) (م ١٥٩/١ - ١٧٧) .

(٢) اختلف ابن عباس رضي الله عنهما مع زيد بن ثابت في مسألة من مسائل الفرائض .

فكان زيد يرى توريث الإخوة مع الجد .

" وكان ابن عباس يرى أن الجد يسقط جميع الإخوة والأخوات كالأب .

فقال ابن عباس يوماً : ألا يتقي الله زيد ، يجعل ابن الابن

ابناً ، ولا يجعل أب الأب أباً ! وود أن يباهل مخالفه .

وفي يوم ما رأى ابن عباس رضي الله عنهما زيدا يركب رابته ،

فأخذ بركابه يقود به .

فقال زيد : تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ .

فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا .

فقال زيد : أرضي يدك . فأخرج ابن عباس يده ، فقبلها زيد ،

وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيوت نبينا . (١٢)

وحين توفي زيد قال ابن عباس رضي الله عنهما :

" هكذا يذهب العلم " (١٣)

هذه نماذج تدل على تسامح الصحابة الكرام في الآراء التي تحتمل

(١٢) الاصابه / لابن حجر / ١ / ٥٦١ ، ٢ / ٣٢٢ ومجمع الزوائد / ٩ / ٣٤٥

وحياة الصحابة / ٢ / ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(١٣) اعلام الموقعين / ١ / ١٨ .

(١٤) التأويل . والتزامهم بأداب الإسلام في شتى الظروف والأحوال ،
فلا تسفيه ولا تجهيل ، ولا تفسيق ولا تكفير . ولا شحنا ،
ولا بغضا ، ولا عدا .

* والآن نعرض لك مواقف رائعة للأئمة الأجلاء ، والعلماء
الفضلاء ، التي تجلى احترام بعضهم آراء بعض ، وإنكارهم على
من يتعصب لرأيه ، ويحاول أن يصعد الأمور فوق ما تستحق ،
، ويرتب عليها نتائج فاسدة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" ومن المشهور أن الرشيد احتجم ، فاستفتى مالكا ، فأفتاه
بأنه لا وضوء عليه .

فصلى خلفه أبو يوسف .

ومذهب أبي حنيفة وأحمد أن خروج النجاسة من غير السبيلين ينقض
الوضوء .

ومذهب مالك والشافعي أنه لا ينقض الوضوء .

فقيل لأبي يوسف : أتصلى خلفه ؟ !

فقال: سبحان الله ! أمير المؤمنين !

(١٤) انظر أدب الاختلاف في الإسلام / د . طه جابر فياض .

فإن ترك الصلاة خلف الأئمة لمثل ذلك من شعائر أهل البدع كالرافضة والمعتزلة .

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فأفتى بوجوب الوضوء فقال له السائل : فإن كان الإمام لا يتوضأ أصلي خلفه ؟ فقال : سبحان الله !

ألا تصلي خلف سعيد بن المسيب ، ومالك بن أنس ؟ (١٥)

وأقول لمن شرد قليلاً من الشباب : استمعوا إلى علماء الإسلام المعتدلين بقلوب صاغية ، ونفوس هادئة ، وهم يحكون لنا ما ينبغي أن يسلك في مسائل الاجتهاد ، من احترام الرأي الآخر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وأما من ترجح عنده فضل إمام على إمام ، أو شيخ على شيخ

بحسب اجتهاده ، كما تنازع المسلمون :

أيهما أفضل الترجيح في الأذان أو تركه ؟

أو أفراد الإقامة أو إثنائهما ؟

وصلاة الفجر بفلس أو الإسفار بها ؟

والقنوت في الفجر أو تركه ؟

والجهر بالتسمية ، أو المخافة بها ، أو ترك قراءتها ؟

ونحو ذلك .

فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة . فكل

منهم أقر الآخر على اجتهاده .

من كان فيها أصاب الحق فله أجران .

ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر ، وخطؤه مغفور له .

فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك

، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد

الشافعي . ونحو ذلك .» (١٦)

إيضاح مسألة " الحق واحد لا يتعدد " :

من الأمور التي دفعت كثيراً ممن يتسكون بأرائهم بشدة أمران

هامان هما :

١ - قولهم : لقد جمعت السنة ، ودونت أحاديث النبوة ، وانتشرت

في البلدان ، فلا داعي لتمدد الآراء .

٢ - قولهم : " الحق واحد لا يتعدد " .

ويعتبرون قولهم هو الحق الذي لا ينبغي تجاوزه .

المناقشة والإيضاح :

١ - إن أصحاب القول الأول قد غاب عنهم أمور هامة ، هي تمعدد

أسباب الاختلاف .

" ولورجع هؤلاء إلى ما بينه الأئمة والعلماء من أسباب الاختلاف ،

لعلوا أن ما ظنوه السبب الوحيد في الاختلاف - وهو عدم

وصول النص للمختلفين - ما هو إلا سبب واحد يسير من الأسباب

العديدة التي أدت إلى تنوع هذه الآراء ، واختلافها واختلاف

الاستنباط بسببها . . . ويمكن إجمال الأسباب في أربعة

هي :

(١) الاختلاف في ثبوت النص وعدمه .

(٢) الاختلاف في فهم النص .

(٣) الاختلاف في طرق الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة .

٤ (الاختلاف في القواعد الأصولية وبعض مصادر الاستنباط) (١٧)

— أما مسألة " الحق واحد لا يتعدد " .

فهذا قول صحيح ، ولكن في الحقيقة لم يحسن فهمه ولا تطبيقه

عند هؤلاء كما ينبغي .

* فهناك قيد لا بد منه وهو " في الواقع ونفس الأمر ، أو في

الحقيقة " .

* أما بحسب ما يتجلى لنظر الناس فهو قسمان :

١ - قسم أظهره الله لنا ، وجلاه أتم جلاء ، وأقام عليه

الأدلة القاطعة الصريحة . مثل :

أن الله واحد لا شريك له ، وأنه وحده المستحق للعبادة

وماسواه عباد له ، وأن له أسماء الثناء والجلال ، وصفات

المجد والكمال وأن شهر الصوم هو رمضان

وأن الحج لا يصح بدون الوقوف بعرفة فهذه

المسائل ونظيرها الحق فيها واحد في الواقع ونفس

الأمر ، وهو ظاهر لنا فلا يجوز فيها الاجتهاد ، ولا يقبل

فيها قول مخالف .

(١٧) دراسات في الاختلافات الفقهية / د . محمد ابو الفتح البيانوني / ٢٨ : ٢٩ . وانظر رفع الغلام عن الائمة الاعلام / لشيخ الاسلام ابن تيمية .

٢ - وقسم خفي علينا ، فأدلته محتملة لمعان عدة ، ولا نستطيع الجزم به يقيناً كجزمنا بالقسم الأول . فهذا القسم يسوغ فيه الاجتهاد ، وأعمال العقول والأفهام لاستنباط الآراء ، ويبدل فيه الجهد للوصول إلى الصواب .

ويذهب إلى ما يترجح من الأدلة بعد النظر الفاحص فيها مع بقاء احتمال الخطأ ، لعدم وجود النص القاطع الجلي ، ولأن هذا اجتهاد بشري غير معصوم من الزلل .

فهذا القسم لا يجوز فيه أن نضرب آراء الآخرين ، ونرميها بالزيغ والضلال ، والفساد والبطلان ، بقاعدة : "الحق واحد لا يتعدد" .

نعم هو واحد في الواقع ونفس الأمر .

أما هنا فغير متيقنين أين هو لا احتمال الدليل .

والمطلوب منا في هذه الحالة ، بذل الجهد ، واستفراغ الوسع ، ولا علينا إذا أخطأنا .

قال تعالى :
(١٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية .

" واجتهاد العلماء في الأحكام كاجتهاد المستبدلين على جهة

الكعبة ، فإذا صلى أربعة أنفوس كل واحد منهم بطائفة إلى
أربع جهات لاعتقادهم أن القبلة هناك ، فإن صلاة الأربعة
صحيحة .

والذي صلى إلى جهة الكعبة واحد وهو المصيب الذي له

أجران (١٩)

كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :

« إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ .

وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ، ثُمَّ أَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ » . (٢٠)

* وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن مسائل الاجتهاد متفاوتة
من حيث قوة الأدلة وضعفها .

(١) فهناك مسائل تتكافأ فيها الأدلة جداً بحيث يصعب الترجيح على
كثير من الباحثين .

(٢) وهناك أخرى تتفاوت فيها قوة الأدلة نوعاً ما بحيث يسهل الترجيح
على كثير من الباحثين .

(٣) وهناك أخرى تكون أدلة البعض قوية جداً وأدلة الآخرين غير
ذلك ، إما لعدم وصول النص إليه . . أو غيره .

(١٩) الفتاوى ٢٠ / ٢٢٤ .

(٢٠) (خ ١٢ / ٣١٨ - ٧٣٥٢) (م ٣٢ / ١٢٤٢ - ١٧١٦)

وقد ذكر الإمام ابن القيم عشرات الأمثلة على النوعين الأخيرين . (٢١)

* وفي هذه الحالة يناقش العلماء في هذين النوعين بلطف ويدعون للمراجع الواضح وإن خالف رأى المذهب فأصحاب المذاهب جميعاً لم يدعوا لاتباع رأيهم ، وإنما دعوا لاتباع سنة رسول الله ﷺ إذا وضحت .

* أما العوام فيترفق بهم جداً لعدم علمهم ، ولشدة تسكهم بعلمائهم الذين وثقوا فيهم وأرشدوهم إلى أحكام ربهم .

ويدعون برفقولين إلى المراجع إن لمس فيهم الفهم والاستجابة فإن حدث رفض وعدم قبول فنسأل الله لنا ولهم الهداية للصواب ، ولنبتعد عن الأساليب السيئة ، والنتائج الغالية ، فليس بالتكفير ولا بالتجهيل تربي الأجيال .

* وهناك أمر آخر هام يحتاج إلى تنبيه وهو :

• عدم جواز الأخذ ولا اعتبار الآراء الشاذة :

* ما كان الاختلاف فيه تاريخياً لا يصح استمراره ، كاختلاف السلف

في الصدر الأول في حكم ربا الفضل (٢٢)

(٢١) انظر اعلام الموقعين / ٢ / ٢٩٤ : ٤٢٥ .

(٢٢) دراسات في الاختلافات الفقهية / ٩٠ .

* قد يصدر رأى خطأ من إمام لعدم بلوغ الحجة إليه ، فإنه يفتفر له ذلك ، ولا يؤخذ عليه لعذره ، وعلى أتباعه الذين بلغتهم الحجة الجليلة الواضحة أن يتقوا الله ويذهبوا للحجة الواضحة فإنه ينفرد للإمام لعذره ، ولا يفتفر لهم لوضوح الحجة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتنرت لعدم بلوغ الحجة له ، فلا يفتفر لمن بلغته الحجة ما اغتنر للأول ، فهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك ، ولا تبعد عائشة رضي الله عنها ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون فسي قبورهم . " (٢٢)

نماذج للتعصب وآثاره :

بعد أن عرفنا موقف الإسلام من التعصب للرأى ، و ذمه لذلك ، ودعوته للتسامح ، أحب أن أعرض بعض نماذج التعصب ، وآثاره .

* يقول واحد من عايش بعض الشباب الذين حادوا عن الصراط السوى :
كتب هؤلاء * بحثاً واتهموا فيه الشيخ حسن البنا بأنه ماسونسي ،
فناقشتهم في ذلك . . ثم نصحتهم بالعدول عن هذا البحث . فماذا
حدث ؟ يقول : وكم جلب على هذا النصح ليلة بت خلالها غير
آمن على نفسي ...

لقد نهزني الشيخ شكرى رغم كبر سني .

ورغم ما يكتنه في نفسه لي من تقدير . .

لقد نهزني قائلًا :

تنصحه . . لاتقل ذلك . . كيف تنصحه ؟ !

(١٤)
فسحبت نصيحتي على الفور ، وآثرت الصمت والاستماع دون مناقشة .

* إن التعصب للرأى ، والإعجاب به ، يصد صاحبه عن الانتفاع بنصائح
الآخرين الصواب ، وتحرمهم من خيرات وخبرات الآخرين وهذا
ما وقع فيه أولئك الشباب .

" إن اصرار الشيخ شكرى على إهمال التاريخ الاسلامي ، واعتبار
عصر الفقهاء منذ القرن الرابع للهجرة حتى نهاية الخلافة العثمانية ،
عصور كفر وشرك ، وعبادة لصنم التقليد ، قد سببه صدامات
كثيرة وحرمة من خيرات وفيرة" . (٢٥)

(٢٤) ذكرياتي مع جماعة المسلمين / عبدالرحمن أبو الخير / ٨١ : ٨٢ .

(٢٥) المصدر السابق / ١٤٤ : ١٤٥ .

* ان التعصب للرأى ، يثير الآخرين عليه ، ويفقدهم العطف عليه . .

" ان عدم اعتراف الجماعة بأى تجمع آخر للحركة الإسلامية طبقاً لجدتها " نحن الجماعة المسلمة في الوجود ، الواجبة الاتباع والسمع والطاعة " . قد حرّمها عطف الآخرين ، وجرها إلى التصادم معهم . (٢٦)

* والتعصبون لآرائهم دائماً ، لا يدوم اجتماعهم ، بل ما أسرع انشاقهم ! ثم رمى بعضهم بعضاً بسهام الضلال والكفران . " لقد كان يكفي ألا يعجب إنسان ما بنقاش الآخر ، فيعتبره خارج الدائرة (يعني دائرة الإسلام) ويسلط عليه بالتالى سبل التعامل مع الجاهلية . " (٢٧)

* وفي النهاية أذكر بأن التعصب للرأى يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح . . فقد أمر الله تعالى نبيه المعصوم أن يشاور الصحابة الكرام .

(٢٦) ذكرياتي مع جماعة المسلمين / ١٤٤ .

(٢٧) المصدر السابق / ٨٢ .

فقال الله تعالى : **فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ**

اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (٢٨)

* وقد أثنى الله على المؤمنين لاتصافهم بالشورى :

(٢٩) **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**

* وما يبين عظمة الشورى ، وعلو قدرها ، أن سميت سورة من سور

القرآن بـ (الشورى) .

* وقد كان **ﷺ** وهو المعصوم يستشير أصحابه كثيراً ،

ويتنازل عن رأيه لرأيهم أحياناً وهو رسول الله ، فقد استشار في

أحد وتنازل عن رأيه وخرج مع أصحابه لملاقاة العدو .

ومن قبل سمع لرأى الخياب الذى أشار بأن يكون البئر في

ناحية المسلمين ، فاستجاب لرأيه ، ومن بعد استجاب لرأى سلمان

(٣٠)

بحفر خندق حول المدينة .. وهكذا كان أصحابه الكرام ،

والتابعون لهم بإحسان . . .

فالتعصب لرأيه يخالف أمره ، وهدى نبيه ، ويحرم نفسه

(٢٧) آل عمران / ١٥٩ .

(٢٩) الشورى / ٣٨ .

(٣٠) سيرة ابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه / مج ١ / ٦٢٠ ، مج ٢ / ٦٣ ، ٦٦

من خير كثير .

قال ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ^(٣) »

قُلْنَا : لِمَنْ ؟

قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ^(٤) » . (٣١)


فأين المتعصبون من هذه التوجيهات الربانية ؟ !

(٣) (خ ١٣٧/١ في الترجمة) (م ١٣٧/١ - ٧٤ - ٥٥) .
(ت ٣٢٤/٤ - ١٩٢٦) (ج ٣٩٢/٤ - ٤٩٤٤) (حم ١٠١/١ - ٣٥١/٤ - ١٠٢/٤)



الفصل الثالث

سوالظن



أسبابه ودوافعه :

من أهم أسباب ودوافع سوء الظن مايلي :

(١) الجهل .

فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرى ذلك ، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصاً ، إذا كانت المواقف غريبة ، تحتاج إلى فقه دقيق ، ونظر بعيد - يجمع صاحبها يبادر إلى سوء الظن ، والاتهام بالعيب ، والانتقاص من القدر .

فانظر إلى ذى الخويصرة الجهول ، لماذا أساء الظن

بالرسول واتهمه بعدم العدل والإخلاص ؟

فقال : اعدل يا محمد فما عدلت .

هذه قصة ما أريد بها وجه الله . لقد دفعه إلى الظن السيء ، والفعل القبيح ، جهله ، وسطحية فهمه وقلة فقهه لمقاصد الشريعة ومعالج الدين الشرعية .

وقد سبق إيضاح ذلك . (١)

فإذا المرء لم يعلم ، فعليه أن يسأل ويستفسر ، ولا يجرى وراء الظنون .

(١) انظر فصل الخوارج ص ١٢٨

(٢) اتباع الهوى .

وهو آفة الآفات .

فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه ، ولا يرضاه ،
ولا يوافق عقله ومعتقاه . . . يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيء
الهبال ، ويرخي له العنان فيرتع ويصول ويجول . . . ولا يسزن
الأمر بميزان الشرع الدقيق ، ولا يحاول أن يلتص المعاذير .
ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فيه ، فالهوى يصده
عن ذلك .

(٣) العجب والغرور .

فإحسان المرء ظنه بنفسه ، وغروره بنفسه إن كان ذا فهم ، وإعجابه
برأيه ، يدفعه لأن يزكى نفسه ، ويحتقر غيره فهو الصواب والكل
خطأ ! هو الحق والكل باطل ! هو الهدى والجميع
ضلال ! .

نماذج : ومناقشتها :

١ - قد يسمى بعض الناس لتأليف قلوب المسلمين . . ، وردهم السي
حظيرة دينهم رداً جميلاً ، وقد يترك في سبيل ذلك بعض
المستحبات . فوجدنا من يرميه بالتهاون ، والجمع على ضلالة ..

فهذا العمل ظن سوء ، وصاحبه قد فاب عنه حقائق ،
إذ لم يطلع على فقه الإسلام ولم يفسح صدره وعقله لذلك . أو أن
الأمر التيس عليه فلم يحسن الفهم .

ولاتعجب إذا علمت أن ذا الخوصرة الجهول ، قد رمى
الرسول بالفضال . . ، ولم يستطع هذا المسكين أن يوازن بين
المصالح الشرعية .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك بعض المستحبات فلم يعط
الفقراء لأنه وجد أن إعطاء هؤلاء الأغنياء وتأليف قلوبهم أنفع لدين
الله . (٢)

* وهذا المنهج هو ما فيه علماء الإسلام الكرام ، أولوا البصائر النيرة ،
وهذا ما احتوا عليه ، كلما احتاج الأمر إليه .

(٢) انظر تحليل شيخ الاسلام ابن تيمية لذلك ص ١٢٩ : ١٣٠

تحدث شيخ الإسلام عن بعض المسائل الفرعية في الفقه كالجهر
بالبسطة أو الإسرار بها . . .

وذكر حكم الشرع فيما إذا ترتب على أحد الآراء نزاع بين الناس وفرقه
واختلاف القلوب و ذكر نماذج من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
دعوته فقال :

" ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب بترك هذه
المستحبات .

لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل هذا . كما
ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت ، لما رأى في إبقائه
من تأليف القلوب .

وكما أنكر ابن سمعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ، ثم صلى
خلفاً مقماً . وقال : الخلاف شر " (٢) .

* وينبغي هنا التنبيه على أمر هام وهو أن تقدير المصالح الشرعية
وبيان أهمها أعظم ، وأكثر نفعا على الدين ، ليس متروكاً لكل من
هتب ودب يقول فيه برأيه ويختار ما يهوى ويلائم طبعه وميله . . .

إنما يتولى ذلك العلماء الصادقون المخلصون ، والفقهاء الذين
لا تملهم الأهواء

فتفويت مصلحة شرعية أمر خطير إذا لم يكن لتحقيق مصلحة أكبر ،
ولهذا الأمر ضوابطه .

(٣) القواعد النورانية الفقهية / ٤٣ : ٤٤ .

(٢) نموذج آخر :

وجدنا بعض الناس يرمون من يتكلم في الرقائق ، بالخرافة

لماذا ؟

لأنهم رأوا أن الذين يكثرون في هذا الأمر هم أهل التصوف ،
أو جهلة القصاص .

فعموا الحكم . وهذا تجاوز ممنوع . ولو صبروا لكان خيراً لهم ،

ولو استمعوا لما يقال وتحققوا ووزنوه . بميزان الشرع لكان أقوم .

لقد نسي هؤلاء أن كتب السنة مشتملة على أحاديث كثيرة فسي

الرقائق ، وإصلاح النفوس . . . بل يخص في بعضها كتاب باسم

" الرقاق " والأدب " . . .

ونسوا أن السلف ألفوا كتباً خاصة في هذا الأمر ، لأن رقعة

القلب مقصودة وضرورية . فقد ألف ابن المبارك كتاب الزهد .

وألف الإمام أحمد كتاب الزهد وغيرها . (٤)

وقد كان السلف يحرصون على ما يرقق قلوبهم ويتشوقون لذلك وقد

كان بعضهم يقول :

" حديث يسرق له قلبي أحب إليّ من مائة قضية من قضايا

شريح وإنما قال هذا لأن رقعة القلب مقصودة ولها أسباب " (٥)

(٤) انظر مقدمة كتاب الزهد لابن المبارك / تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي

٠١٦:١٤/

(٥) تلبيس ابليس / ٠١١٩ .

(٢) نموذج آخر :

رأينا تهمة الجبن والضعف تلصق بمن يتأني ويتريث في دعوته
ويصبر على الأذى ولا يتعجل في مجابهة الظالمين حتى يستكمل
العدة ويؤسس القاعدة ، وهذا من سوء الظن .

• ولقد غاب عن صاحب الظن السيئ أن الدعوة تحتاج إلى
فقه دقيق ، وأن خطوات الإصلاح تحتاج إلى نظر عميق . وأن الصبر
على الأذى .. والتدرج في الخطوات من معالم فقه الرجل وقوته .

فهذا رسول الله ﷺ يطعن أصحابه بمجس النصر ،
ويدعوهم إلى الصبر ، وينهاهم عن العجلة .

والله لَيَتَنَّ هذا الأمر حتى يسهر الراكب من صماء إلى حفرة موت لا يخاف إلا

الله ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . (٦)

وعلى درب الصبر والتأني سار المصلحون المجددون ، فهذا
أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يتدرج^(٧) في إصلاحه ، فيقدم هذا
... فهل كان ضميذاً .. ؟

كلا .. كلا ... إنها الحكمة واتزان العقل .. أما العجلة

فهي دليل الضعف والتهور .

(٦) (خ) ٦١٩/٦ - ٣٦١٢ ، ٧/١٦٥ ، ١٢/٣١٥ ، ٣١٦ ()

(٣٥/٦٤ - ٢٦٤٩)

(٧) انظر بحث (العجلة) ص ٤٢٠ . ففيه تفصيل وإيضاح .

- وتجدر الإشارة هنا إلى أمر هام وهو :

أن المعركة بين الحق والباطل دائمة ومستترة ، وما لاشك فيه
ولا ريب أن الغلبة والنصر للحق

« بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ » (٨)

« وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُقًا » (٩)

وهذه المعركة لها حلقات وجولات .

وهي تحتاج إلى الفارس الماهر الذي يجيد فن الكر والفر ،
والإقدام والإحجام ، ويضع كلاً في موضعه المناسب ، ووقته
الملائم .

وتقدير وقت الكر والفر ، والإقدام والإحجام ، ليس متروكاً
لكل أحد ، وإلا صارت فوضى ، إنما التقدير يسند إلى من جمعوا
الخبرة العميقة ، والتجربة العريضة ، والفقہ الواعي ، ونسب
البصيرة . . .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشْكُرُوا اللَّهُ يُجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا » (١٠)

(٤) نموذج آخر :

رأينا بعض الناس لا يحسنون التمييز بين المداراة والمداهنة . فخلطوا
بينهما خلطاً سيئاً .

فإذا رأوا داعية يلمن القول لرجل سني^١ شرير ، ويدعوه بلطف ،

(٨) الانبياء / ١٨ .

(٩) الاسراء / ٨١ .

(١٠) الانفال / ٢٩ .

لحاجة الدعوة الى أمن عمره ، واتقاه سوءه ، إذا رأوا ذلك ، حطوا
هذا الفعل على المداهنة ولا سيما إذا كان بينهما خلاف في منهج
الدعوة .

فاجتمع الجهل والهوى ، فكانت الشره سوء الظن . . .

- ونظراً لخطورة هذا اللبس ، ولكثرة الوقوع فيه ، أحببت
أن أوضح الفرق بين المداراة والمداهنة ،

* فالمداراة خلق إسلامي .

* والمداهنة خلق مقنوت وليست من الإسلام في هيء ، بل
هي خلق المنافقين ، والذين يلهثون وراء الشهوات ويهيمون
دينهم بدنياهم .

* والمداراة قد استخدمها الرسول الأكرم ﷺ في دعوته ، مع
بعض الأشرار السيئين اتقاه لغيرهم . .

فقد أخرج البخاري عن عائشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ ،

فلما رآه قال : بئس أنو المشيرة وبئس ابن المشيرة . فلما جلس تطلق النبي ﷺ
في وجهه وانبط إليه . فلما انطاق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت
له كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبطت إليه . فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتني
فاحشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره . (١)

* ولما كانت المداراة والمداهنة بينهما شبهة قد يخفى على كثير
وجسب الإشارة إلى الفرق بينهما .

قال الحافظ ابن حجر :

" وقال القرطبي : في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق
أو الفحش ، ونحو ذلك من الجور في الحكم ، والدعاء إلى البدعة ،
مع جواز مداراتهم اتساقاً شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة
في دين الله تعالى .

ثم قال تبعاً لعمياد : والفرق بين المداراة والمداهنة :

— أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أوهما معاً ،
وهي مباحة ، وربما استحبت .

— والمداهنة ترك الدين لصالح الدنيا .

والنبي صلى الله عليه وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته ،
والرفق في مكالته ، ومع ذلك ظم يمدحه بقول ، فلم يناقض
قوله فيه قول حق ، وفعله معه حسن عشرة ، فيزول مع هذا
التقرير الأشكال بحمد الله تعالى . (١٢)

" وقال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي :
خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول .

وذلك من أقوى أسباب الألفة .

وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط ، لأن المداراة

مندوب اليهها والمداهنة محرمة .

• والفرق أن المداهنة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستتر باطنه .

وضررها العلماء بأنها معاشره الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه .

• والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل . ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك . (١٣)

تلك هي أقوال العلماء في المداراة والمداهنة .

— فالمداراة مشروعة .

والمداهنة محرمة .

— المداراة بذل الدنيا لصالح الدين .

والمداهنة بذل الدين لأجل الدنيا وشهواتها . .

— المداراة إنكار بلطف .

والمداهنة ترك الإنكار ، وإقرار الباطل ، والسكوت عليه .

* ولما كان هذا الباب خطيراً ، ويصعب على النفس تمييزه ، فينبغي

توافر الثقة بين الدعاة العاملين .

ولا مانع من السؤال عند حدوث إشكال ، كما سألت عائشة رضي الله

عنها رسول الله ﷺ : عندما رأت منه ذلك الموقف الدقيق الفقه ،

البعيد الرمي . . أما العجلة والرمي بالتهمة والحمل على الظن

السيئ دون تحقق فهذا ممنوع .

* وينبغي هنا الإشارة إلى شيء وهو أن المداراة في وادٍ ومبدأ التقية

عند الشيعة في وادٍ آخر . فالمداراة حق وصدق وهي لإصلاح الدين .

بينما التقية الشيعية نفاق وكذب لصالح العدوان على الدين ، ومن

عاشر القوم عن كسب ، وخالطهم عن قرب ، ونظر في مخططاتهم ،

أدرك ما يسمعون إليه من العدوان على الدين الذي جاء به محمد صلى

الله عليه وسلم .

٥ - نموذج آخر :

رأينا أناساً قد بلغ بهم سوء الظن مبلغاً غريباً عجيباً حتى
جرحوا جميع الناس عداهم ، أحياء وأمواتاً ، فرموهم بالزيف
والضلال ، وفساد الاعتقاد ، فالجميع في عقيدته دخل ودخـن
وهم وحدهم المخلصون . الجميع هالكون وهم الناجون .

وفي الحديث الصحيح : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ
« إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ » (١٤)

قال النووي :

" روى " أهلکهم " على وجهين مشهورين : رفع الكاف وفتحها .
والرفع أشهر ، ويؤيده أنه جاء في رواية رويناهما في حلية الأولياء في
ترجمة سفيان الثوري : " فهو من أهلکهم " .

قال الحميدى في الجمع بين الصحيحين : الرفع أشهر . ومعناها :
أشدهم هلاكاً .

وأما رواية الفتح فمعناها : هو جعلهم هالکين لا أنهم هلکوا فسي
الحقيقة . . . وقال الخطابي : معناه لا يزال الرجل يعيب الناس
ويذكر ساوئهم .

ويقول فسد الناس وهلکوا ونحو ذلك ، فإذا فعل ذلك ، فهو

أهلكهم أى أسوأ حالاً منهم بما يحلقه من الإثم في عيبيهم والوقيعمة
فيهم ، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه . ورؤيته أنه خير منهم
، والله أعلم . (١٥)

آثار سوء الظن وخطورته :

إن الظن السيئ آفة ، ولكل آفة آثار وخطورة ، فمن آثاره
السيئة - والسيء لا يلد إلا سيئاً - :

(١) أنه يدفع صاحبه لتتبع العورات ، والبحث عن الزلات ، والتنقيب
عن السقطات . وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه ، لأن
ذلك من صفات مرضى القلوب الذين توعدهم الرسول ﷺ
بالفضيحة فقال :

" يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه - لا تفتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته
ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته " (١٦)

(٢) كما يدفع صاحبه إلى الغيبة ، ونهش أعراض الآخرين ، والتشفي
فيهم . .

(١٥) سلم بشرح النووي / ١٦ / ١٧٥ : ١٧٦ .
(١٦) (حم ٤ / ٤٢١ ، ٤٢٤)

(٣) وأخيراً فالظن السيء يزرع الشقاق بين المسلمين ، ويقطع حبال الأخوة ، ويمزق وشائج المحبة ، ويزرع العداوة والبغضاء والشحناء .

موقف الإسلام :

لما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين ، فقد كان موقف الإسلام حاسماً .

فقد دعا وأمر بابتعاد أكثر الظن ، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجرى وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة .

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ (١٧)

قال ابن كثير :

" يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو :

التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض

ذلك يكون إثماً محضاً ، فليجتنب كثير منه احتياطاً " (١٨)

(١٧) الحجرات / ١٢ .

(١٨) تفسير ابن كثير / ٤ / ٢١٢ .

• وقد حذر ﷺ من اتباع الظن ، وعده أكذب الحديث .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ^(١) . فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . » (١٩)

العلاج :

• وقد دلنا ﷺ على علاج لهذه الآفة فقال :

« ثلاث لازمت لأمتي : الطيرة ، والحسد ، وسوء الظن . فقال :

رجل : وما يذهب يارسول الله ممن هن فيه ؟ قال ﷺ :

إذا حسدت فاستغفر الله .

وإذا ظننت فلا تحقق .

وإذا تطيرت فامسح ^(٢٠) .

فالعلاج ترك تتبع العورات ، وتصيد السقطات ، والبحث عن

الزلات .

• وما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك .

(١٩) (خ ٤٨١/١٠ : ٤٨٥ - ٦٠٦٤) (٤٣ / ١٩٨٥ - ٢٥٦٣)

(ت ٣٥٦ / ١٩٨٨) (حم ٣٤٢ / ٢ ، ٤٦٥)

(٢٠) انظر تفسير ابن كثير / ٤ / ٢١٣ دار المعرفة - بيروت .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " ولا تظن بكلمة
خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً " . (٢١)

• وما يدفع سوء الظن أيضاً :

أن تتأمل كيف حث الإسلام على ستر من تحققت منه وقوع المعصية
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أليس من الأولى والأجدر ترك الوقعة فيمن لم تثبت عليه المعصية ،
واجتنابُ سوء الظن ؟

(٢١) تفسير ابن كثير / ٤ / ٢١٢ ، وانظر سيرة ومناقب عمر بن الخطاب / ١٧٩

(٢٢) (ج ٥ / ١٦ - ٢٤٤٢) (٢٣ / ١٦٦١ - ٢٥٨٠)

(ج ٤ / ٣٤ - ١٤٢٥) (ج ١ / ٨٢ - ٢٢٥) (٤٥ / ٣٧٦ -

(٤٨٩) (حم ٢ / ١٦٠٣ / ٤٠٩١ ، ٥٠ / ٣٧٥)



الفصل الرابع

الطعم في العلماء



الفصل الرابع :

الظعن في العلماء :

=====

لقد شاهد عصرنا حملة غريبة ، وظاهرة عجيبة ألا وهي
الاعتداء على هيبة العلماء القدامى والمحدثين ، وطعنهم بخنا جر
الزيغ والفضال ، وإسقاط عممة بعضهم ..
ولقد شهدت الصحف والمجلات ، والكتب والمقالات ، وقاعات
الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات .
فجذب ذلك على أمة الإسلام أبلغ الأضرار ، فشتت الشمل
المشتت ، وفرق أجمع المفرق ، وعمق الشقاق الغائر ..
وفي هذا الفصل سأتناول بيان أسباب ذلك ، وأعرض نماذج
وأناقشها ، ثم أقدم مقاييس للعدالة في الحكم .

وقيل الشروع في الكلام أنبه إلى أمر هام وهو : التعريف

بالعلماء الذين تنكر طعنهم ، والنيل منهم .

* إنهم العلماء الذين خدِموا الإسلام وجاهدوا في سبيل نصرته ،
وقضوا حياتهم في الذود عن حياضه ، وبذلوا جهودهم في نشره
وخلفوا للأجيال تراثاً عظيماً في مختلف الفنون ، وشقى العلوم ولا زال
الانتفاع بها مستمراً وقد سقط بعضهم في زلات إما عن غير قصد
وبلا تعمد وإما تاب منها ورجع عنها . .

* كما أقصد العلماء العاطلين الذين لم يقرأوا الغلاة على انحرافهم .

أسباب حملة الطعن :

١ - التعلم بدون معلم . (١)

فقد أقبل بعض الشباب على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وبعض كتب العلم يدرسونها ، ويأخذون الأحكام منها ، ولكن بدون معلم يرشدهم ، ولا مرشد يوجههم ، فكان من الطبيعي أن يعلوا إلى أحكام واستنباطات غير سديدة ، ويعادوا من خالفهم ، ويفهوا رأى من عارضهم سواء من القدامى أو المحدثين .

٢ - الفهم الخاطيء لبعض العبارات .

تلك آفة خبيثة ، من ابتلى بها نخرت عقله ، وعوجت فكره .
نسأل الله العافية .

لقد قرأ الشباب عبارات لبعض العلماء في بعض الكتب تصف العالم (فلان) بأنه حاطب ليل ، وآخر بأنه جماعة للغث والسمين ، وآخر بأنه من أهل الرأى والرأى عنده مذموم ، وآخر بأنه ضمن كتبه بعض الشطحات والفلسفات وآخر ...

فأخذ الشباب هذه العبارات ، وهدموا بها كل ما عند أولئك العلماء من خيرات ، وأعرضوا عن كتبهم إعراضاً كلياً أو جزئياً وحذروا منها . ويا ويله من اقتنى كتاباً لعالم من أولئك ، أو استشهد
(١) انظر بحث التفقه بدون معلم في فصل الاسباب الفكرية ص ٣٨٧

أحد بقولهم ولو كان صواباً - في بحثه أو مؤلفه أو درسه
أو محاضراته .

إنه يسقط كما سقط أولئك !! وهكذا .

ونسى هؤلاء الشباب أن أقوال العلماء في تقييم الآخرين

ليست قرآناً ، ولا وحياً يوحى ، إنما هي قول بشر .

وقد يطلق العالم الوصف على آخر ويريد به حالة معينة

لأن هذا شأنه كله ، وحاله الدائم .

كما يقال : فلان حاطب ليل... .

وقد يكون بين العلماء شيء

ونحو أن الرأي ينقسم إلى مذموم وممدوح ومباح (٢)

إن الشباب علموا شيئاً وغابت عنهم أشياء فوقعوا في الخطأ ،

ولو سألوا لعلموا ، ما مراد العالم بهذا القول؟

وعلى أي حالة يتنزل؟ أم هو عام؟

وهل هذا رأي الغالبية...؟

(٢) انظر اعلام الموقعين / ١ / ٦٧ : ٨٥ .

(٣)

٣ - اتباع الهوى .

اتباع الهوى آفة الآفات .

فقد لا يكون في العالم قاذح يقدره ، لكن النفس لا تميل

إليه ، أو قد يخالف الآخرين في رأى وفتوى .. فيكفى ذلك

لهدمه عند الغلاة .

٤ - الحسد .

وهذا مرض خطير ، يبتلى به الأقران غالباً ، فقد يوعى

الله هذا ما لا يوعيه ذاك ، فيقبل الناس عليه ، ويهدى الله

به ، فيسرى الحسد إلى نفوس البعض ، فيبحثون عن الزلات

ويتتبعون العورات ، ويحسون المنيرة ... ويحملون الأقوال ما

لا تحتمل ، ويقودون حملة من التشنيع والطمع ...

ويسوغون ذلك باسم العلم ...

وما دفعهم إلا الحسد .

ولو صدقوا الله لهداهم إلى أقوم سبيل .

(٣) انظر بحث الهوى ص ٤٤١ في فصل الاسباب النفسية .

نماذج : ومناقشتها :
=====

بعد بيان الأسباب الدافعة للطعن في العلماء نأتى لضرب

أمثلة ، ومناقشتها مبينين وجه الخطأ فيها .

١ - الطعن في الإمام أبي حنيفة :

لقد رمى الإمام أبو حنيفة بتهم شنيعة قديماً ، وشنت عليه

حملات من الطعن حديثاً في فقهه وعقيدته .

• فقد قرأ بعض الشباب أن أبا حنيفة من فقهاء أهل الرأي ،

وقرءوا أن السلف يذمون الرأي .

فاستنتجوا أن أبا حنيفة وفقهه مذمومان .

• وقرءوا أن أبا حنيفة من المرجئة ، لأنه لا يدخل الأعمال

في معنى الإيمان كما هو مذهب السلف .

وقرءوا أن السلف يذمون المرجئة .

فاستنتجوا أن في عقيدة أبي حنيفة فساداً . وهكذا

* والحقيقة أن هؤلاء قرءوا وتعجبوا ففهموا خطأ ، وخطفوا

الأقوال خطأ ، فلم يحسنوا إنزال الأقوال منازلها ، فأخطأوا في

الاستنتاج منها .

نعم إن أبا حنيفة من فقهاء أهل الرأي . ولكن أي رأى هذا ؟

إنه الرأى المحمود لا المذموم . فإن للرأى أقساماً كما

جاء عن السلف ، وذكر ذلك العلماء ، وقد أشرت إلى هذا سابقاً .

• فإذا جاء ذم السلف للرأي ، فهو الرأي الباطل الذي لا يستند

لنصوص ولا معرفة بها ، إنما هي ظنون وتخمينات لا دليل عليها .

* وإذا مدحوا الرأي وقالوا به ، فهو الرأي المحمود .

وهل كان أبو حنيفة من أصحاب الرأي المذموم أو المحمود ؟

وهل كان يرد الحديث إذا خالف رأيه ؟ !

* إن السلف الذين نقل عنهم ذم الرأي قد مدحوا وأثنوا على

الإمام أبي حنيفة .

* أخرج القاضي عياض في " المدارك " قال :

قال الليث بن سعد : لقيت مالكا في المدينة ، فقلت له :

إنى أراك تمسح العرق عن جبينك . قال : عرقت مع أبي حنيفة

إنه لفقيه يا ممرى .

قال الليث : ثم لقيت أبا حنيفة ، وقلت له : ما أحسن قول هذا

الرجل فيك (يشير إلى مالك)

فقال أبو حنيفة : ما رأيت أسرع منه بجواب ماذق ، وقول تام " (٤)

وقال الشافعي : " الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة " (٥)

(٤) أدب الاختلاف / ١٢٤ ، ١٢٥ ، (الانتقاء / ١٤)

(٥) الانتقاء / لابن عبد البر / ١٣٦ .

وقد نفى شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أبي حنيفة

اتهامه بتقديم الرأي ومخالفة الحديث فقال :

" ومن ظن بأبي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم

يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره فقد أخطأ

عليهم " (٦)

وقال الإمام ابن القيم :

" وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب أبي

حنيفة أن ضعف الحديث عنده أولى من القياس والرأي وعلى ذلك بنى

مذهبه ...

فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأي.

قوله وقول الإمام أحمد.

وليس المراد بالحديث الضعيف في اصطلاح الطلف هو الضعيف

في اصطلاح المتأخرين ، بل ما يسميه المتأخرون حسناً قديسيه

المتقدمون ضعيفاً " (٧)

تلك أقوال بعض العلماء المحققين في الثناء على الإمام

أبي حنيفة. وينبغي أن يكون في الاعتبار أنه ما من إمام إلا وله

(٦) الفتاوى / ٢٠ / ٣٠٤ .

(٧) اعلام الموقعين : ١ / ٧٧ .

بعض الآراء المرجوحه ولكنه معذور كل العذر في ذلك
وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بنفسه في هذا المقام
بعنوان : " رفع الملام عن الأئمة الأعلام " .

ومع اعتذارنا عن الأئمة الفضلاء ، وتقديرنا لهم
ولخدماتهم ، ننبه إلى أنهم قد يعذرون في أمور لا يعذر فيها
غيرهم مثل خفاء حكم لخفاء دليله عليهم لسبب ما .

فإذا اتضح الدليل جلياً فلا يعذر التابع في تركه . فمن
القواعد المقررة النفيصة قول إمام دار الهجرة مالك رحمه الله :
كل أحد يوءخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر وأشار
إلى قبر رسول الله .

لذلك وجدنا الإمام أبا يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمه
الله عليهما ذهب إلى آراء غير آراء إمامه عندما وقف على
الأدلة الجلية وكذلك فعل أبو محمد .

• ويمكن الرجوع إلى كتاب أعلام الموقعين لمعرفة نماذج من

الآراء التي خفيت أدلتها على الأئمة الكرام لسبب ما نسم

ظهرت جلية بعد ذلك . (٨)

- أما الطعن في عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله فتلك

فرية لا تدل إلا على جهل صاحبها بمذهب السلف .

والذي دعا الخلافة إلى ذلك الطعن هو مسألة واحدة حسب

اجتهاده خالف فيها السلف . إنها مسألة : معنى الإيمان .

• فذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن الإيمان يطلق على :

- تصديق القلب .

- وإقرار اللسان .

- أما العمل فهو غير داخل في معنى الإيمان .

وله رحمة الله عليه أدلة على ما ذهب إليه من كتاب الله

تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، ولغة العرب .

• أما السلف رضوان الله عليهم فيخالفون الإمام أبا حنيفة في

رأيه ويقولون :

الإيمان يطلق على : تصديق القلب .

• وإقرار اللسان .

• وعمل الجوارح .

ولهم على ذلك أدلة كثيرة متوافرة من كتاب الله تعالى وسنة

رسوله ﷺ ، وأقوال الصحابة .. ولغة العرب .

وعلى كل حال ، فإن الإمام أبا حنيفة مجتهد له أجره

سواء أصاب أم أخطأ .

لذا فلا يجوز الطعن فيه ، بل يناقش رأيه ، وينبهه عليه .

وفى النهاية أحب أن أقول :

* انه مع مخالفة السلف لأبى حنيفة فى هذه المسألة وإنكارهم لهذا الرأى ، وصدور أقوال غليظة من بعضهم ، إلا أن هذا لم يتجاوز الخلاف الفكرى إلى الطعن فى عقيدة أبى حنيفة .
فمن طعن فقد غلط غلطاً عظيماً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن حكى مذهب حماد بن أبى سليمان ، وأبى حنيفة

" ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليب القول فيهم .

ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم .

بل هم متفتون على أنهم لا يكفرون فى ذلك ، وقد نعى أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيراً لهؤلاء أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع فى تكفيرهم ، فقد غلط غلطاً عظيماً .^(٢)

نموذج آخر :

رأينا بعض الشباب يطعن في العلماء العاملين الملتزمين بكتاب

الله وسنة رسوله .. المستقيمين في سلوكهم وبيوتهم .

وبالرغم من ذلك اتهموا بالعمالة والنفاق والمداينة .

والسبب الذي يبررون به طعنهم الطائش ، ويتسترون وراءه .

هو :

أن هؤلاء العلماء يعملون في مؤسسات علمية تابعة للحكومة ،

وكل الحكومات عندهم كافرة ، فرتبوا على ذلك أن من يعمل في هذه

المؤسسات العلمية لتعليم نشأ المسلمين دينهم .. فهو معان

للحكومات الكافرة .. فأقل أحواله أنه عميل منافق مداهن جبان

ولا يوثق في علمه ، ولا يستمع إلى قوله ، ولا يستفاد منه ...

• أما السبب الحقيقي الذي يخفونه ولا يظهرونه فهو أن هؤلاء

العلماء خالفوهم في آرائهم ، ولم يقروهم على غلوهم ، ونقصدوا

مسلكتهم ، ولم يتساهلوا في ذلك رغم ما أبداه الغلاة من مبررات ،

وأسباب ودواعي لمنهجهم ..

بل الالتزام هؤلاء العلماء بالمنهج الرباني ، والتوجيه

الإلهي في قوله تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوْا
أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣﴾

وقوله تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَنَّا ۖ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللّٰهَ ۚ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(١٣) النساء : ١٣٥ .

(١٤) المائدة / ٨ .

نموذج آخر:

لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سييء ألا وهو تتبع عورات
العلماء وزلاتهم ، وتمييد أقوالهم ، وشواذ آرائهم ، وتحريف
كلمهم عن مقصودهم ..

فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشموية في الطعن على العلماء .
قديمًا وحديثًا ممن يخالف آراءهم ، ولا يقر منا هجم الحائثة
عن الاعتدال ...

ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام ، وقرة عين
لأعداء الإسلام من بنى مهيون وعابدى العلبان .

وان هذا المملك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه
وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين ، ولأنه تنفيذ
لمخطط أعداء الدين ، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية
الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء :

" ومثل هذه المسألة الضعيفة ، ليس لأحد أن يحكيها عن
إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه ، ولا على وجه
المتابعة له وفيها ، فإن في ذلك ضرباً من الطعن في الأئمة ،
واتباع الأقوال الضعيفة ، وبمثل ذلك مار وزير التتر يلقي الفتنة

بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة
ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد" (١٥)

إن تتبع زلات العلماء .. وعرضها على الناس مع تحميلها سوء
النية عاقبته وخيمه في الدنيا والآخرة .

نموذج آخر :
=====

من الأمور المؤسفة ما شاهده في عصرنا الحاضر من تبادل لبعض
العلماء للتهمة ، ورمى بعضهم بعضاً بالجهالات والضلالات والأكاذيب
والافتراءات ، وهو مسلك قديم لأهل الأهواء والبدع، وقد سار
أتباع المعاصرين على نهجهم إذ الطالب على منهج أستاذه، ولو
اكتفى العالم بنقد قول أخيه دون تعرض لنيته ! والتزم
الخطاب الجميل لكان ذلك أنفع .

فلتوضح الأخطاء ولتناقش الزلات ، ولتبادل وجهات النظر

لكن في دائرة الأخوة والالتزام بأدب الخلاف ومن جهل فلا
نجهل مثله . ومن بغى وظلم نلتزم معه العدل والقسط لا البغى والظلم

قواعد تعصم من الشطط :
=====

هناك قواعد ينبغي مراعاتها عند تقييم أحد من العلماء

حتى لا نقع في الشطط بالظن أو اللعن .

١ - ضرورة التمييز بين المجتهد المخطئ ، والقاصد المتمعد

ولا يمنع هذا من مناقشة الفكرة محل النظر وبيان خطئها

أما ما حجبها وبقيّة آرائه الصحيحة فهي ممانعة .

٢ - ينبغي النظر إلى عطاء العالم كله ، ولا نكتفى بموقف واحد

أو بضع مسائل فتهدمه بها .

٣ - العبرة بالخاتمة ، ولا مانع من حكاية منهج الحياة للاقتدار

للاإشهار ، ثم بيان ما أخطأ فيه من مسائل دينية

للتحذير من الوقوع فيها ، نصيحة للأمة . أما شخصه فلا

يتعرض له فأمره إلى ربه ، ولعله مات تائباً من ذلك .

فالقاعدة الشرعية أن من ثبت إسلامه بيقين لم يسفل

ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة

الشبهة . (١٦) ومكفرات الأخطاء كثيرة .

(١٦) الفتاوى ١٢ / ٤٦٦ .

٤ - الحكمة خالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بأخذها

٥ - " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰى ۖ أَلَّا تَعْدِلُوْا ۗ أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

• فلا ينبغي أن يكون مجرد الاختلاف في الرأي مدعاة للطعن •

• وفي الختام أحب أن أعرض موقفاً لعالم جليل من علماء

الإسلام وكيف يقيم الرجال •

فهذا ابن تيمية يقول رأيه في الرازي •

وينبغي أن نعلم أن ابن تيمية كان من أشد الناس نقداً

لفكره الفلسفي ، فقد كان ينقده نقداً لاذعاً مراراً ،

وبعبارات قوية شديدة ، لمخالفة هذه الأفكار لعقيدة أهل

السنة والجماعة ، إن النقد والتفنيد لم يتجاوز الفكرة إلى

الحكم على صاحبها ونيتته •

فلما جاء إلى ما حجبها قال :

" وليس هذا تعمداً منه لنمر الباطل ، بل يقول

بحسب ما توافقه الأدلة العقلية في نظره وبحسه .

فإذا وجد في المعقول بحسب نظره ما يقدر به في كلام

الفلاسفة قدح به ، فإن من شأنه البحث المطلق بحسب ما يظهر

له . فهو يقدر في كلام هو ^(١٨) هو ^(١٨) . وكذلك يمنع

بالآخرين .

ومن الناس من يسيء به الظن وهو أنه يتعمد الكلام

بالباطل . وليس كذلك ، بل تكلم بحسب مبلغه من العلم

والنظر والبحث في كل مقام بما يظهر له . وهو متناقض

في عامة ما يقوله ، يقرر هنا شيئاً ثم ينقضه نسي ^(١٩)

موضع آخر ، لأن المواد العقلية التي كان ينظر فيها

من كلام أهل الكلام المبتدع المذموم عند الملف ، ومن

(١٨) هو "لا" وهو "لا" ، المراد بهم : الفلاسفة وأتباعهم ، والمتكلمون من
الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية .

(١٩) ان كلمة مثل هذه يتسك بها البعض ليحكم على الرجل بالكفر !

كلام الفلاسفة الخارجيين عن الملة ، يشتمل على كلام باطل - كلام هو لا ء وكلام هو لا ء - فيقرر كلام كل طائفة بما يقرر به ثم ينقضه في موضع آخر بما ينقض به .

ولهذا اعترف في آخر عمره فقال :

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلاً ، ولا تروى غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن :

اقرأ في الإتيات : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٢٠)

" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ (٢١) "

) ومن جرب مثل تجسرتي عرف مثل معرفتي .

(٢٠) طه / ٥ .

(٢١) فاطر / ١٠ .

(٢٢) الفتاوى / ٥ / ٥٦١ : ٥٦٢ .

وفي النهاية لنا كلمة :

فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائها ؟ أيبقى
شباب أحداث ، لا يحنون التلاوة ، ولا تستقيم لهم لغة ،
وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع ؟
إن أسلوب الطعن في العلماء قررة عين لأعداء الإسلام
، لأنه ينشئ جيلاً بلا قيادة . وهل رأيت جيلاً بلا قيادة
قد أفلح ؟ !

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماء وعلماء وأخبارها فقد كثر

فيهم الضالون المفلون .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ

أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢٣)


وأفضل ما في أمة الإسلام علماء وعلماء .

" قال الشعبي كل أمة علماء وعلماء شرارها إلا المسلمين فإن علماءها
خيرهم " (٢٤)

ووضح ذلك ابن تيمية فقال " وذلك أن كل أمة غير المسلمين
فهم ضالون ، وإنما يظلمهم علماء وعلماء . فعلماء وعلماء شرارهم .
والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم ، فعلماء وعلماء
خيرهم " (٢٥)


(٣٣) التوبة / ٣٤ .

(٢٤) (٢٥) الفتاوى ٧ / ٢٨٤ .



الفصل الخامس

السدة والمنف



الفصل الخامس :

الشدّة والعنف :

من مظاهر الغلو حديثاً الشدّة والعنف في التعامل مع الآخرين —
واستخدامهما في غير محلّهما ، وكأنّ الأصل في التعامل مع الغير هو
العنف والغلظة لا الرفق والرحمة .

وهذه الشدّة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب
وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل ، فسفكت دماء بريئة بسببه .
ودمرت منشآت

ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة .
وفي هذا المحث سأتناول الكلام عن أسباب ذلك وأعرض نماذج
وأناقشها .

ثم أبين موقف الإسلام من ذلك .

✳ أسباب العنف :

لقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة ، والقسوة والغلظة ، نستطيع أن نجعلها فيما يلي .

١ - المحن :

فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى ، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد فقابلوا العنف بالعنف ، وغلب ذلك على طباعهم وسلوكهم .

٣ - الجهل بفقہ الاحتساب .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة .

وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق .
فهناك أمر ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها :

(١) أن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب ، وتارة باللسان . وتارة باليد . والقلب واجب في كل حال .

وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً ، من غير فقه وحلم وصبر . ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح . وما يقدر عليه وما لا يقدر . . فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله ، وهو معتد في حدوده . (١)

فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم

بحال الأمر والمنهي .

(١) الفتاوى / ٢٨ / ١٢٧ : ١٢٨ .

ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم ، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود .

ولا بد في ذلك من الرفق . .

ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإنه لا بد أن يحصل له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

فلا بد من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر .
والعلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده . وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال . وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً .

ذكر القاضي أبو يعلى في المعتمد :

" لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه . (٢)

تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد أدى

الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة .

(٢) الفتاوى : ١٣٦/٢٨ : ١٣٧ .

نماذج : ومناقشتها :

١ - لقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشادهم للناس ، ومعاورتهم لهم ، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع . وظنوا أن طريق الشدة ، هي المجدية والراعية وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله ، لأنه هو المجدى النافع ، المؤثر في النفس . . أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان ، وتحمل المخالف على الإصرار .

ومن العجيب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذي لا يدري ، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع . ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه .

٢ - ومن الأساليب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء ، الخشونة في معاملة الوالدين ، فلا يقيم لهما حرمة ، ولا يعاونهما ولا يخدمهما . وإذا بحثنا عن السبب ، وجدنا في الغالب العجيب ، فمعظمهم من العوام ، وقد نشأوا في جيل قد سيطر عليه الاستعمار . ولم تتح لهم الفرصة الكافية ليتزودوا من علوم الدين ، ومع ذلك فقلوبهم على الفطرة .

لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهم وإرشادهم ولا يعنى ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين ، أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهم . كلا . . . كلا . . .

إنما نريد الأدب في المعاملة ، واللين في القول ، وحسن العشرة ،
والصبر عليهم ، والشفقة والرحمة بهم .

قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهُنَّ عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَةٌ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

وانظروا إلى دعوة إبراهيم لأبيه ، ومحاورته له ، وخطابه
الرقيق مع بيان الحق . . . وصبره عليه ، فلما أصر الرجل وعاند
بعد وضوح الحجة ، وانقطاع الأعذار ، وإصراره على محاربة
الدين ، وعداوة رب العالمين .

لم يكن بد من التبرؤ منه .

فأين الخطوات الأولى ؟

فلا عقاب قبل بيان .

هذا إذا كانوا أعداء للدين ، ومحاربين لرب العالمين .

* وانظروا في دعوة الرسول ﷺ لقومه ، وإنذاره لعشيرته ، وحرصه

على هداية عمه . . .

هل خرج صلى الله عليه وسلم عن الرفق مع عدم استجابتهم ؟ اللهم

إلا من كابر ، وبالغ في الأذى .

* ولقد رأينا بعض الشباب يتخاضل عن معاونة الناس الذين خلطوا
عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أى خدمة ، ولا
كلمة طيبة ، ولا مساعدة نافعة !

إن هؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود
كل ، فطفى عندهم البراء على الولاء .

• ونسوا أن موقف الإسلام مع اللص الفقير هو أن تقطع يده لسرقته ،
ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته .

• ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة ،
لأنها عطية ، فهي أبلغ تأثيراً في النفس من القول .

• ونسوا أن خشونتهم في المعاملة ، وتخليهم عن المساعدة ، يعمق
الهوة بينهم ، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء
الدين .

* ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الفلظة
بالقول إلى القتل وسفك الدم : دم العلماء ، أو الجنود الأبرياء ،
أو المواطنين العزل ...

* وأخيراً ، فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء ،
كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض ، وتناولت الألسنة وأحياناً الأيدي .

وذلك ليس بغريب إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق
التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح . فقد تناحرت
تلك الفرق فيما بينها وضل بعضها بعضاً وكفر بعضها بعضاً . وهكذا
مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه
وسلامه .

موقف الإسلام :

إن للإسلام موقفه الصريح الجلي من العنف والشدة في الدعوة، ومعاملة الناس . .

فقد أنكر الإسلام هذا الأسلوب .

وأكثر من دعوته إلى الرفق والرحمة ، واللين والشفقة ، عند دعوة

الناس ، ولو كانوا كفاراً ونهى عن أساليب الاستفزاز والإشارة

لأنها غير مجدية .

قال تعالى - آمر موسى وأخاه هارون - :

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ ﴿٥﴾ (٤)

تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون

الطاغية : القول اللين في بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى ،

واحداث الخشية .

وقال سبحانه :

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أُحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا

ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ (٥)

(٤) طه / ٤٣ : ٤٤ .

(٥) فصلت / ٣٤ : ٣٥ .

شئان بين القول الحسن والقول السيء ومقابلة السيئة بالسيئة ،
ومقابلتها بالحسنة ، فالقول الحسن يغير قلب العدو واللذود إلى السي

صديق حميم .

وهذا النجاح والفوز العظيم لا يناله إلا الذين صبروا .

— إن الداعية قد يلقي في طريقه ما يفضبه ويضايقه وهو لاقيه لا محالة ،
فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر ، ويحصنها بكظم الغيظ ، والعفوع عن
الناس .

يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٦﴾

— وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز ، فيبتعد
عن السباب والشتم . . .

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٧)

— ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وتركز على التزام قاعدة الرفق ،
والبعد عن الشدة والعنف .

(٦) لقمان / ١٧ .
(٧) الانعام / ١٠٨ .

قال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ . (٨)

« إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ . وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » . (٩)

مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ . (١٠)

ولقد ذخرت الدعوة النبوية بالمواقف التي تفيض رفقاً وليناً ورحمةً .

تلا به تبارك وتعالى : فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ

اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ

حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (١١)

— الرفق هو الأصل ، ولا يلجأ للشدة إلا في موقف الحرب ، والقضاء .

حيث لا مجال للتساهل والمجاملات .

— الرفق هو الأصل في الدعوة ، وليس معنى ذلك إلغاء الشدّة

بالكلية ، لا . فللشدة مواضعها بعد استنفاذ وسائل الرفق والصبر...

والموفق من وفقه الله لا تنزال كل في منزله ، وعصمه من هواء .


(٨) (خ ١٠/٤٤٩-٦٠٢٤) (م ٤/٢٠٠٤-٢٥٩٣) (٣٦١٥)

(ج ٢/١٢١٦-٣٦٨٩) (د ٤/٣٥٢-٤٨٠٧) (حم ٤/٨٧٨٥)

(٩) (م ٤/٢٠٠٤-٢٥٩٤) (د ٦/٢٤٧٨-٧٧٣٢) (حم ٦/٨٠١١٢٠١١٢٥١٢١)


(١٠) (م ٤/٢٠٠٣-٢٥٩٢) (د ٤/٣٥٣-٤٨٠٩) (حم ٤/٣٦٢٢)

(١١) آل عمران / ١٥٩ .



الفصل السادس

التفسير



الفصل السادس : التعمير :

من مظاهر الغلو التعمير وترك التيسير .

* فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يطيقون ، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل الخفيف . ولا يراعيون قدراتهم وتفاوتها ، وطاقاتهم ، واستطاعتهم .. وتبهايتها وأنهامهم واختلافها . فيخاطبونهم بما لا يفهمون ، ويطالبونهم بما لا يستطيعون .

* كما أنهم يميلون إلى جانب المنع والحظر والتحريم ، وكأن الأصل في الأشياء المنع لا الإباحة .

وقد أدى هذا الأسلوب إلى تنفير الناس منهم .. وإعراض عنهم ، وعا يقولونه ولو كان حقاً .

وفي هذا الفصل سأتناول الكلام عن أسباب ذلك ، وأعرض نماذج

وأناقشها . ثم أبين موقف الإسلام من ذلك .

أسباب التعسير :

١ - الورع الفاسد :

لقد دفع الورع المبني على الجهل أصحابه إلى التزام جانب
الخطر والتحریم ، والتشديد والتعسير ظناً منهم أن هذا سبيل
الكمال وحفظ الدين . ولقد كان ﷺ أكثر الناس ورعاً
ومع ذلك ما خیر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن
إثماً . وذلك لأن ورعه مبني على العلم .
فينبغي للشباب أن يعرفوا حدود الورع الصحيح وضوابطه وكيفية
تطبيقه حتى لا يقعوا في الفاسد .

٢ - الجهل بمراتب الأحكام :

فقد أدى هذا الجهل بأحكام الشريعة ومقاصدها إلى التعسير
والتشديد على النفس وعلى الناس ، والنظر إليهم نظرة تعنيف
وتأنيب ... وقد دفع هذا الجهل أصحابه إلى تكليف وإسزام
الناس بما لم يلزمهم به الشرع .

٣ - الجهل بمراتب الناس :

إن هذا الجهل دفعهم إلى مواخظة الجاهل وتكليفه كالعالم
وإلى التعسير والتشديد على حديث العهد بالإسلام كالقديم ... ولم
يراعوا الفروق التي بين الفريقين ، ومراتب الناس .

نماذج : ومناقشتها :
=====

إن التعبير قد تعددت مجلاته ، واختلفت صورته وأشكاله
فإليك بعض ذلك :

١ - وجدنا بعض الشباب الطموح يعمى لفهم دينه ، ويأبى أن
يقبل شيئاً إلا بدليله . فكان ذلك أمراً حسناً بالنسبة لهم
ولكنهم زادوا قلبيلاً وأنكروا على العوام وغير القادرين ،
عدم نظرهم واستدلالهم ، ورموهم بالبلاهة .. وغير ذلك
فكان إنكارهم في غير محله ، وإيجابهم في غير موضعه ، ففيه
تعسير وحرَج.

وقد خالف هذا منهج السلف ، ووافق الخلافة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً موقف الإفراط ، والتفريط

والوسط :

" أما في المسائل الأصولية ، فكثير من المتكلمة والفقهاء
من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد حتى
على العامة والنساء ، حتى يوجبوه في المسائل التي تنازع فيها
فضلاء الأمة ، قالوا لأن العلم بها واجب ، ولا يحمل العلم إلا
بالنظر الخاص .

وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك .

وبإزاء هؤلاء قوم من المحدثه والفقهاء والعامة قد يحرمون
النظر في دقيق العلم والاستدلال والكلام فيه ، حتى نوى المعرفة
به وأهل الحاجة إليه من أهله .
ويوجبون التقليد في هذه المسائل فالعلم النافع مستحب ، وإنما يكره
إذا كان كلاماً بغير علم أو حيث يضر .
فإذا كان كلاماً يعلم ولا مضرة فيه فلا بأس به . وإن كان
نافعاً فهو مستحب .

فلا إطلاق القول بالوجوب صحيحاً ، ولا إطلاق القول بالتحريم
صحيحاً .

وكذلك المسائل الفرعية ،
من غالبية المتكلمة والمتفقهة من يوجب النظر والاجتهاد فيها
على كل أحد ، حتى على العامة . وهذا ضعيف . لأنه لو كان طلب
علمها واجباً على الأعيان فإنما يجب مع القدرة . والقدرة على
معرفة من الأدلة المفصلة تتعذر أو تتعسر على أكثر العامة .
وبإزائهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على جميع
من بعد الأئمة ، علمائهم ، وعوامهم .^(١)

(١) الفتاوى / ٢٠ / ٢٠٢ : ٢٠٣ .

ذلك هو منهج السلف وجمهور الأئمة :

وسط بين الغلاة والمقصرين ، منهج يراهى القدرات والطاقات
فينمى القدرات الطموحة ، ويفتح لها مجال البحث والنظر والاستدلال
ويشجعها على ذلك . ويعذر القدرات العاجزة ويعفيها من التكليف
بما تعجز عنه مكتفياً بتقليدها لمن صح تقليده .

٢ - إن غياب منهج السلف عن هؤلاء ، وعدم التزام فقههم فى هذه

الأمر دفع بعض الشباب إلى وضع الشئ فى غير موضعه .

فوجدنا بعضهم يكرس جهده فى تعليم العوام وأشباههم دقائق

الأمر التى لا يحسنون فهمها ، وربما أحدثت فتنة لهم ، وهى

مع ذلك ليس تحتها عمل .

فكان هذا العمل تعبيراً على الأفتام ، ومخالفة لمذهب السلف

الكرام .

قال الشاطبى :

" كان مالك بن أنس يقول : الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل

أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام فى رأى جهم والقدر

وكل ما أشبه ذلك . ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل . فأما الكلام

فى الدين ، وفى الله عز وجل فالسكوت أحب إلى ، لأنى رأيت أهل

بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل .

قال ابن عبد البر :
قد بين مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو
المباح عنده وعند أهل بلده - يعنى العلماء منهم ، وأخبر
أن الكلام فى الدين نحو القول فى صفات الله وأسمائه ، وضرب
مثلاً نحو رأى جهنم والقدر :

قال : والذى قاله مالك عليه جماعة الفقهاء قديماً وحديثاً من
أهل الحديث والفتوى . وإنما خالف فى ذلك أهل البدع .
وأما الجماعة فعلى ما قاله مالك رحمه الله إلا أن يظن
أحد إلى الكلام ، فلا يسمعه السكوت إذا طمع فى رد الباطل ومصرف
ما حبه عن مذهبه ، وخشى فلاة عامة ، أو نحو ذلك .^(٢)

هكذا مذهب السلف : الكلام فيما تحته عمل
والكف عما ليس تحته
عمل إلا فى حالة الضرورة .
* إن بعض الشباب لم يدركوا حقيقة مذهب السلف ، فأخذوا يكثرون
الكلام مع العوام وأشباههم وفى المسائل التى وقع فيها خلاف
شديد ، والعوام فى عافية من ذلك غالباً ، وإيمانهم الإجمالى طيب .
ولكن هو ٤٧٤ الشباب أبوا إلا التفصيل الذى يوجد نزاعاً ويشير
فتنة وفرقة ، لعدم استطاعة العوام فهم وإدراك ما يقولونه كما
يريدون . وقديماً طلب من شيخ الإسلام أن لا يتعرض لأحاديث الصفات
وآياتها عند العوام

(٢) (الاعتصام : ٢٢٢/٢) (جامع بيان العلم وفضله : ٩٥/٢)

فبين شيخ الإسلام حقيقة موقفه فقَالَ :
" وأما قول القائل : لا تعرض لأحاديث المغفات وآياتها عند

العوام ، فأنا ما فاتحت عامياً في شيء من ذلك قط . وأما
الجواب بما بعث الله به رسوله للمسترشد والمستهدى ، فقد

قال النبي ﷺ :

« مَنْ سُئِلَ عَنْ عَامٍ يَمْلَأُهُ فَكَيْفَهُ ؛ أَلِجْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْجَأُ مِنْ نَارٍ » (٣)

وقال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ (٤)

ولا يؤمر العالم بما يوجب لعنة الله عليه .

والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين (٥)

هكذا موقفه : عدم مفاتحة العوام في ذلك ، ولا حرص عليه ،

وسعى إليه إنما هي إجابات اضطر إليها ليهدى الحيارى ويحل

بها إشكال من أشكال عليهم .

(٣) (ج ١ / ٩٦ : ٩٨) .

(٤) البقرة / ١٥٩ .

(٥) الفتاوى : ٢٦٦ / ٥ .

إن تكليف العامة وأشباههم بمعرفة التفاصيل من الأمور العسيرة

وهذا مسلك الغلاة . فما هو الطريق الوسط ؟

الوسط هو : الاكتفاء بإجمال فهذا الواجب ، ولا مانع من

التفصيل بشرط أمن الفتنة .

هذا هو منهج السلف

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :
" والواجب أمر العامة بالجمال الثابتة بالنعم والإجماع ، ومنعهم من

الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف .

فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله" (٦)

فالإجمال هو الواجب الفرض في حق العامة ، والتفصيل ندب وفضل

إلا أن دعت إليه الحاجة . وهذا هو ما طبقه فعلاً ابن تيمية

وأوصى به دائماً ، فعندما وقعت فتنة بين أهل البحرين بسبب الاختلاف

في مسألة " روعية الكفار لله " تأسف شيخ الإسلام كثيراً على ما

حدث ، وأرسل لهم رسالة ، وضمنها التوصية بجملة آداب ينبغي

مراعاتها منها :

" انه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة مخنئة

وشعاراً يغلون بين إخوانهم وأضدادهم ، فإن مثل هذا مما يكرهه

الله ورسوله .

(٦) الفتاوى : ١٢ / ٢٣٢٧ .

وكذلك لا يفتاحوا فيها عوام المسلمين الذين هم في عافية

وسلام عن الفتن .

ولكن إذا مثل الرجل عنها ، أو رأى من هو أهل التعريفه

ذلك ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به .

بخلاف الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ، فإن الإيمان

بذلك فرض واجب ، لما قد تواتر عن النبي ﷺ ، وصحابته

وسلف الأمة . (٧)

ولا ينبغي أن يفهم مما سبق ذكره النهي عن معرفة دقيق العلم

نهياً مطلقاً ، إنما النهي يكون إذا طول به العاخر ، أو كان الكلام

فيه يوءدى إلى فتن وفرقة .

• واليك كلمة جامعة ذات فوائد نافعة لشيخ الإسلام ابن تيمية

فيها بيان شافعي وإيضاح رائع لهذه المسألة .

قال رحمه الله :

" وأما أن يكون الكتاب أو السنة نهى عن معرفة المسائل التي

يدخل فيما يستحق أن يكون من أصول دين الله فهذا لا يكون اللهم

إلا أن ننهي عن بعض ذلك في بعض الأحوال مثل مخاطبة شخص بما يعجز

(٧) الفتاوى : ٥٠٤/٦ .

عنه فهمه فيضل .

كقول عبد الله بن مسعود " ما من رجل يحدث قوماً حديثاً

لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم "

وكقول علي رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا

ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ " (٨)

أو مثل قول حق يستلزم فساداً أعظم من تركه ، فيدخل في قول

النبي ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ . . . »

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (٩)

" لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يوءم بما جاء به الرسول

إيماناً عاماً مجملاً ،

ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل

فرض على الكفاية .

" وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم

وحاجتهم وما أمر به أعيانهم ، فلا يجب على العايز عن سماع بعض

(٨) (خ ٢٢٥/١)

(٩) (م ٦٩/١ - ٤٩) (جه ٤٠٦/١ - ١٢٧٥)

(ج ٢٠/٣) (ح ٤٣٤٠ - ١٧٣/٤٥)

العلم أو عن فهم دقيق ما يجب على القادر على ذلك ، ويجب على من سمع النصوص وفهما من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمها ويجب على المفتى والمحدث والمبادل ما لا يجب على من ليس كذلك * . (١٠)

٢ - ومن صور التفسير :

أن يرفض المرء الرخصة حيث يحتاج إليها ويجب على نفسه المشقة والخرج بلا داع .

قال الشاطبي :

" فمن ذلك أن يكون للمكلف طريقان في سلوكه للأخيرة ،

أحدهما سهل ، والآخر صعب ، وكلاهما في التوصل إلى

المطلوب على حد واحد فيأخذ بعض المتشددين بالطريق

الأصعب الذي يشق على المكلف مثله ، ويترك الطريق الأسهل

بناءً على التشديد على النفس * . (١١)

وقد يظن بعض هؤلاء أن التزام ما فيه مشقة ومعوية

هو الأكمل ، والأكثر أجراً .

فأخطأ ظنهم ، لأن الأكمل هو التزام ما جاء به الشرع حيث

الأخذ بالعزيمة في موضعها .

(١٠) الفتاوى ٣/٣١١ : ٣١٢ .

(١١) الاعتصام : ١/٣٤٠ .

والأخذ بالرخمة في موضعها .

وليس من مقاصد الشرع تحرى المشقة ، وإرادة العسر .

قال تعالى :

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (١٢)

فينبغي معرفة العزائم والرخص ، وإنزال كل منزله لأن الدعوة الإسلامية أحياناً تمر بفترات حرجة ، في بعض الأزمنة والأمكنة وأحياناً يمر الداعية بظروف صعبة ، وتكون الحاجة إلى الأخذ بالرخمة أولى .

مثال للأخذ بالرخمة :

أمر الله تعالى بالموم ، وخير المسافرين :
فقال تعالى :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (١٣)

لامحابه :

وفي عام الفتح قال

(١٢) البقرة / ١٨٥ .

(١٣) البقرة / ١٨٥

« إِنَّكُمْ قَدْ دَوَّيْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ » . فَكَانَتْ رُخْصَةً .
فِنَا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ . ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ .
فَقَالَ « إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ . وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ ، فَأَفْطِرُوا »
وَكَانَتْ عَزْمَةً . فَأَفْطَرْنَا .

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتَنَا نَصُومُ ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ ، فِي السَّفَرِ . (١٥)

وهذا إشارة الى أن الصيام ربما أضعف عن ملائمة

العدو ، وعمل الجهاد ، فصيام النفل أولى بهذا الحكم . (١٤)

* ولما كان أمر الأخذ بالعزيمة والرخصة قد يشبه على البعض

وجبرده ، الى ميزان الشرع واستشارة أولى الفقه .

فإن الخطأ في الأخذ بالعزيمة أو الرخصة إذا كان متعلقاً

بفرد فأمره أهون من تعلقه بالجماعة .

لذلك يشتد الوجوب إذا تعلق الأمر بالجماعة فينبغي التدقيق

الفاحص في الموازين الشرعية ، ويتولى ذلك أهل الفقه ، والحكمة

والتجربة ، أصحاب النفوس المعتدلة ، لا الثائرة المشهورة التي

تميل للعزائم حيث تكون الرخصة أولى .

ولا الضعيفه الخائفه التي تميل للرخصة حيث تكون العزيمة أولى .

(١٤) (٢م / ٧٨٩ - ١١٢٠) (٢٥ / ٤٢٥ - ٢٠٤٦) (حم ٣ / ٣٥)

(١٥) الاعتصام / ١ / ٣١٦ .

٤ - ومن صور التعسير :

الزام الآخرين بما لم يلزمهم به الشرع ، كأن يلزم الغير
بالمستحبات ويعنفهم على عدم التزود منها .

« فمما لاشك فيه أن الشرع قد راعى تفاوت القدرات ، واختلاف
الطاقات .

فشرع فرائض لا يجوز لأحد تركها ، ولا التفريط فيها ، ويُنكر
على من غرط في ذلك .

كما فتح باب المنافسة في المستحبات لمن رغب في المزيد
والسعي من سعي للمزيد .

ومن اكتفى بالفرائض والواجبات ، ولم يتزود من المستحبات فقد
نجا لكنه أضع على نفسه خيراً .

فينبغي للتزود من المستحبات لأن فيها جبراً لما قد يقع من
نقص في الفرائض ، ولأن فيها رفعة في الدرجات ، يدعى برفق ورحمة
لتعنيف وقسوة ، ولا إنكار وإغلاظ .

” ففي الحديث عن طلحة بن عبيد الله

« ان اعرابياً جاء الى رسول الله ﷺ فأمره الرأس قال : يا رسول الله ، أخبرني ماذا فرض الله على من الصلاة ؟
قال : الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً . قال : أخبرني بما فرض الله على من الصيام ؟ قال : شهر رمضان
إلا أن تطوع شيئاً . قال : أخبرني ما فرض الله على من الزكاة ؟ قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع
الإسلام . قال : والذى أكرمك بالحق ، لا أتطوع شيئاً ولا أقص مما فرض الله على شيئاً . قال رسول الله ﷺ :
أفصح إن صدق . أو دخل الجنة إن صدق » (١٦)

موقف الاسلام :

من خصائص هذا الدين اليسر والسهولة والسماحة

• ورفع الحرج .

قال تعالى :

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (١٧)

ومقياس الحرج ليس هو شهوات الكمالى الظالمين ، والمتعصبين

• المتحليلين .

إنما كل ما شرعه الإسلام من رخص فى موضعها وعزائم فى موضعها

• ليس فى ذلك حرج .

ومن أوصافه ﷺ المذكورة فى الكتاب قبلنا ما جاء فى

قول الله تعالى :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (١٨)

(١٧) الحج / ٧٨ .

(١٨) الاعراف / ١٥٧ .

قال ابن كثير : وقوله : " ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " . أي أنه جاء بالتيشير والسماحة " . (١٩)
* وكان من هديه ﷺ اختيار السهل اليسير السمح ما لم يكن في ذلك إثم .

قالت عائشة رضوا الله عنها :

مَا خَيْرُ رَسُولٍ لِّلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا .
مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا . فَإِنْ كَانَ إِثْمًا ، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ . (٢٠)

لذلك نجده ﷺ يقول عن نفسه :

« إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطاعتها ، فأسمع بكاء الصبي فأنجز في صلاتي
ثم أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » (٢١)

وقد انكر صلى الله عليه وسلم على معاذ إطالة الصلاة

حيث لم يراع ظروف الناس وأحوالهم ، فقال :

يا مُعَاذُ . أَقْتَانُ أَنْتَ - أَوْ أَقَاتِنُ - (ثلاث مرار) ، (٢٢)

(١٩) تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٥٤ .

(٢٠) (خ ١٠ / ٥٢٤ ، ٥٢٥ - ٢١٢٦) (م ٤م / ١٨١٣ - ٢٣٢٧)

(٢١) (ج ٤٥ / ٢٤٦ - ٤٧٨٥) (حم ٦ / ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٦٢ ، ٢٨١)

(٢٢) (خ ٢ / ٢٠١ ، ٢٠٢ - ٧٠٧ : ٧١٠) (م ١ / ٢٤٢ - ٤٧٠)

(حم ٣ / ١٠٩) .

(٢٣) (خ ٢ / ١٩٢ ، ٢٠٠ / ٧٠٥ ، ٧٠١) .

وكانت وصيته للدعاة بالتزام التيسير:
فقد أوصى معاذاً وأبا موسى الأشعري عندما أرسلهما إلى

اليمن فقال :

• : بِشْرًا وَلَا تَفْرًا،

وَبَشْرًا وَلَا تَفْرًا،

وَتَطَاوَعًا . (٢٣)

وتلك وصية جامعة ، ما أحرى أن يصنف إليها الدعاة ،


ويلتزموا بهديها . !!

(٣) (خ ١٠ / ١٠٢٤ / ٦١٢٤) (م ٣ / ١٣٥٨ - ١٧٣٢ :
١٧٣٤) (حم ٤ / ٣٩٩ / ٤١٣٠) .



الفصل السابع

التكفير



التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروتة .

وقد شاعت هذه الآفة في طائفتين :

* إحداهما تعرضت للمحن ، ولم يكن عندهم من العلم ما يعصمهم من
منعطفات المحن ، وعواقبها الوخيمة فانطلقوا وراء العاطفة لا العقل
والهوى لا الشرع المنضبط .

* والأخرى لم تتعرض لمحن ، وإنما ابتليت بالانحراف الفكري ، والفهم
المعوج .

* فكلا الفريقين ابتلى بأفة واحدة ، وإن اختلفت منطلقات كلٍ منهما
إلا أنه يجمعها غالباً أخطاءً واحدة ومتقاربة بسبب غياب قواعده
وحقائق هامة عنها .

* ولقد ألفت عدة كتب في الطائفة الأولى ، تناولت الحديث عن بذورها
ونشأتها ، وعرضت أفكارها وناقشتها . (١)

لذلك لن أطيل الكلام على هذه الطائفة مكتفياً بما كتب ولئلا

يكون هناك تكرار ، فالمرء يبدأ من حيث انتهى الآخرون .

(١) من الكتب المؤلفة في ذلك :

- أ - دعاة لا قضاء .
- ب - ظاهرة الغلو في التكفير .
- ج - الحكم وقضية تكفير المسلم .
- د - التكفير جذوره وأسبابه .
- هـ - التكفير والهجرة وجهها لوجه .

إنما سأكتفى بإعطاء فكرة موجزة لتمام البحث والفائدة .
* أما الطائفة الثانية ، فالكتابة فيها قليلة ، فهي التي تحتاج إلى
إيضاح وتجلية ومناقشة .
وهذا ما سأتناوله في هذا البحث بعون الله وتوفيقه .
وقبل هذا العرس أوضح موقف الإسلام من التكفير .

* هناك أعمال حكم الإسلام على أصحابها بالكفر واللعن ..

كقوله تعالى :

« وَمَنْ لَزَّ بِحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ (٢) »

« أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ (٣)
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ﴿٢﴾ »

وكقوله صلى الله عليه وسلم : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« آكِلَ الرِّبَا ، وَمُوكَلَّهُ ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ ، وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ . (٤) »

« لُعِنَتِ الخَمْرُ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ : بِعَيْنِهَا ، وَحَاصِرِهَا ، وَمُعْتَصِرِهَا ، وَبَائِعِهَا ،
وَمُبْتَاعِهَا ، وَحَامِلِهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَآكِلِ ثَمَرِهَا ، وَشَارِبِهَا ، وَسَاقِيهَا . (٥) »

فلا مانع من إطلاق حكم اللعن أو الكفر على هذه الأوصاف فيقال :

شارب الخمر طمعون .

من حكم بغير شرع الله فهو كافر .

يطلق الحكم على الوصف دون تحديد شخص بعينه .

(٢) العائدة / ٤٤ .

(٣) هود / ١٨ ، ١٩ .

(٤) (٣م / ١٢١٨ - ١٥٩٧)

(٥) (جه ٢ / ١١٢١ - ٣٣٨٠ ، ٣٣٨١) .

* أما اطلاق الكفر أو اللعن . . على شخص بعينه فهذا أمر خطير

قد حذر الإسلام منه ، لعاقبته الجسيمة ، ولعظم الخطأ فيه .

* فقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يرمى رجلٌ رجلاً باللقن ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ،

إن لم يكن صاحبه كذلك » (٦١)

« : إنما رجلٌ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » (٧)

* وقال أبو حامد الفزالي :

والذى ينبغي أن يحل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً .

فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصححين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ . والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة لأهون

من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم . (٨)

* وقد كان علماء السلف ينهاون عن تكفير المعين إلا بعد قيام الحجّة

وإزالة الشبهة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« هذا مع أنى دأباً — ومن جالسنى يعلم ذلك منى ، أنى من أمهظم

الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير ، وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجّة الرسالية التى من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى

(٦) (خ ١٠ / ٤٦٤ — ٦٠٤٥) .

(٧) (خ ١٠ / ٥١٤ — ٦١٠٣ ، ٦١٠٤)

(٨) الاقتصار فى الاعتقاد / لآبى حامد الفزالى / ١٥٧ .

وعاصياً أخرى (٩)

• إن الحكم على شخص بعينه أمر خطير لذلك حذر الإسلام منه ولم يجزه إلا إذا قامت على هذا الشخص الحجج القاطعة ، وأزيل ما عنده من شبهات ، وتوفرت فيه شروط التكفير ، وانتفت موانعه . حينها يجوز الحكم على هذا الشخص بالكفر .

" فمن ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة ، وإزالة الشبهة " (١٠)

بعد بيان موقف الإسلام من التكفير ، نأتى للحديث عن نشأة هذا الفكر . . .

(٩) الفتاوى / ٣ / ٢٢٩ .

(١٠) الفتاوى / ١٢ / ٤٦٦ .

نشأة فكر التكفير وانتشاره :

* لقد بدأت ظاهرة التكفير في عام ١٩٦٥ م ، وأخذت تتسع شيئاً ما

عام ١٩٦٧ م نتيجة لبعض المحسن .

* وأخذ هذا الفكر ينتشر رويداً رويداً حتى شكّل ظاهرة بارزة .

* ويلاحظ هنا عدة أمور . :

١ - أن هذا الفكر المنحرف ولد في أثناء محنة ما جعل هذا الفكر

تغلب عليه العاطفة لا العقل، والهوى لا التقوى .

لأن الفتاوى التي تصدر في هذه الظروف لا تكون منضبطة غالباً

لذلك نهى الإسلام عن أن يحكم القاضي الفقيه وهو غضبان ، فما

بالك بمن هو دون القاضي ؟

٢ - أن قادة هذا الفكر وأنصاره شباب .

ولهذه الصفة دلالتها المؤثرة على الفكر .

- فالشباب يتصف بالحماسة الشديدة التي قد تعميه غالباً عن

الاعتزان في وزن الأمور وتقديرها .

- والشباب بحكم السن لم تتح لهم فرص التجربة الكافية التي

يتزودون منها بالحكمة .

- كذلك لم تتح لهم الفرص الكافية للتزود من الفقه الدقيق الذي يوجههم

لإصدار الفتاوى في الأمور العويصة .

* ولقد أخذ هذا الفكر يتجاوز حدود البلد التي نشأ فيها لأسباب
أهمها :

١ - احتكاك أصحاب هذا الفكر ببعض الشباب من بلدان أخرى بحكم

الدراسة والتجارة وغيرها والتأثير فيهم ، وقام هؤلاء بنقل الفكر

إلى زملائهم ولا دهم .

٢ - سفر بعض أنصار هذا الفكر الأصليين إلى الخارج ونشرهم لهذا

الفكر هناك .

* أما القسم الثانى الذى أنتشر على لسانه التكفير أيضاً ولم يتعرض لمحن ،

فهم أناس أرادوا طلب العلم فتعلموا على أنفسهم ، وفى هذا من المخاطر الشئ

الكثير، وقد وقعت هذه المخاطر .

* فقد قرأوا أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحسوا لذلك ، لكن

فاتهم أهم شئ ، فى هذا الباب وهو فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وآدابه ، وقواعده الهادية العاصمة من الشطط . وبغوات ذلك شطوا، فمن

الحقائق المقررة أن العمل إذا كان بغير علم ولا فقه ففساده أكثر من صلاحه .

وهذا ما وقع فيه أولئك .

* كما أنهم قرأوا أبواب ذم البدع فنفروا من البدعة وذمواها . - أعنى البدع

الظاهرة - لكنهم بالغوا فى الذم قدراً ونوعاً ، ولم يدركوا تفاوت درجات

البدع ، وتباين حجمها . . . فجعلوا الجميع سواً ، ولم يحسنوا فهم كلام

الأئمة ولا المراد منه ، ولا إنزاله منازل ، فخرجوا لنا بأحكام عجباً
وآراء شططاً .

* كما أنهم رأوا انحرافات اجتماعية ، فلم يحسنوا إعطاء هذا الانحراف
حجمه ، وتقديره بقدره الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ، فلم يفرقوا بين
الكبائر والصغائر ، ولا بين الكبائر المخرجة من الطة وغير المخرجة .
ولم يدرسوا الواقع ومشكلاته دراسة بصيرة دقيقة ولم يكن عندهم من الخبرة ،
بقفه منهج الإصلاح ما يمكنهم من الإصلاح .

لذلك صدرت منهم أخطاء جسيمة فى نظرتهم للأمور سواء من ناحية
الحكم عليها ، ومن ناحية السعى فى علاجها حسب تصورهم .

* والآن أذكر بعض النماذج التى تجلى الفلوس ، وأناقشها من خلال أقوال
علماء الإسلام الكرام .

ثم أذكر الفواعل الهامة التى أدى غيابها إلى الفلوس .

نموذج :

* إن أهل السنة في الفرق كالإسلام في سائر الملل من حيث الوسطية والاعتدال .

غير أن هذه الفرق تتفاوت من حيث القرب والبعد من أهل السنة ، فمنها القريبة ومنها البعيدة جداً ، فمن التجاوز والخطأ أن يسوى بين الجميع . ومن أشد التجاوز أن يحكم عليها كلها بالكفر .

* ولقد وقع بعض الشباب في الخطأين :

فمنهم من سوى بين الجميع .

ومنهم من حكم عليهم بالكفر .

فوجدنا من يسوى بين المرجئة والخوارج والجهمية المحضة . .

ورأينا من يسوى بين جميع أهل البدع .

ووجدنا من يخرجهم من الملة .

والسبب أنهم قرأوا بعض الكتب ، وسمعوا كلام بعض الأئمة ، ولم يضمنوا

أطرافه بعضها إلى بعض فوقعوا في الخطأ في حكمهم .

والحقيقة أن هذه الآفة قديمة ، وقد عرضت لأناس من قبل ، حيث

لم يحسنوا فهم كلام الأئمة .

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك وهو يتحدث عن
المنحرفين عن اتباع الأئمة في الأصول والفروع ، فيبين أن منحرفهم
أنواع منه :

" قول قاله الإمام فزيد عليه قدراً أو نوعاً .

. كتكفيره نوعاً من أهل البدع كالجهمية ..

فيجعل البدع نوعاً واحداً حتى يدخل فيه المرجئة والقدرية .

. أو زعم لأصحاب الرأي بمخالفة الحديث والإرجاء ، فيخرج ذلك إلى

التكفير واللعن .

. أوردته لشهادة الداعية وروايته وغير الداعية في بعض البدع الغليظة .

فيعتقد رد خبرهم مطلقاً ، مع نصوصه الصراح بخلافه " (١١)

وقديماً نسب أناس إلى الإمام أحمد القول بتكفير جميع أهل البدع . .

وقد أنكر شيخ الإسلام هذه المقالة . فقال :

" وأما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير " المرجئة والشيعة

المفضلة " ونحو ذلك . ولم تختلف نصوص أحمد في أنه لا يكفر هؤلاء ، وإن

كان من أصحابه من حكى في تكفير جميع أهل البدع .

(١١) الغاوي ٢٠ / ١٨٥ .

— من هؤلاء وغيرهم — خلافاً عنه ، أوفى مذهبه ، حتى أطلق بعضهم تخليد هؤلاء وغيرهم . وهذا غلط على مذهبه وعلى الشريعة^(١٢) .

ويقول شيخ الإسلام أيضاً :

” أهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر . ويكثر مثل هذا

في الرافضة والجهمية ، فإن رؤسائهم كانوا منافقين زنادقة .

وأول من ابتدع الرفس كان منافقاً ، وكذلك التجهم فإن أصله زندقة

ونفاق . ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية والمتسفة

وأمثالهم يعيلون إلى الرافضة والجهمية لقبهم منهم .

* ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنياً وظاهراً لكن فيه جهل

وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق .

ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً ، وقد يكون

مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطوه ، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى

ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه . ”^(١٣)

(١٢) الغاوي ٣ / ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(١٣) الغاوي ٣ / ٣٥٢ ، ٣٥٤ .

نموذج آخر :

رأى بعض الشباب السفور والتبرج ، والفناء والمعازف . . . فبادر إلى
الرمى بالكفر والردة والمروق ، والشدة والعنف

فما لا شك فيه أن هذه منكرات قبيحة حث الإسلام على إزالتها
في ضوء قواعد الشرعية المنضبطة .

ولا ينبغي أن تنسى هذه القواعد في فورة الحماسة سواء في
الأحكام الصادرة ، أو المعاملة الظاهرة . وبالرجوع إلى أقوال العلماء
الفضلاء ، وسائلة الفقهاء يكون الانضباط ، وأمن الانغلات .

قواعد هامة ينبغي مراعاتها :

رأينا كثيراً من يتصدون لتكفير الناس قد غابت عنهم مبادئ هامة ، فوقعوا فيما وقعوا فيه ، وبعض هذه المبادئ بديهي ، ولكن لما لوحظ غيابه فقد رأيت الإشارة إليه ضرورة وبعضها الآخر قد يخفى على كثير ، فهو بالإشارة جدير .

القاعدة الأولى :

(١) الذنوب : كبائر وصغائر .

يقول الإمام ابن القيم :

والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر . بنص القرآن والسنة ، وإجماع

السلف والاعتبار . (١٤)

قال الله تعالى :

إِن مَّجْتَبِئُوا كِبَارَ مَا تَهَوَّنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ (١٥)

وقال تعالى :

الَّذِينَ مَجْتَبِئُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ (١٦)

والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« الصَّلَاةُ أَخْمَسُ . وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ . وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ .

مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ . إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ » . (١٧)

(١٤) مدارج السالكين / لابن القيم / ١ / ٢٣٧ دار التراث العربي . القاهرة .

(١٥) النساء / ٣١ .

(١٦) النجم / ٣٢ .

(١٧) (١٤ م / ٢٠٩ - ٢٣٣) .

فالذنوب متفاوتة في الإثم فالنظرة ليست كالزنا والكبائر متفاوتة فسي
الإثم أيضاً .

ومنها ما لا يغفر كالشرك الأكبر .

ومادون ذلك فأمره إلى الله إن شاء غفر ، وإن شاء عذب .

قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (١٨)

القاعدة الثانية :

(٢) الكفر نوعان : أكبر وأصغر .

لقد دلت النصوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما .
فالكفر الأكبر : هو التكذيب بما جاء به الرسول .

والأصغر : ذنوب توجب استحقاق الوعيد دون الخلود كقوليه
صلى الله عليه وسلم

« لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » . (١٩)

وقال تعالى :

وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْآخَرَى ففَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠﴾

(١٨) النساء / ٤٨ .

(١٩) (خ ١ / ٢١٧ - ١٢١) (م ١٢ / ٨٢ - ٦٦) .

(٢٠) الحجرات / ٩ : ١٠ .

فقد وصف الله الطائفتين المقتلتين بالإيمان فدل ذلك على أن وصف الكفر هذا لا ينقل عن الطئة وذلك هو الكفر الأصغر .

يقول ابن القيم :

" والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر ، فإنها ضد الشكر ، الذي هو العمل بالطاعة . " (٢١)

القاعدة الثالثة :

تفاوت البدع :

• لقد ذم الإسلام البدع بجميع أنواعها ، وردّها على صاحبها .

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا » (٢٢)

• وقال صلى الله عليه وسلم :

(٢٣)

إن أحسن الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الحديثِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ،

فبينفي للحرء أن يكون وقافاً عند شرع الله فلا يزيد ولا ينقص . . غير أن بعض

الناس قد وقعوا في البدعة .

لغلبة أهوائهم ، وسيطرة الشبهات عليهم . .

فاستحقوا بذلك الذم .

(٢١) مدارج السالكين ١/ ٢٥٣ .

(٢٢) (ح ٢٥٥ / ٤) (م ٣ / ١٣٤٣ - ١٧١٨)

(٢٣) (ح ٢٤٩ / ١٣ - ٧٢٧٧)

غير أنهم متفاوتون في الإثام لتفاوت البدع فمثلا : بدعة التكفير ليست
كبدة صوم النصف من شعبان .

ويقول الإمام الشاطبي :

"الباب السادس" في أحكام البدع ، وأنها ليست على رتبة واحدة

فاتقضى النظر انقسام البدع الى قسمين :

فمنها بدعة محرمة .

ومنها بدعة مكروهة .

و ذلك أنها داخلة تحت جنس المنهيات ، لاتعدو الكراهة

والتحريم . فالبدع كذلك .

هذا وجه .

• ووجه ثان : أن البدع إذا توصل معقولها وجدت رتبها متفاوتة .

فمنها ما هو كفر صراح :

كبدع الجاهلية التي نبه عليها القرآن . كقوله تعالى :

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا (٢٤)

ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يختلف هل هي كفر

أم لا ؟

كبدة الخواج والقدرية والمرجئة و من أشبههم من الفرق الضالة .

ومنها ما هو معصية و يتفق عليها ليسمت بكفر كبدة التبتل ، والصيام

قائما في الشمس

ومنها ما هو مكروه . // (٢٥)

(٢٤) الانعام / ١٣٦ .

(٢٥) الاعتصام / ٢ / ٣٦ : ٣٧ .

فقبل إصدار أى حكم ينبغي النظر إلى البدعة ، ووزنها بميزان الشرع لمعرفة رتبته .

• وكذلك ينبغي التفرقة بين الداعية إلى البدعة والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية .

• فلا يستوى الأول والثاني .

• كذلك الجاهر والمسر .

القاعدة الرابعة :

• للتكفير شروط و موانع :

هذه القاعدة هي أهم القواعد ، وقد تخفى على كثير ، فينبغي

• التنبه لها ، ومراعاتها في كل حكم .

• فقد يرتكب المرء ذنباً هو كفر .

• وقد يقول قولاً هو كفر .

• وقد يعتقداً عقداً هو كفر .

فهل بمجرد اقراره لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافراً

حلال الدم والمال ؟

أجاب العلماء بأن هذا الشخص المعين لا يكون كافراً حلال الدم والمال

إلا إذا :

أ - توافرت فيه عدة شروط .

ب - وانتفت عنه عدة موانع .

حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر .

أما إذا انتفى أى شرط أو وجد أى مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر .

وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تماماً ، بل يعاقب على حسب حاله .

إنما المنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة .

أ - شروط التكفير :

هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر . . . ، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره . .

وهذه الشروط هي :

١ - العلم .

٢ - العمد .

٣ - الاختيار .

أما الشروط الأول وهو العلم :

فلكي يحكم على شخص بالكفر لأنه عمل عملاً ، أو قال قولاً ، أو اعتقد اعتقاداً هو كفر .

لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما فعله كفر ، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب .

فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بياناً شافياً .

قاله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة . قال عز وجل :

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (٢٦)

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢٧)

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا (٢٨)

كَلَّمَآ أَنبَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُم خَزَنَتَهَا أَلْيَا تَنكُرُ نَذِيرٌ ﴿٣٠﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ
فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ (٢٩)

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنُنَبِّئُ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذَلَ وَنُخْزَى ﴿٣٠﴾

فهذه النصوص القرآنية تفيد أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد

قيام الحجة عليهم ، وعلمهم بالحق والصواب .

وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ الجاهل ولو كان جهلًا

بمسائل في العقيدة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبيته :

إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اطحنوني ، ثم ذروني في الريح ،

فوافقه لمن قدر الله على أن يعذبني عذاباً ما عذب به أحداً .

فلما مات فعل به ذلك ،

فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ، فقمت ، فاذا هو قائم ،

فقال : ما حملك على ما صنعت ؟

قال : يا رب خشيتك . فنفر له « وقال غيره « مخافتك يا رب » (٣١)

(٢٧) النساء / ١٦٥ .

(٢٨) القصص / ٥٩ .

(٢٩) الطوك / ٨ : ٩ .

(٣٠) طه / ١٣٤ .

(٣١) (خ / ٦ ، ٥١٤ ، ٥١٥ - ٣٤٧٨ : ٣٤٨١) .

• وهذا الحديث تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد ، وحذيفة ، وعقبة بن عمرو ، وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة ، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني ، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم .

فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم ، بعدما أحرق ونزى ، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك .

وهذان أصلان عظيمان :

• أحدهما : متعلق بالله تعالى ، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير .

• والثاني : متعلق باليوم الآخر . وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله .

ومع هذا فما كان مؤمناً بالله في الجملة ، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة ، وهو أن الله يشيب ويعاقب بعد الموت ، وقد عمل صالحاً ، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه — غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والعمل الصالح . * (٣٢)

(٣٢) الفتاوى : ١٢ / ٤٩١ .
وانظر الفصل في الطل والنحل / لابن حزم / ٣ / ٢٩٦ .

- دليل آخر :

قال تعالى :

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (٣٣)

(فهؤلاء الحواريون الذين آثروا الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل

لعيسى عليه السلام : " هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " .

ولم يبطل ذلك إيمانهم ، وهذا لا مخلص منه . وإنما كانوا يكفرون

لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبينهم لها . (٣٤)

- دليل آخر :

عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجْرَةٍ لِلنُّشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا
ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسَاجِدَهُمْ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ
أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَتَرَكِبَنَّ سُنَّةً مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . (٣٥)

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يحكم عليهم بالكفر والردة بقولهم هذا

(٣٣) المائدة : ١١٢ : ١١٣ .

(٣٤) الفصل في الطل والنحل / لابن حزم / ٣ / ٢٩٦ .

(٣٥) (ت ٤٧٥ / ٤ - ٢١٨٠) (حم ٥ / ٢١٨) .

لأنهم جهال .

إنما اكتفى صلى الله عليه وسلم بالغضب عليهم ، وبين لهم أن هذا أمر عظيم ، وعلمهم ما كانوا يجهلون .

ويقول شيخ الاسلام :

" وكذلك بلال رضي الله عنه لما باع الصاعين بالصاع أمره النبي صلى الله عليه وسلم برده ، ولم يرتب على ذلك حكم آكل الربا من التفسير واللعن والتغليظ لعدم علمه بالتحريم " . (٣٦)

- الشرط الثاني : العمد

بعد استيفاء شرط العلم ، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف ، والتأكد من وصوله إليه ، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن . .

لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر ، وهو العمد . فترى هل تعد نصره القول الباطل ، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه أو هو مخطئ متأول قد عرضت له بعض الشبه ؟ لا بد من توفر شرط العمد ، لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول .

قال تعالى :

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ (٣٧)

(٣٦) الفتاوى : ٢٠ / ٢٥٣ .

(٣٧) الاحزاب / ٥ .

وقال سبحانه وتعالى :

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (٣٨)

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
" أن الله تعالى قال : قد فعلت " لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
بهذا الدعاء .

• وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال :
" أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، وأنه
لم يقرأ بحرف منها الا أعطيتها " (٣٩)

وقال صلى الله عليه وسلم :

" إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان " .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

» وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العطفية . وما زال
السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ، ولم يشهد أحد منهم على
أحد لا يكفروا ولا يفسقوا ولا بمعصية " . (٤٠)

• تلك أدلة رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والتأويل والآن نعرض لبعض
الأمثلة التي وقعت ودلت على عدم المؤاخذة بالخطأ والتأويل .

(٣٨) البقرة / ٢٨٦ .

(٣٩) (م) ١٥٧/١ - ١٧٣ - ١٠١٥٤/١ - ٨٠٦ .

(٤٠) الفتاوى ٢/٢٢٩ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبرية والعلمية . . كمن اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث ، وكان لذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه ، مثل من اعتقد أن الذبيح إسحاق لحديث اعتقد ثبوته . أو اعتقد أن الله لا يرى لقوله : " لا تدركه الأبصار " ولقوله : " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب " كما احتجت عائشة بهاتين الآيتين على انتفاء الرواية في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما يدلان بطريق العموم .

وكما نقل عن بعض التابعين أن الله لا يرى ، وفسروا قوله : " وجهه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " بأنها تنتظر ثواب ربها ، كما نقل عن مجاهد وأبي صالح . أو من اعتقد أن الميت لا يعذب ببكاء الحي لاعتقاده أن قوله " ولا تنز وازرة ووزر أخرى " يدل على ذلك . وأن ذلك يقدم على رواية الراوى لأن السمع يغلط " . كما اعتقد ذلك طائفة من السلف والخلف . (٤١)

ويقول شيخ الإسلام أيضاً :

" وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك . كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة :

يا رسول الله . دعني أضرب عنق هذا المنافق .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنه شهد بدرأً ، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ " . وهذا فسي الصحيحين .

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلاً بعد ما قال لا إله إلا الله ، وعظم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لما أخبروه وقال : " يا أسامة ، أقتله بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ " وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة :

تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

ومع هذا لم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة . لأنه كان تأولاً ، ظن جواز قتل ذلك القاتل لظنه أنه قالها تعوداً . " (٤٢)

* بعد إيضاح أدلة شرط العمد بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والنماذج العملية للسلف والتي تؤكد ضرورة وجود شرط العمد في مجانبة الحق للمؤاخظة .

أما الخطأ والتأويل فيرفع المؤاخظة .

* وإتماماً للفائدة نعرض سألتيْن هاتين تتعلقان بهذا الموضوع .

الأولى : ما هو حد الخطأ والتأويل الذي يعذر صاحبه ؟ وهل كل مخطئ في إصابة الحق أو كل تأول معذور ؟ لقد أفادت النصوص الشرعية أنه ليس كل مخطئ أو تأول معذوراً بذلك .

بل هناك مخطئون وتأولون معذورون .

وهناك مخطئون وتأولون غير معذورين .

فمثلاً : القوم الذين أفتوا الجريح بضرورة غسل جسده كله عند ما أجانب ، فتسبب ذلك في قتله ، هؤلاء القوم لم يعذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم لجهلهم ولخوضهم في دين الله بغير علم .

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي رَأْسِهِ ،
عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ أَصَابَهُ اخْتِلَامٌ . فَأَمَرَ بِالِاغْتِسَالِ ، فَأَغْتَسَلَ ، فَكَرَّ ، فَمَاتَ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ « قَتَلُوهُ . قَتَلَهُمُ اللَّهُ . أَوْ لَمْ يَكُنْ شِفَاءً أَلَمِ السُّؤَالِ » . : (٤٣)
فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد ؛ إذ لم يكونوا من أهل العلم (٤٤)

* ويضرب شيخ الإسلام مثالا آخر يوضح مؤاخذة من لا تأويل له فيقول :

" فإنه لما شرب الخمر بعض الصحابة واعتقدوا أنها تحل للخاصة
تأول قوله : " ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا
ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا " اتفق
الصحابة مثل عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب وغيرهما على أنهم
إن أقروا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا . " (٤٥)

الأمر الثاني :

قد تنتشر بعض المقالات الباطلة في زمان ما ، ومكان ما ، لتأييد
السلطان لذلك ، وترويج علماء السوء لهذه المقالات ، حتى ينخدع كثير
من الناس بذلك ، ويظنوا هذا الباطل هو الحق لشقتهم في هؤلاء العلماء
لما يظهرون من خير ، ولخفاً سوئهم على كثير من الناس .

فما حكم هؤلاء الساكين المضللين ؟

هل يؤخذون ويعاقبون كالعلماء بالسوء تماماً ؟

لا . لا يؤخذون ، بل الواجب في هذه الحالة تعليمهم
وإرشادهم إلى الحق ، وبيان الخطأ والباطل وتعريفه ، وإقامة الحجة
على ذلك ، حتى إذا لاح الحق ، وفضح الباطل تماماً بحيث لم تبق شبهة
حينها يمكن الحكم .

(٤٣) (ج ٥) (١ / ١٨٩ - ٥٧٢) .

(٤٤) الفتاوى : ٣٥٣ / ٢٠ : ٢٥٤ .

(٤٥) الفتاوى : ٤٩٨ / ١٢ : ٤٩٩ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" قد يكثر أهل هذه الأهواء - يريد الخوارج والروافض والقدرية والجهمية - في بعض الأمكنة والأزمنة ، حتى يصير بسبب كثرة كلامهم مكافئاً - عند الجهال - لكلام أهل العلم والسنة حتى يشتبه الأمر على من يتولى أمر هؤلاء .

فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بإظهار حجة الله وتبيينها حتى تكون العقوبة بعد الحجة .

وإلا فالعقوبة قبل الحجة ليست شرعية . " (٤٦)

قال تعالى :

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (٤٧)

الشرط الثالث : الاختيار والقدرة :

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأولاً هل يكفي ذلك للحكم عليه ؟

هنا ننتقل إلى الشرط الثالث .

فننظر في حال هذا الشخص ، وهل قال هذا القول الباطل . . وهو مختار ، قادر أولاً ؟ وهذا الشرط لابد من توفره ، لأن النصوص والوقائع بينت أن الله تعالى لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار .

(٤٦) الفتاوى ٣/ ٢٣٩ : ٢٤٠ .

(٤٧) الاسراء ٥١/ .

قال تعالى :

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤٨﴾

يقول ابن كثير :

" أخبر تعالى عن يكفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر
واطمان به أنه قد غضب عليه ، لعلمهم بالإيمان ثم عد ولهم عنه ،
وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة ، لأنهم استحبوا الحياة
الدنيا على الآخرة ، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ، ولم
يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق ، فطبع على قلوبهم فهم
لا يعقلون بها شيئاً ينفعهم ، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا يفتفحون
بها ولا أغنت عنهم شيئاً فهم غافلون عما يراود بهم .

(لا جرم) لا بد ولا عجب أن من هذه صفته (أنهم في الآخرة هم
الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة . وأما
قوله : (إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) .

فهو استثناء من كفر لسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من
ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله . . .
وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر .

قال ابن جرير :

أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكوا

ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " كيف تجد قلبك ؟ " .

قال : مطمئناً بالإيمان .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن عادوا فعد " .

ولهذا اتفق العلماء على أن المكروه على الكفر يجوز له أن يوالى

إبقاءً لمهجته . .

ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك . .

والأفضل والأولى أن يشبث المسلم على دينه ، ولو أفضى إلى قتله . (٤٩)

وفي الحديث . قال صلى الله عليه وسلم

« إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِّي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » . (٥٠)

* وأنبه هنا إلى أن العلماء اتفقوا على أن الإكراه يرفع الحكم ، إن لا بد

من توفر الحرية والاختيار ، اتفقوا على ذلك في الجملة ، وهذا ما نريد إقراره

ثم اختلفوا في حدود الإكراه ومقداره . .

وهذه الأمور التفصيلية يرجع فيها إلى كتب الفقه ، وتلك الأمور هي

خاصة بمن يتصدى للإتساء والقضاء .

وقد رأيت ألا أتعرض لها لأنها لاتخص بحثنا .

• ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس حول هذا الموضوع يجلى

فيه عفو الله عن العاجز ، وعدم مؤاخذته له ، ويضرب أمثله على ذلك .

« فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كقوليه

(٤٩) تفسير ابن كثير / ٢ / ٥٨٧ : ٥٨٨ .

(٥٠) (جه ١ / ٦٥٩ - ٢٠٤٣ : ٢٠٤٥) .

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٥١)

وقوله تعالى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥٢)

وأمر بتقوا بمقدر الاستطاعة فقال : فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (٥٣)

وقد دعاه المؤمنون بقولهم :

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ (٥٤)

فقال : قد فعلت .

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً ما تعجز عنه خلافاً للجهمية المبررة ، ودلت على أنه لا يؤخذ المخطيء والناس خلافاً للقدرية والمعتزلة .

وهذا فصل الخطاب في هذا الباب : فالمجتهد المستئول من إمام وحاكم وعالم وناظر وسفت وغير ذلك ، إذا اجتهد واستدل فأتى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه ، وهو مطيع لله ، مستحق للشواب إذا اتقاه ما استطاع ، ولا يعاقبه الله ألبتة خلافاً للجهمية المبررة . وهو مصيب ، بمعنى : أنه مطيع لله . لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه خلافاً للقدرية والمعتزلة في قولهم : كل من استفرغ وسعه علم الحق .

فإن هذا باطل كما تقدم .

بل كل من استفرغ وسعه استحق الشواب .

(٥١) البقرة / ٢٨٦ .

(٥٢) الاعراف / ٤٢ .

(٥٣) التغابن / ١٦ .

(٥٤) البقرة / ٢٨٦ .

وكذلك الكفار : من بلغه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في دار الكفر ،
وعلم أنه رسول الله ، فأمن به ، وآمن بما أنزل عليه ، واتقى الله ما استطاع
كما فعل النجاشي وغيره ، ولم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ، ولا التزام
جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعاً من الهجرة ، وممنوعاً من إظهار دينه ،
وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام :

فهذا مؤمن من أهل الجنة .

كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون .

وكما كانت امرأة فرعون .

بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر ، فإنهم كانوا
كفاراً ، ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام فإنه
دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه .

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون :

وَلَقَدْ جَاءَكَ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى
إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا (٥٥)

وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول
في الإسلام ، بل إنما دخل معه نفر منهم ، ولهذا لما مات لم يكن هناك
أحد يصلي عليه ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة خرج
بالمسلمين الرامضين فصفهم صفوفًا وصلى عليه ، وأخبرهم بموته يوم مات
عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ نعى لم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم
الذي مات فيه ، وقال : استغفروا لأخيكم ، (٥٦)

(٥٥) غافر / ٣٤ .

(٥٦) (خ ١٩١ / ٧ - ٣٨٧٧) .

وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لمجـزه
عن ذلك . فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت .

بل قد روى أنه لم يصل الصلوات الخمس ، ولا يصوم شهر رمضان ،
ولا يؤدي الزكاة الشرعية ، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه ،
وهو لا يمكنه مخالفتهم .

ونحن نعلم قطعاً أنه لم يكن يهكمه أن يحكم بينهم بحكم القرآن ،
، والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاء أهل الكتاب لم يحكم
بينهم إلا بما أنزل الله إليه ، وحذره أن يستنوه عن بعض ما أنزل الله إليه .
وهذا مثل للحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم ، وفي الدييات
بالعدل . والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع ، النفس بالنفس .
والعين بالعين ، وغير ذلك .

والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن ، فإن قومه لا يقرونه
على ذلك ، وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل
إماماً ، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك .
بل هناك من يمنعه ذلك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذى على بعض ما أقامه من العدل ،
وقيل : إنه سُمَّ على ذلك .

فالنجاشي وأمثاله سمداً في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من
شرائع الإسلام ما لا يقدر على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم
الحكم بها " . (٥٧)

تلك هي شروط التكفير أو الحاق الوعيد بالمعين :

(١) العلم بالحق ثم مخالفته ، فلا يؤخذ الجاهل حتى تقوم عليه الحجة .

(٢) العمد في مخالفة الحق والصواب ، ونصرة الباطل ، فلا يؤخذ المخطئ والمتأول بل تزال شبهته ويوضح له الحق .

(٣) الحرية والاختيار في اقرار القول أو العمل المخالف للحق ، فلا يؤخذ المكسر والمضطر والعاجز .

بعد بيان ذلك ، وذكر الأدلة عليه من الكتاب والسنة وضرب أمثلة عطية من حياة السلف تؤكد ذلك نأتى الآن لبيان موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين .

ب * موانع التكفير :

عرفنا أنه لكي يلحق الحكم العام بالشخص المعين لابد من توفر عدة شروط وانتفاء عدة موانع في حق هذا الشخص .
وقد ذكرنا تلك الشروط فيما سبق ، والآن نوضح الموانع التي ينبغي أنتقاؤها ، لكن يحكم على الشخص بالوعيد كالتكفير واللعن * ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية من أكثر الناس تنبيهاً على هذه القاعدة . ولطالما قال : يجب التفريق بين القول بإطلاق التكفير وتعيينه بشخص معين .

فالحكم على الشخص المعين يتوقف على وجود شروط وانتفاء موانع ومن هذه الموانع ما ذكر في قوله :
" الشخص المعين يلتغى حكم الوعيد فيه بتوبة ، أو حسنات ماحية أو معائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة . والتكفير هو من الوعيد ، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجده حتى تقوم عليه الحجة .

وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده . أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً " (٥٨)

* وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن موانع لحوق الوعيد
بالشخص المعين عشرة هي : (٥٩)

السبب الأول : التوبة :

وهذا متفق عليه بين المسلمين .

قال تعالى :

﴿ قُلْ يَعْزَابُكَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦٠)

وقال تعالى :

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ (٦١)

السبب الثاني : الاستغفار :

كما في الصحيحين عن النبي ﷺ ، فيما يخشى عن ربه عز وجل قال

« أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا . فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .
فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ! أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .
ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ . فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .
فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ! عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا . فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .
ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .
فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ! أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا . فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .
أَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » . (٦٢)

(٥٩) انظر الفتاوى : ٤٨٧/٧ : ٥٠٠ .

وشرح العقيدة الطحاوية / ٣٦٧ : ٣٧١ .

(٦٠) الزمر / ٥٣ .

(٦١) الشورى / ٢٥ .

(٦٢) (خ ٤٦٦ / ١٣ - ٧٥٠٧) (م ٢١١٢ / ٤م - ٢٧٥٨) .

السبب الثالث : الحسنات الماحية :

* كما قال تعالى :

”وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (٦٣)

* وقد كتب حاطب بن أبي بلتعة المشركين يطلعهم على أخبار النبي

ﷺ وقدمه ، فلما أراد عمر قتله ، قال النبي

” انه شاهد بدرًا ، وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر ،

فقال : أعطوا ما شئتم فقد غفرت لكم ” (٦٤)

السبب الرابع : دعاء المومنين للمؤمن .

عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

يَبْلُغُونَ مِائَةً . كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ . إِلَّا شُفِعُوا فِيهِ » . (٦٥)

فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقى الذي اجتنب الكبائر

، وكفرت عنه المفاسد وحده ، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين ، فعلم

أن الدعاء من أسباب المغفرة للميت . (٦٦)

(٦٣) هود / ١١٤ .

(٦٤) (خ / ٦٣٣ - ٤٨٩)

(٦٥) (م / ٦٥٤ - ٩٤٧)

(٦٦) الفتاوى : ٤٩٨ / ٧ .

السبب الخامس : ما يعمل للميت من أعمال البر .

كالصدقة ونحوها .

فإن هذا ينتفع به بنموص السنة المحيطة المريحة واتفاق الأئمة

وكذلك العتق والحج . بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : صلى الله عليه وسلم

« مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » . (٦٧)

السبب السادس : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الذنوب يوم
القيامة .

صلى الله عليه وسلم

فقد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله

في الحديث الصحيح :

« إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْكِبَابِ مِنْ أُمَّتِي » . (٦٨)

السبب السابع : المعائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا .

كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَّا كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا » . (٦٩)

(٦٧) (خ ٤/١٩٢ - ١٩٥٢) (م ٢/٨٠٣ - ١١٤٧)

(٦٨) (ج ٢/١٤٤١ - ٤٣١٠) (ت ٣/٦٢٥ - ٢٤٣٥) .

(٦٩) (خ ١٠/١٠٣ - ١٢٤١) (م ٣/١٩٩٢ - ٢٥٧٣)

السبب الثامن :

ما يحصل فى القبر من الفتنة والضغط والروعة فإن هذا
• مما يكفر به الخطايا •

السبب التاسع :

أهوال يوم القيامة وكرها وشدائدها •

السبب العاشر:

رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد •

تلك أسباب عشرة تمنع من لحون الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس
• بما يوجب الوعيد •

" فإذا عدت هذه الأسباب كلها ، ولن تعدم إلا فى حق من عتا وتمرد ،
وشرد على الله شراد البعير على أهله فهنا لك يلحق الوعيد به •

• فإن قيل : فما فائدة الوعيد إذا ؟ فالإجابة :

" وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب فى هذا العذاب

فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه • أما أن كل شخص قام به ذلك السبب
يجب وقوع ذلك المسبب به ، فهذا باطل قطعاً •

لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط وزوال جميع الموانع" • (٧٠)

القاعدة الخامسة :
=====

* لا يلزم في القتال أن يكون المُقاتل كافرًا .

وجدنا بعضاً ممن يصرّون على تكفير الحكام وأعدائهم المنحرفين

عن منهج الله ، والمخالفين لهديه وتطبيقه ، يقولون :

لا بد من تكفير هؤلاء أولاً لكي تحدد العلاقة معهم وهي قتالهم

فأصحاب هذا القول أخطأوا خطأين :

أولاً : تكفيرهم للحكام والأعداء بالجملة قبل أن يتحققوا من فتوهم

جميع الشروط ، وانتفاء جميع الموانع .

بل تعجلوا في إصدار الحكم بمجرد التلبس بفعل مما يوجب

الوعيد لما حبه .

ثانياً : اعتقادهم أنه لا يجوز المقاتلة الكفار . وهذا خطأ . إنما

هذا اعتقاد الخوارج ومن سار على دربهم .

فقد قال الخوارج لابن عباس أثناء مناظرته إياهم :

" ننقم على علي أنه قاتل ولم يسب ولم يغم ، فلئن كانوا

مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم

وسبهم . " (٧١)

وهذا الاعتقاد خطأ .

* فقد بين القرآن الكريم جواز قتال البغاة مع إثبات الإيمان لهم .

قال تعالى :

وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمَنَّا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَنفَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ (٧٢)

* وقد " أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة
من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون
الدين كله لله .

فلو قالوا : نطلى ولا نزكى ، أو نطلى الخمس ولا نطلى الجمعة ولا الجماعة
أو نقوم بمباني الإسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين وأموالهم ، أو
لا نترك الربا ولا الخمر ولا الميسر ، أو نتبع القرآن ولا نتبع رسول
الله ﷺ ولا نعمل بالأحاديث الثابتة عنه ، أو نعتقد أن
اليهود والنصارى خير من جمهور المسلمين ، وأن أهل القبلة قد كفروا
بالله ورسوله ولم يبق منهم موعن إلا طائفة قليلة .

أو قالوا: إنا لأجاهد الكفار مع المسلمين ، أو غير ذلك من الأمور
المخالفة لشريعة رسول الله ﷺ وسنته ، وما عليه جماعة
المسلمين . فإنه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها ، كما جاهد المسلمون
مانعي الزكاة ، وجاهدوا الخوارج وأصنافهم وجاهدوا الخرمية والقرامطة
والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الأهواء والبدع الخارجين عن شريعة
الإسلام ، وذلك لأن الله تعالى يقول في كتابه :

” وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (٧٣)

فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتى يكون

الدين كله لله .

وقال تعالى :

” فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)

فلم يأمر بتخية سبيلهم إلا بعد التوبة من جميع أنواع الكفر .

وبعد إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وقال تعالى :
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ (٧٥)

(٧٣) الانفال / ٣٩ .

(٧٤) التوبة / ٥ .

(٧٥) البقرة ٢٧٨ : ٢٧٩ .

فقد أخبر الله أن الطائفة الممثلة إذا لم تنته عن الربا
فقد حاربت الله ورسوله ، والربا آخر ما حرم الله في القرآن فما
حرمه قبله أو كده .

وقال تعالى :

” إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧٦)

فكل من امتنع من أهل الشوكة عن الدخول في طاعة الله ورسوله

فقد حارب الله ورسوله ، ومن عمل في الأرض بغير كتاب الله وسنة رسوله
فقد سعى في الأرض فساداً .

ولهذا تأول السلف هذه الآية على الكفار وعلى أهل القبلة . حتى

أدخل عامة الأئمة فيها قطاع الطريق الذين يشهرون السلاح لمجرد

أخذ أموال الناس بالقتال محاربيين لله ورسوله ساعين في الأرض فساداً

وإن كانوا يعتقدون تحريم ما فعلوه ، ويقولون بالإيمان بالله ورسوله (٧٧)

فالقتال يجب أن يكون للكفار ، ولكل من امتنع عن شريعة ظاهرة

متواترة من شرائع الإسلام .

(٧٦) المائدة / ٣٣ .

(٧٧) الفتاوى / ٢٨ / ٤٦٩ : ٤٧٠ .

* ولعل اللبس حدث من عدم التفريق بين القتل والقتال . فكل من يجب قتله يجب قتاله . وليس كل من يجب قتاله يجب قتله .
" فإن القتال أوسع من القتل ، كما يقاتل المائلون المداة ،
والمعتدون البغاة ، وإن كان أحدهم إذا قدر عليه لم يعاقب إلا
بما أمر الله ورسوله به " (٧٨)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وضوح وجلاء:
" إن عقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس .
ولهذا أكثر السلفياً يأمرون بقتل الداعي إلى البدعة ، الذي
يضل الناس لأجل إفساده في الدين . سواء قالوا : هو كافر
أو ليس بكافر " . (٧٩)

(٧٨) الفتاوى : ٢٨ / ٤٧٦ .

(٧٩) الفتاوى / ١٢ / ٥٠٠ .

* معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:

من العبارات التي اشتهرت على السنة من يلهبون الناس بسياط

التكفير قولهم :

" من لم يكفر الكافر فهو كافر "

وجعلوا هذه القاعدة مسوغاً لتكفير من يخالفهم في رأيهم . وحققة

ان هو ءلا الناس لم يحسنوا انزال هذا القول منزله ولم يجيدوا فهمه ،

فلزم بيان المفهوم الصحيح بالأدلة الصريحة ، ومن خلال أقوال العلماء

الذين نسب إليهم هذه القاعدة .

وهذه القاعدة قد دل عليها القرآن وذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية

والامام محمد بن عبد الوهاب في مؤلفاتهم ، وقرأ الشباب بعض هذه المؤلفات

لكنهم لم يحسنوا فهم القاعدة ولا تطبيقها فجنوا على الناس . فلزم بيان

المراد من هذه القاعدة ، وأقوال الامام الصريحه . (٨٠)

* المراد بالكافر الذي من لم يكفره يكون مثله : هو الشخص المتطوع

بكفره الذي توفرت فيه جميع الشروط وانتفت عنه جميع الموانع ، ومن

كان كافراً من البداية ولم يدخل في الإسلام أبداً مثل فرعون ، ابي جهل

، ابي لهب ، ماركس فمن لم يكفر هو ءلا وأمثالهم فهو

مثلهم .

(٨٠) انظر الحكم وقضية تكفير المسلم / ١٢٩ .
ومجموعة التوحيد / الرسالة السادسة / ١٧٧ .

* أما الشخص الخفى حاله لإظهاره الإسلام مثلاً وإبطنه الكفر وكراهية الإسلام . فمثل هذا الشخص من أطلع على حاله وعرف حقيقته فى مجالس خاصة وللقرب منه ، وتحقق من وجود الشروط ، وانتفاء الموانع وجب عليه اعتقاد تكفيره .

ومن لم يطلع ، وشهد له بالإسلام فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر . وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسلمون لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ولا يعلنون كفرهم بل يبطنونه .

* وقد دلت أعمال أئمة السلف على أن المراد بالكافر هو المقطوع بكفره لا المختلف فيه . إذ المختلف فى تكفيره لا يكفر من لم يكفره ودليل ذلك :

* أن الامام أحمد كان يرى كفر تارك الصلاة وكان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره . وقد دارت مناقشة بين الإمام الشافعى وإمام أحمد حول هذه المسألة .

فهل حكم أحمد على الشافعى بالكفر لعدم تكفيره تارك الصلاة ؟
بالطبع لا .

* وقد حقق ابن تيمية ما نسب إلى الإمام أحمد من الحكم على من لا يكفر أهل البدع . فقال :

” وانه في تكفير من لا يكفر روايتان . أصحابا لا يكفر ” . (٨١)

وهذا في حق من لم يكفر الكافر المختلف في كفره ، أما المقطوع

بكفره فلا .

* وخير دليل يبطل الفهم الخاطيء الذي ذهب إليه بعض الشباب

هو هذا الدليل .

وقبل أن أذكره لنتفق على هذه القاعدة وهي :

خير من يفسر كلام المرء ويوضح مقصوده هو المرء نفسه

والآن إليك نبذة من أقوال الإمام محمد بن عبد الوهاب توضح منهجه

في الدعوة ، وينفى بها عن نفسه ما نسب إليه زوراً وبهتاناً من

تكفير من لا يستحق ذلك .

” قال رحمه الله في رسالته للشرية :

وأما الكذب والبهتان مثل قولهم : إنا نكفر بالعموم . ونوجب

الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه . وإنا نكفر من لم يكفر ومن

لم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه وكل هذا من الكذب والبهتان الذي

يصدون به الناس عن دين الله ورسوله .

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم

الذي على أحمد البدوي وأمثالهما . لأجل جهلهم وعدم من ينبيهم .

فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ،
ويقاتل ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم " . (٨٢)

ويبين الشيخ رحمه الله براءته مما نسب إليه من التكفير
بالباطل ، فينكر ذلك بأسلوب شديد ويبين صفات من يحكم عليهم
بالكفر ، ويؤكد أن أكثر الأمة ليس فيها هذه الصفات ويحمد الله
على ذلك .

" قال الشيخ - محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى في رسالته إلى
السويدي البغدادي : وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني
وأزعم أن أنكبتهم غير صحيحة .

فيا عجبا ، كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ !!

هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟ !!

إلى أن قال :

وأما التكفير : فأنا أكفر من عرف دين الرسل ثم بعدما عرفه

عرفه سبه ، ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله .

وهذا هو الذي أكفره .

وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك " . (٨٣)

(٨٢) مصباح الظلام / عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ /

٤٣ دار الهداية . الرياض .

(٨٣) مصباح الظلام / ٤٣ .

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير .
وهي قواعد اتفق عليها العلماء ، واعتبروها في أحكامهم ، لذلك
عممتهم من الزلل ، ووقتهم من العقوبات في هاوية التكفير ، وثبتتهم
على الصراط المستقيم ، والطريق السوي ، والسبيل القويم الذي
لا عوج فيه ولا انحراف .

وقد أحببت أن أضعها بين أيدي أبناء المحوة الإسلامية الحديثة
ليثبت من اعتدل على اعتداله واستقامته .

وليرجع من حاد إلى جادة الطريق . وقد أوجزت في بعضها لجلاءه
ووضوحه . وفملت في بعضها الآخر لخفاشه على كثير ، ولعظم أهميته ،
فوجب التعميل .

وأحب أن أختم هذا الباب بكلمة جامعة لشيخ الإسلام ابن تيمية .
فيقول : ((أن كل من أقر بالله فعنده من الإيمان بحسب ذلك ، ثم من لم
تقم عليه الحجة بما جاعت به الأخبار لم يكفر بجحده ، وهذا يبين
أن عامة أهل الصلاة مؤمنون بالله ورسوله - وإن اختلفت اعتقاداتهم
في معبودهم وصفاته - إلا من كان منافقاً - يظهر الإيمان بلسانه ويبطن
الكفر بالرسول - فهذا ليس بمؤمن ، وكل من أظهر الإسلام ولم يكن
منافقاً فهو مؤمن له من الإيمان بحسب ما أوتيته من ذلك ، وهو ممن
يخرج من النار ولو كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ويدخل في هذا
جميع المتنازعين في الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم .

* ولو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله كما يعرفه نبيه ﷺ لم تدخل أمته الجنة ، فإنهم - أو أكثرهم - لا يستطيعون هـذِهِ المعرفة ، بل يدخلونها وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم


* وإذا كان الرجل قد حصل له إيمان يعرف الله به ، وأتى آخر بأكثر من من ذلك عجز عنه لم يحمل ما لا يطيق ، وإن كان يحصل له بذلك فتنة لم يحدث بحديث يكون له فيه فتنة .

فهذا أصل عظيم في تعليم الناس ومخاطبتهم بالخطاب العام بالنصوص التي اشتركوا في سماعها : كالقرآن والحديث المشهور وهم مختلفون في معنى ذلك .

والله أعلم
وملى الله على محمد وآله ومجبه .: (٨٤)

الباب الثالث

أسباب الفلج في عصر الحديث
وأشاره



الفصل الأول

الأسباب السياسية



تمهيد :
=====

بعد الوقوف على مظاهر الغلو حديثاً يأتي دور الحديث

عن أسباب هذه الظاهرة ودوافعها .

ومعرفة الأسباب أمر ضروري هام ليتمكن تحديد العلاج ووصف الدواء .

- والمتأمل الفاحص لهذه الظاهرة ، المحلل لها بدقة يرى أن أسباب

هذه الظاهرة متعددة متنوعة .

وهي في جملتها تنقسم إلى قسمين :

- ١ - قسم تقع مسؤوليته على الغلاة .
- ٢ - وقسم تقع مسؤوليته على غيرهم .

أما القسم الثاني فسوف أوجز فيه الكلام لمناسبة المقام

إذ المقام مقام مناقشة أصحاب فكر الغلو بالدرجة الأولى .

فالأسباب التي ترجع مسؤوليتها إلى غير الغلاة هي :

- ١ - الأسباب السياسية .
- ٢ - الأسباب الاجتماعية .

أما ما ترجع مسؤوليته إلى الغلاة فهي :

- ١ - الأسباب الفكرية .
- ٢ - الأسباب النفسية .

وفي هذا الباب سأتحدث عن هذه الأسباب وأناقشها

الفصل الأول : الأسباب السياسية :

لقد أسهم الانحراف السياسي في بروز ظاهرة الغلو ، ولقد صرح بهذه الحقيقة الذين صدر منهم الغلو والتطرف وكذلك العلماء والمطلون الصادقون .^(١)

* ولقد تجلّى هذا الانحراف في إقصاء شريعة الله تبارك وتعالى عن الحكم في كافة شؤون حياة المجتمعات وحصرها في جوانب محدودة ، واستبدال القوانين الوضعية الجاهلية بالشرعية الرأبانية .

ولقد كان لهذا الأمر الخطير وقع عظيم ، وألم كبير في نفوس المخلصين من أبناء أمة الإسلام .

وقد تنوعت مواقفهم تجاه هذا الأمر الخطير ما بين :

- * معتدل يحكم نصوص الشرع ويلتزم بها .
- * وغال يندفع وراء عاطفته ولا يزن موقفه بدقة الموازين الشرعية المضبوطة المتجردة .
- * ومقصر لا يبالي .

* كما تجلّى الانحراف السياسي في حملات الصحن والتعذيب التي

لحقت ببعض العالمين للإسلام ودعاته في بعض بلاد العالم

الإسلامي في وقت واحد أو فترات متقاربة ولذلك دلالتة الواضحة^(٢)

(١) انظر "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية" / ١٠٩ : ١١٠ .

(٢) انظر الحكم وقضية تكفير المسلم / ٢٥٠ .

والمؤامرة على الإسلام / ٤١ .

* وتحت ضغوط السجن والتعذيب البرع تفجرت ظاهرة التكفير

من بعض الشباب المعتقلين .

فأخذوا يتماثلون من حكم أولئك الحكام .

فكانت الإجابة الحاضرة عندهم حسب علمهم دون الرجوع إلى ميزان

الشرع : الكفر .

ثم تساءلوا عن حكم أهوانهم ، والعاملين في هيئاتهم وأفسزاد

الشعب ...

وكانت الإجابة فد كل مرة : الكفر .

وازداد الاتساع حتى شمل كل من لم يوافقهم على رأيهم .

* ولا شك أن في هذه النظرة غلواً وتجاوزاً لا يقره الإسلام ، وكما

أننا لانقر الظلم والظنيان ، كذلك لانقر الغلومهما كانت أسبابه

لأن الشرع قد نهى عن ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (كان أهل العلم والسنة لا يكفرون

من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي

فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس

لك أن تكذب عليه وتزنى بأهله لأن الكذب والزنا حرام لحق الله ، وكذلك

(٣)

التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله .

(٣) الرد على البكري / ٢٥٩ . المطبعة السلفية بحصر سنة ١٣٤٦ هـ .

« إن هو إلا الشباب قد صدرت أحكامهم في ظروف قد نهى

الشرع عن إصدار الأحكام فيها لمن كانت عنده أهلية الحكم .

فقد قال عليه السلام : « لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ » (٤) .

فكيف بمن لا يوعظه علمه للقاء وإلغائه ؟؟

فإن المحنة توءثر في النفس غالباً وتدفع لاتباع الهوى .

وما هكذا منهج السلف أيها الشباب . فلقد تعرض بعض السلف

لمحن قاسية فثبتوا ، وضبطوا نفوسهم ، ولم ينقموا على كل من تسبب

في محنتهم ، وشارك في إيذائهم . وضبطوا فكرهم فلم يعبه الشط

لأنهم كانوا علماء ، أهل فتيا ، يتقون الله في العدو والمديق ، ،

والبعيد والقريب .. حتى لو لم يتق هو إلا الله فيهم .

ونضرب مثلاً على ذلك بإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد

ابن حنبل - رحمه الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مصوراً المحنة

وموقف الإمام منها :

(فإن الإمام أحمد .. قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق

القرآن ، ونفى الصفات وامتحنوه وهاثر علماء وقته ، وفتندوا

المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس

والقتل والعزل عن الولايات ، وقطع الأرزاق ، ورد الشهادة ، وترك ،

تخليصهم من أيدي العدو ، بحيث كان كثير من أولى الأمر إذ ذاك من

من الجهمية من الولاة والقناة وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جهمياً
موافقاً على نفي المفات مثل : القول بخلق القرآن .

ويحكمون فيهم بحكمهم في الكافر ، فلا يولونه ولاية ، ولا يفتكونه
من عدو ، ولا يعطونه شيئاً من بيت المال ، ولا يقبلون له شهادة ، ولا
فتياً ، ولا رواية ، ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة ،
والافتكاك من الاسر وغير ذلك .

فمن أقر بخلق القرآن ، حكموا له بالايان ، ومن لم يقر لم يحكموا
له بحكم أهل الايمان ، ومن كان داعياً الى غير التجهم قتلوه أو
ضربوه وجسوه .

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم ، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم
من قولها وإثابة قائلها ، وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها .
والعقوبة بالقتل لتاركها ^(٥) ، أعظم من العقوبة بالضرب .

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وجسوه ،
واستغفر لهم ، وحلهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي
هو كفر . ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجر الاستغفار لهم ،
فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع .

وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأمة صريحة في أنهم
لم يكفروا المعنيين من الجهمية الذين كانوا يقولون :

(٥) في الاصل (لقائها) وهو خطأ مطبعي ، لان الجهمية كانت تشيب
قائل مقالتها ، وتعاقب تاركها ، كما دلت عليه الجملة قبلها .

القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في الآخرة .

وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوماً معينين .

فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ، ففيه نظر . أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال :

من كفره بعينه ، فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير

وانتفت موانعه .

(٦) ومن لم يكفره بعينه ، فلا نتفاء ذلك في حقه .

هكذا كان السلف - رضوان الله عليهم - يقولون الحق ويلتزمون

بالعدل في أشد المواقف على النفس وهذه استقامتهم على طريق

الوسط والصراط السوي لا يخرجهم من ذلك الأهواء ، ولا ضغوط المحن

« وأضرب مثالا لآخر يطى لنا تورع السلف رضوان الله عليهم

عن الحكم بالتكفير لك المعينين .

إن ظم الحجاج وطشه شيء معلوم ، ومع ذلك فإن أمير

المؤمنين عمر بن عبد العزيز تورع عن تكفيره لا بيان قبح فعله .

فقال رضي الله عنه :

" لو أن الامم تخابت يوم القيامة ، فأخرجت كل أمة خبيثها
ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم " (٧)

(٦) الفتاوى / ١٢ / ٤٨٨ : ٤٨٩ .

(٧) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز / ١٠٨ .

« كما تجلى الانحراف السياسي في التضييق على حرية الدعوة
وإرشاد الناس إلى دينهم عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً
كما أمر بذلك تبارك وتعالى حيث يقول :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكَرُّ عَدُوٍّ مُّبِينٍ (٨)

الفصل الثاني

الأسباب الاجتماعية

الفصل الثانى

الأسباب الاجتماعية :

من الأمور التى أثرت فى بروز الغلو أسباب ترجع الى المجتمع وقطاعاته المختلفة .

فلقد كان أعداء الإسلام للمجتمع الإسلامى ، وعطوا على بث الانحرافات فيه ، وقد تأثر كثير من أبناء المجتمع الإسلامى بمكائيد أعداء الإسلام . فى فكره وسلوكه ، وقيمه وأخلاقه ، وعاداته وتقاليدته حتى ابتعد كثير من قطاعات المجتمع عن الالتزام الصادق بالمنهاج الربانى .

ولقد كان لهذا الابتعاد آثاره على نفوس بعض الشباب مما أدى الى ظهور الغلو والتطرف .

* فبعض الشباب يرجع سبب غلوهم الى أسرته وطبيعة العلاقة بينهما فبعض الأسر قد تأثرت بمكائيد أعداء الإسلام حتى انحرفت عن هدى ربها فى كثير من تعاليمه فأنكرت على أبنائها المتزمين بتعاليم الدين ، الذين يناون عن مجاراتها فى تقاليد الجاهلية .

وأخذت تنظر إليهم نظرة سيئة ، تارة سخرية واستهزاء ، وأخرى تخلفاً ورجعية ويتبع ذلك قسوة فى المعاملة ، وحرمان من مميزات أقرانهم . ولقد ألجأ ذلك بعض الشباب الى استخدام العنف والشدة ، والهروب

والعزلة ، والسخط والنقمة .

* ومن القطاعات الهامة التي لها تأثير بليغ في حياة المجتمع المدارس ،
والجامعات .

والمدقق في ظاهرة الغلو يرى أن أوضاع كثير من المدارس والجامعات

لها دور كبير في بروز ظاهرة الغلو .

- فمعظم المدارس والجامعات الموجودة في المجتمع الإسلامي ينتشر
فيها الاختلاط ويشجع في مختلف المراحل الدراسية .

- وكثير منها يدرس نظريات الكفر والإلحاد ، ومفاهيم الجاهلية
في الأخلاق والاقتصاد والسياسة والاجتماع

- وكثير منها يحارب الحجاب الإسلامي الطاهر بدل أن يدعو إليه
ويشجعه أو على الأقل يترك فرصة لمن تريد أن تلتزم بالحجاب
الإسلامي العفيف .

- وكثير منها لا يعير الثقافة الإسلامية نصيبها اللائق بها فسي
مجتمعات دينها الرسمي الإسلام، بل ضيق بعضهم على من
يريد نشر الثقافة الإسلامية بين الطلاب لتوعيتهم بدينهم ،
وتذكيرهم بدورهم ورسالتهم التي كلفهم بها الإسلام .

- ولقد كان لهذه الأوضاع المعكوسة في قطاع من أهم قطاعات
المجتمع الأثر البالغ في ظهور الغلو كرد فعل لذلك .

* ومن القطاعات التي أسهمت بنصيب الأسد في انحراف الكثير من أبناء المجتمع الإسلامي : الإعلام بكافة وسائله : السمعية والمقروءة والمرئية . . فحيثما توجهت وجدت الإعلام في أغلب برامجهم يدعو تصریحاً أو تلميحاً ، بلسان حاله أو مقاله إلى العلمانية اللادينية ، فمن دعوة إلى السفور والتبرج ، إلى الغناء الخليع ، والرقص المثير ، وتزيين للسوء ، ودعوة إلى الجريمة . . . والانحراف في هذا المجال أظهر من أن يشار إليه .

ولهذا أثره المولم على النفوس التي تنشد العيش في ظل الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً . . .

* ونتيجة لانحراف كثير من المؤسسات الموجهة للمجتمع ، فقد انتشرت بكثرة مظاهر السوء التي يمتثلها الإسلام ، وكادت هذه المظاهر تغطي الحياة العامة في المجتمعات الإسلامية ، فقد انتشر الاختلاط والعري ، ومعارض الأزياء الفاتنة للشباب والفتيات ، وانتشرت الرشوة والاختلاسات ، والربا في المعاملات ، وشرب الخمر والمخدرات . . . وانتشرت محافل الماسونية وأندية الروتاري . . .

انتشر ذلك تحت سمع وبصر المسئولين عن الشعوب المسلمة ، ولم يستخدوا سلطانهم في إيقافه كما يطالبهم بذلك رب العالمين تبارك وتعالى وكما يطيعه عليهم الإسلام الذي يرفعونه شعاراً .

* وتجاه هذه الانحرافات التي وقعت ضاقت نفوس كثير من الشباب عن تحمل ذلك ولجأوا إلى أساليب الغلو والتطرف من تكفير إلى العنف والشدة . . . ولم يصبروا على مشقات الإصلاح والدعوة والإرشاد .
فالمسلم مطالب بصلاح الوسيلة واستقامتها كالفائدة تماماً .

قال تعالى :

(١) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ

* لَنْبُلُونَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا

(٢) وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا

(٣) وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(٤) وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

فواجب السلم توعية الناس ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم
الناس حقائق الاسلام ، كل ذلك في ضوء القواعد الشرعية المنضبطة
التي ينبغي أن يفقهها ويلتزم بها من أراد الدعوة والارشاد ليكون علمه
على بصيرة فيجدي ويثمر .

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

بِسَبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٥)

(١) الأحقاف / ٣٥ .

(٢) آل عمران / ١٨٦ .

(٣) آل عمران / ٢٠٠ .


(٤) لقمان / ١٧ .

(٥) يوسف / ١٠٨ .



الفصل الثالث

الأسباب الفكرية



الفصل الثالث : الاسباب الفكرية :

من الاسباب الرئيسية الكبرى وراء ظاهرة الغلو حذيثا
الاسباب الفكرية ، وترجع مسئولية ذلك على أصحاب الغلو فنى
الجملة .

فقد تعرض بعض الشباب الى امور خطيرة أثرت فى تشكيل
فكرة تشكيلا غير سديد ، واتخذوا منهجا فكريا غير قويم
وكان من نتائجه آراء غالية ، ومعاطة قاسية .

ان هذه الاسباب الفكرية غاية فى الخطورة بالنسبة لهذه الظاهرة
وهى أخطر من الاسباب السابقة من حيث تعلقها بالظاهرة وأصحابها

أذ لو أن الانحراف السياسى ، والانحراف الاجتماعى قد لاقى فكرا
منضبطا ، لتصدى له أصحاب هذا الفكر ودخروه بلا غلو ولا تطرف .

ولقد حفظ لنا التاريخ القديم والحديث مواقف أصيلة للعلماء
العالمين الفقهاء بالشرع وضوابطه .

وفى موقف الامام أحمد من المحنة التى تعرض لها دليل على أن الفكر
الستقيم لا توشى فيه المحن السياسية . . (١) والانحرافات الاجتماعية .

(١) انظر بالتفصيل ص ٣٧١ : ٣٧٣ من فصل الأسباب السياسية -

وفي عصرنا الحديث وقعت انحرافات سياسية وأخرى اجتماعية وقد واجهها العلماء والدعاة ولم يصدر منهم غلو ولا تطرف لسلامة فكرهم وانضباطه بموازين الشرع.

ولست أهون من قيمة الاسباب السياسية والاجتماعية انما أوضح أهمية الاسباب الفكرية بالنسبة للظاهرة .

* ويمكن أجمال أهم الاسباب الفكرية فيما يلي :

١ - الإعراض عن العلماء .

٢ - التفقه من الكتب بدون معلم .

٣ - التباس المفاهيم .

وفي هذا الفصل سأجلى هذه الاسباب وأناقشها في ضوء

الاسلام بحشيئة الله تعالى .

السبب الأول : الإعراض عن العلماء :

من الأسباب الفكرية الكبرى التي أسهمت في بروز ظاهرة الغلو حديثاً ،

الإعراض عن علماء الهدى .

ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطيء بسبب وقوع بعض

الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى ،

« فبدأوا بسحب الثقة في أهل الهوى ، وفي أقوالهم ولو كانت حقاً .

ثم غلب على هؤلاء الغلاة سوء الظن ، فوسعوا دائرة الإعراض ،

وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين ، وسحبوا الثقة فيهم أيضاً

، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأى رأوه ، أو مالوا إليه ، سحبوا

الثقة فيه ، وأعرضوا عنه .

وهنا يكمن الخطر ، ويوجد الشطط .

نتائج الاعراض :

لقد ترتب على إعراض الشباب عن العلماء أمور خطيرة شهتدوا بها

على أنفسهم ، وأكدها الواقع ، أهمها :

١ - الاجتهاد من غير استعداد .

٢ - التفقه من الكتب دون معلم .

" قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقائه بهم :

الذى أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحطكم على أحد الأمرين ، أو الأمرين

معاً ، وهما :

* الاجتهاد من غير استعداد كاف ، ومعرفة توهمل لذلك .

* أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد .

وفى الاثنين من الخاطرا فيهما .

قال أحد الشباب لقد وقعنا فى الاثنين معا " (٢)

(٢) التكفير جذوره وأسبابه / ١٤ ، ١٥ .

مناقشة هذا الموقف :

« ان الإسلام لا يقر هذا المنهج الخاطي الذي اتخذه الغلاة ،
ففى سحب الثقة فى العلماء المخلصين مخالفة صارخة لتعاليم الإسلام
وتوجيهاته .

وليس من العقل ولا العدل أن يؤخذ المحسن بمخالفة المسي ، والا
كان ذلك هوى . . .

« ولقد كان علماء الإسلام الأفاضل يستفيدون من بعض أناس ما عندهم
من العلم ، رغم تلبسهم ببعض البدع . .

هذا وهم علماء ، فما بالك بمن دونهم ؟

وهذا موقفهم من رمى ببدعة ، فما بالك بالأتقيا المخلصين ؟
يقول شيخ الإسلام :
" وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمى ببدعة من الساكتين ، ولم
يخرجوا عن الدعاة الى البدع " (٣)

وأقدم هذا المثال العلى للإمام احمد بن حنبل رحمه الله والذى يتجلى
فيه عظم فهمه ، ودقة فقهه لصالح الدين ، ومقاصد الشريعة ، وكيفية
تحقيقها بأيسر طريق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" لما كثر القدر فى أهل البصرة ، فلوترك رواية الحديث عنهم ، لا ندرس العلم
والسنن والآثار المحفوظة فيهم فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد

وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرته ترك ذلك الواجب:
كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من
العكس .

ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل^(٤) .

ولكن أقواماً أخطأوا في هذا الباب .

" فاستعملوا من الهجر والانكار ما لم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحب
وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرّمات ، وآخرون أعرضوا عن
ذلك بالكليّة

ودين الله وسط بين الغالي فيه والجاني عنه^(٥) .

ذلك هو موقف علماء الاسلام الافاضل الذي يجلى لنا وسطية الاسلام
التي ينبغي سلوكها لتحقيق مصالح الدين ، ولأمن الانحراف والشطط
والضياح . . .

* وأخيراً نذكر بأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بأخذها .
ونحذر من ميل الهوى التي تصد عن اتباع الحق ، وتخدع صاحبها
وتصور له أنه مطيع لله ، وفي الحقيقة يكون متبعاً لهواه .

(٤) ، (٥) الفتاوى : ٢٨ / ٢١٢ : ٢١٣ .

السبب الثاني : التفقه من الكتب بدون معلم :

من الأسباب التي ساهمت في تشكيل فكر الغلو، طلب العلم من غير
بابه ، والاقبال بنهم على كتب العلم ، دون معلم يعين ، ولا موجه
يرشد ، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ
أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة ، فزلت بهم القدم .

وقد حدث هذا من نوعين من الشباب :

* شباب عاش في السجون ، ولقى المحن والتعذيب .

* وشباب لم يدخلوا سجونا ، ولم يتعرضوا لمحن .

وكانت النتيجة حصادا مرا من البلبلة الفكرية ، وبلاء الغلو ، شنت

شمل المسلمين المشنت ، وزاد تمزيقهم تمزيقا

كيف حدث هذا ؟

وما أسبابه ؟

وما نتائجه ؟

وما موقف الإسلام منه ؟

هذا ماسأ تناوله في هذا البحث بعون الله وتوفيقه .

الأسباب :

هنالك جملة أسباب دفعت الشباب الى الاتجاه الى هذا

الطريق المعوج يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - الإعراض عن العلماء .

٢ - الغلو في ذم التقليد :

لقد ذم القرآن الكريم التقليد وأهله ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن ذلك ، وحذر السلف من هذا المسلك . .

قال الله تعالى : - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ تَتَّبِعُ مَا الْفِينَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ

كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (٦)

والآيات في الباب كثيرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث : زلة عالم ،

وجدل منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم . " (٧)

والأحاديث في هذا الباب وفيرة .

ومن أقوال الأئمة :

" قول الشافعي : " مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ،

يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري .

(٦) البقرة / ١٧٠ .

(٧) انظر اعلام الموقعين / ٢ / ١٩٢ : ١٩٦ .

وقال أحمد : " لاتقلدني ، ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي
وخذ من حيث أخذوا .

وقال أبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا .
وقد صرح مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول ابراهيم النخعي انـه
يستتاب ، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون ابراهيم أو مثله ؟ [٨]

قرأ الشباب هذا ، وقرأوا " أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه . . . ،
وأنه لا فرق بين المقلد والبهيمة . " (٩)

قرأوا ذلك ، فأنفوا من تقليد غيرهم من العلماء ، وبالغوا في النفور من
التقليد وذه ، فظنوا أن الاهتداء بآراء السابقين من الصحابة والتابعين
والعلماء الصادقين ، والاستفادة من مناهجهم ، والاسترشاد بفتاويهم المدعومة
بالأدلة ، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم فأباحوا لأنفسهم اصدار الفتاوى
ولم يتأهلوا لها بعد ، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام ، ويستنبطون
الآراء العجاب ، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه ، فشطوا
وتجاوزوا الحدود .

إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها ، ولم يعرفوا
صحيح الأقوال من سقيمها ، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها ، فعمسوا
حيث لاتعميم ، وأعرضوا حيث يجب الإقبال ، وأقدموا حيث يجب الإحجام .

(٨) اعلام الموقعين : ٢ / ٢٠٠ : ٢٠١ .

(٩) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١١٤ .

فالنصوص التي تدم التقليد ليست عامة ، انما لها حالات تنزل عليها .

فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهايتها

الباب :

” وهذا كله لغير العامة ، فان العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند

النازلة تنزل بها ، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم الى علم

ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها الى أعلاها الا بنيل اسفلها ، وهذا هو

الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله أعلم .

ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المرادون بقول

الله عز وجل ” فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ” (١٠)

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يشق بمميزه

بالقبلة اذا أشككت عليه ، فكذلك من لا علم له ولا بصير بمعنى ما يدبر به

لا بد له من تقليد عالمه .

وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك والله أعلم

لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحرير والقول في العلم ” (١١)

وصفة القول أن الشباب قرأوا ما جاء في ذم التقليد ، فوقع في نفوسهم

النفور منه ، وبالغسوا في ذلك ، وذهبوا للكتب يتفقهون منها بلا معلم

ولا موجه ، ولا كفاة تمكنهم من حسن الاستنباط ، لاسيما عند المشكلات .

(١٠) الانبياء ٥٧ / ٧ .

(١١) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١١٤ : ١١٥ .

وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها ، وأنفوا
من سؤال العلماء واستفسارهم فكانت النتيجة حصادا مريرا من الفوضى
الفكرية .

٣ - التطبيق الخاطيء لكلمات صدق .

ان هذه آفة خطيرة ، من اتقها نجا . فشكلة كثير من الشباب
وغيرهم اليوم وأمس ، ليست فيما يستدلون به ، ولكن في تطبيق ما يستدلون
به على واقعه ومراده .

* فقيما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورموه بالكفر . .

وقالوا " لا حكم الا الله " .

فقال : كلمة حق أريد بها باطل .

* وشجع المرجئة على الانفلات من تعاليم الدين ، وهو نوا من العمى

به ، ولم يبالوا بالذنوب . وقالوا : " لا يضر مع الايمان ذنوب " .

ان " من قال لا اله الا الله دخل الجنة " . (١٢)

وهكذا كثير من الفرق المنحرفة

* وشباب العصر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم ، حيث أساءوا تطبيق

كلمات صدق وعدل فكانت النتيجة اجترأ على الأحكام ، والخروج بآراء

حائدة عن الاعتدال .

ومن هذه الكلمات - على سبيل المثال - :

أ - التقليد مذموم :

هذه كلمة حق دل عليها القرآن والسنة، ونهى عن التقليد الأعمى
والعلماء الأفاضل .

وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها
المراد :

(١) " ان التقليد الباطل المذموم هو : قبول قول الغير بلا حجة . " (١٣)

(٢) " ان التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد .

جائز في حق العاجز عن الاجتهاد " . (١٤)

(٣) قراءة كتب العلماء السابقين ، والاستفادة من آرائهم بلا تعصب ليس

من التقليد المذموم بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله السابقون

في المسألة قبل أن يحكم فيها ليسترشد بآرائهم وفهمهم .

قال عطاء : " لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف

الناس . فانه ان لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه . " (١٥)

وقال قتادة : " من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفسه " (١٦)

(١٣) الفتاوى / ٢٠ / ١٥٠

(١٤) المصدر السابق / ٢٠ / ٢٠٣ : ٢٠٤

(١٥) ، (١٦) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ٤٦ : ٤٧

وقال يحيى بن سلام : " لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ،

ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول هذا أحب الي " (١٧)

— لكن الشباب أخطوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد ، فحملوا على

العوام والعلماء على السواء ولم يفرقوا بين القادر والعاجز

ولا بين الأصول والفروع

ثم ماذا ؟

الاعراض عن أقوال العلماء ، بل بلغ الحد ببعضهم الى تسفيه الآراء ،

وطرح لناهجهم ، لأن هذا تقليد مذموم ! ثم اجتراء على الفتوى ، واستخراج

الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون الامام بالعلوم التي تيسر لهم ذلك .

ب — هم رجال ونحن رجال .

كلمة رائعة ، أعجبت الشباب ، لأن فيها اعتدادا بالنفس ، وأنفة

من الانقياد للغير ، وهذا ماتيل اليه نفوس الشباب .

هذه الكلمة قالها امام فقيه هو أبو حنيفة — رحمه الله — لكن الشباب

نسوا قائلها وخصائصه ، ومناسبتها . وانطلقوا يخطفون الأحكام خطفا بمجرد

قراءة الآية أو الحديث ، وقل وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء

للآيات والأحاديث ، ولا مانع من اهدارها عندهم .

فانذا قيل لهؤلاء الشباب : ماذا تفعلون ؟

اصبروا وتريثوا وتأنوا في أحكامكم ، وانظروا أولا الى فهم علمائكم .

قالوا : هم رجال ونحن رجال .

نعم ، أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية ، والطباع البشرية . . !
أتدرون من صاحب هذه العبارة ؟ وما مناسبتها ؟ انه امام عالم فقيه ، من
الله عليه بفهم شاقب ، وعلم غزير ، وتقوى القلب . .

ولقد قالها في معرض بيان أصوله حيث قال :

" اذا كان القرآن أو السنة فأقدهما

وإذا كان قول الصحابي فلا أخرج عنه

وإذا كان قول التابعي ، فهم رجال ونحن رجال " . (١٨)

ينبغي أن يعلم موضع القول و مناسبته حتى لا نشرد في التطبيق .

نعم ، يا شباب هم رجال علماء مجتهدون . . . ،

فهل أنتم كذلك ؟

ان كثيرا من هذا الشباب لم يحفظ القرآن الكريم ، ولا يزيد حفظه
من الحديث الشريف عما يملأ به صفحات وكثير من هؤلاء لم يقرأوا تفسير
القرآن ، ولا شروح السنة . وكثير من قرأ لا يحسن فهم مامعه من القرآن
والسنة ولا يعرف كيف ينزل هذه النصوص منازلها .

وكثير منهم لا قدم له راسخة ولا مزعجة في اللغة وعلومها وآدابها ،
ولا الفقه وأصوله . . . هكذا حالهم .

وبعد هذا نقول : يا شباب رحم الله امرء عرف قدر نفسه . غير أن كثيرا

منهم لم يعرف قدر نفسه ، فأقحمها فيما لا قدرة عليه ، فشرد .

ج - منهج الصحابة : التلقي المباشر من القرآن والسنة .

كلمة صادقة وصواب

فقام الشباب يجددون منهج الصحابة والكرام ، بعد أن اندرس في الأنام ، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستخراج الأحكام ، وأعرضوا عن الاستنارة بفهم علماء الاسلام . وقالوا : يكفيننا القرآن والسنة ولا حاجة لنا بأفهام الأموات ، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشئ .

• وهنا أيضا أخطأت رميتهم ، وطاش سهمهم .

• لقد نسبوا هذه المقالة الى سيد قطب في العصر الحديث حيث يقول :

" كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن . القرآن وحده ، فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية الا أثرًا من آثار ذلك النبع .

فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه

وسلم قالت : " كان خلقه القرآن " (١٩)

ثم يقول :

" فلا بد ان - في منهج الحركة الاسلامية - أن تتجرد في فترة الحضارة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها . لا بد أن نرجع ابتداءً الى المنبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال ، النبع المضمون أنه لم يختلط ولم تشبه شائبة . نرجع اليه نستمد منه تصورنا لحقيقة

(١٩) معالم في الطريق / سيد قطب / ١٢٠ .
الحديث أخرجه (م / ١٣٣ - ٧٤٦)

الوجود كله ، ولحقيقة الوجود الانساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين ، وبين الوجود الكامل الحق ، وجود الله سبحانه . . . ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة ، وقيمنا وأخلاقنا ، ومناهجنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة . * (٢٠)

قالوا : هذا منهج الصحابة الكرام .

ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

وفي الحقيقة لقد قولوا الرجل مالم يقل ، وحملوا كلامه مالا يحتل .

وأنا لن أناقش ألقاظا وعبارات .

ولكن سأذكر مبادئ وأصولا لفكر الرجل .

فيكفي أن تعرف أن الأستاذ سيد قطب أراد بوحدة المنبع تصفيته من

الخرافات والاسرائيليات والفلسفات وعلم الكلام المذموم .

يقول الأستاذ سيد قطب بعد الفقرة الأولى بسطور :

" ذلك الجيل استقى اذن من ذلك النبع وحده . فكان له في التاريخ

ذلك الشأن الفريد . . . ثم ما الذي حدث ، اختلطت الينابيع ! صبت في

النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير

الفرس وتصوراتهم ، واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى ، وغير ذلك من

رواسب الحضارات والثقافات . واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، كما

اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال

بعد ذلك الجيل ، فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا * (٢١)

انه أراد تصفية القرآن والسنة والتفسير والفقه والأصول . . . من

الدخيل عليها ، وليس من الاسلام في شيء .

أما انه أراد اهدار تراث علماء الاسلام الأفاضل ، ونبذ مناهجهم

الصالفة ، وعدم الاستنارة بأرائهم واجتهاداتهم وفتاويهم . . . فلا .

* ان هوضن في تفسيره وسائر كتبه الاستشهاد بأراء واجتهادات

العلماء والاستنارة بفتاويهم وتفسيراتهم في مئات المواضع .

" وكان يصح دائما بأن من أراد معرفة الحكم الشرعي في المسألة فليرجع

الى كتب الفقه " . (٢٢)

بعد هذا يمكن أن نقول :

ان التلقي المباشر ، والتعامل المباشر مع القرآن والسنة له حدود وقيدود .

فلكل مسلم أن يتعامل مع القرآن والسنة مباشرة للتعرف على أصول العقائد

والأخلاق . . . ، والعظات والعبر الجلية فهذه أمور قد جلاها الله سبحانه

وتعالى وبينها أتم بيان بحيث لا يجد المرء عسرا في فهمها مادام يعرف

لغة القرآن .

أما التعرف على دقائق الأمور في العقائد والأحكام . . فدائرته تضيق عن

(٢١) معالم في الطريق / ١٤٠ .

(٢٢) الحكم وقضية تكفير المسلم / ١٠٧ .

سابقه لتسع أصحاب الكفاة والقدره وحدهم أولوك الذين تزودوا بعلوم أوسع من اللغة والأصول والحديث . . . تمكنهم من حسن الفهم ، ودقة الاستنباط ، وتمنعهم من الشطط عند التشابهات ، والأمور الخفية .

وعلى أساس هذه التفرقة الواعية سار الصحابة الكرام ، فقد كانت تنزل بهم المسائل ، وتعرض لهم الأمور ، فان كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة . وان كانت من القسم الثاني لم يتجرأوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم .

وهذا المنهج هو الذى ينبغي اتباعه ، فهو منهج العقل والحكمة ، الذى يحمي من الجمود ، ويبقي من الفوضى والبلبلية .

آثار التفقه بدون معلم :

ان تفقه الشباب بدون معلم قد نتج عنه

آثار سيئة ، ومخاطر جسيمة ، من أهمها :

١ - نسيب تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة .

٢ - التطاول على العلم والعلماء .

٣ - الاتجاه الظاهري في فهم النصوص .

٤ - التجرد على الفتيا .

٥ - أفكار غالية .

موقف الإسلام من هذا المنهج :

لقد علمنا الإسلام أن للعلم أبواباً كما أن لسه آداباً .
والسعيد من طرقه من أبوابه ، وتحلى بآدابه .

* فما علمنا على مدار التاريخ أن أحداً أتى مباشرة إلى القرآن والسنة ، وأخذ
يعمل فكره ، ويستنبط الأحكام في أولى خطواته ، ويؤخر الشظر في أقوال
من سبق أو يعرض عنها .

ما علمنا هذا عن أحد اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو والجهال
المجردين من الفقه ، والخالين من الفقهاء . الخوارج ومن هذا حذوهم ..

أما عن عالم فاضل فلا .

سواء كان ذلك في عصر الصحابة أو التابعين وتابعيهم . . . فالصحابه
تلقوا من الرسول ، وكانوا دائماً يسألونه فيما أشكل عليهم . . . (٢٢)

وتتلمذ صغار الصحابة على كبارهم وعلماهم .

وتتلمذ التابعون على الصحابة . . . وهكذا ..

« لقد عهد المسلمون منذ العهد النبوي أن هناك طالب علم ومعلما ويبدأ المرء رحلته في طلب العلم بتلمذة على أيدي العلماء يرشدونه ويوجهونه ، ويفقهونه ، ويحلون ما أشكل ، ويوضحون ما غمض ، ويرزقون ما التيس .

حتى اذا بلغ الطالب أشده واستكمل عدته واستوثق منه علماءه علما وفهما ، وخلقا وأدبا ، أجازوا له الفتوى .

على هذا تربي علماء الاسلام منذ العهد النبوي ، فما من عالم فاضل الا ونجد جزءا أساسيا في ترجمته بعنوان " شيوخه " ومن تلقى على أيديهم فنون العلم المختلفة من لغة ونحو . . . وفقه وأصول وتفسير وحديث . . .

ثم نجد في تاريخ علمائنا الأفاضل جزءا بعنوان " رحلاته " ، وسعيه لعلاقة المشايخ لسوء الهم ، والتعلم منهم . . .

« ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستيق بآراء وأفهام أهل العلم ، لان هذا باب الى التحريف والتصحيف ، وتبديل الاحكام والقول على الله بلا علم ، وتحليل الحرام ، وتحريم الحلال .

قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه ، ويكتسب الاخلاق منه :

" وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية
تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من شايع عصره كثرة بحث
وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الاوراق ولم يعرف بصحبة
الشايع الحذاق . قال الشافعي رضى الله عنه : من تفقه ممن
بطون الكتب ضيع الاحكام . وكان بعضهم يقول من أعظم البليسة
الصحيفة .

أى الذين تعلموا من الصحف . (٢٤)

ولله در القائل :

من يأخذ العلم عن شيخ شافهة يكن عن الزيغ والتصحيف فى حرم
ومن يكن آخذ للعلم من صحف فعله عند أهل العلم كالعدم

وقال علماء السلف :

" لا تقرءوا القرآن على المصحفين ، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين (٢٥)

وقال أبو زرعة :

" لا يفتى الناس صحفى ، ولا يقرئهم صحفى . (٢٦)

وقال الله تعالى :

" فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٧)

" وقد أنكر الله على من يبادر الى الامور قبل تحققها فير بهيها

ويفشها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة . (٢٨)

(٢٤) تذكرة السامع والتكلم فى آداب العالم والتعلم / ابن جماعة / ٨٧ .

(٢٥) ، (٢٦) الغقيه والتفقه / للخطيب البغدادي / ٢ / ٩٧ .

(٢٧) الانبياء / ٧ .

(٢٨) تفسير ابن كثير / ١ / ٥٢٩ .

قال الله تبارك وتعالى وَإِذَا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ (٢٩)

* وليس معنى هذا أن نضع الشباب أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة ، وهو مطلوب من المهد الى اللحد ، لكن نقول : انهم مها درسوا ، فيظلون في حاجة الى أهل الاختصاص ، فانه للعلم الشرعى أدوات لم يتوفروا على تحصيلها ، وأصولا لم يترسوا بمعرفتها واستيعابها ، وفروعا ومكلمات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها . (٣٠)

* فلا جراءة وانطلاقة مندفعة غير منضبطة ، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل .

انما نريد جدا وسعيا مع التأنى والتثبت والتروى والتأكد ، والسؤال عما أشكل .

وخير الامور أوساطها .

(٢٩) النساء / ٨٣ .

(٣٠) الصحوة الاسلامية . ٢٠٦ / ٠٠ .

السبب الثالث : التباس المفاهيم :

لقد طلب كثير من الشباب العلم من غير باب ، فوقعوا في عدة محاذير ، من أهمها التباس المفاهيم . فقد كانوا يقرءون ويستنبطون ، ولا يدرون أين العموم وأين الخصوص ، وما المراد من هذه النصوص . فخرجوا بالنصوص عن مقصودها ، وحملوها فوق طاقاتها . وفي الحقيقة بعض هذه المفاهيم الجديدة قد صادفت ميولاً عند بعضهم ، فتشبهوا بها . وأفرخ هذا اللبس أحكاماً غالية .

فقد كان اللبس - من القديم - آفةً تسهم في إنشاء الغلو . وفي هذا البحث سأعرض لأهم الأسباب ، وبعض النماذج ، ثم موقف الإسلام من ذلك .

أسباب الالتباس :

إن أهم أسباب الالتباس الذي وقع فيه الشباب هي :

١ - الجهل :

فكثير منهم لم يتزود بالعلم والفقه فيه ، ولم يتضلع من فنون العلم المختلفة المترابطة بعضها مع بعض ، ولم تسنح له الفرصة الكافية للاطلاع على أقوال العلماء وآرائهم في المسألة من جميع جوانبها وأطرافها . فأين القرآن وتفسيره وعلومه ؟ وأين السنة وشروحها وعلومها ؟ وأين الفقه وأصوله وقواعده ؟ وأين اللغة وقواعدها وآدابها ؟ وأين .. . وأين ... ؟

في الحقيقة الحصيلة قليلة ، والمعلوم نذر يسير ، ونتاج متناثرة ، وأسماؤه علوم خالية من المضامين إلا قليل القليل .

ولعل حداثة السن لم تتح لهم الفرصة الكافية لبلوغ المرام ،

وتحقيق المزيد .

فكان الطالب يقرأ ولا يدري المراد تماماً فيقع في الالتباس .

إن قصور العلم أدى إلى قصور الفهم .

٢ - قراءة الكتب دون الاستعانة بأهل التخصص .

لقد أدرك بعضهم القصور الذي عندهم في العلم ، فسمعوا لتعويض

ما يفتقدون ، واستكمال ما ينقصهم ، فأقبلوا على كتاب الله ، وسنة رسوله

، وكتب بعض أهل العلم الأفاضل .

ﷺ

ولكن دخلوا في هذا الخضم وحدهم دون معين لهم ، ولا معلم يوجههم ، وظنوا أن ذلك يكفيهم ، وأن العلم بهذه الطريقة يواتيهم . ولكن فاتهم أن هناك شعطفات تحتاج من يخرجهم منها ، ومشابهات ينبغي أن ترد إلى المحكمات . . . وظنوا أن أفهامهم لا يتطرق إليها الخطأ ، فلا داعي للاستيثاق منها . .

ولكن بل الواقع على غير هذا ، ووقعوا في محاذير الالتباس ، وخرجوا بأحكام غريبة للناس . ولقد وقع هذا الالتباس في فهم آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وكلام أهل العلم الأفاضل .

والسبب هو قراءة الكتب دون الاستعانة بأهل التخصص .

٣ - اتباع المشابه :

القرآن يكمل بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، والسنة كذلك . فقد يطلق القول في مقام ، ويقيد في مقام آخر ، وقد يعم المقال في موضع لاعتبارات ، ويخصص في آخر . فمن اطلع على الأول دون الثاني وقع في الخطأ خصوصاً إذا صادف هذا الاطلاع خلوا ذهن ، ومييل نفس ، وقلة علم .

وهذا ما وقع لكثير من الشباب ، فالتبس عليهم المراد من كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم الأفاضل ولو سألوا إذ لم يعلموا العلموا . ولو استوثقوا من أفهامهم لأرشدوا . ولكنه الهوى وزيف القلب والإعجاب بالرأى من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

نماذج ومناقشتها:

لقد حفل واقعنا المعاصر بنماذج كثيرة جداً تدل على التباس المفاهيم عند الغلاة ، والخلط المعجيب الذي وقعوا فيه ، ونجم عنه آراء غالية كان لها أثر سيء في حياة الأمة .

وفي هذا البحث سأعرض بعض هذه النماذج وأبين وجه الخطأ فيها ، ذاكراً أقوال علماء الإسلام الأفاضل في ذلك .

١ — التباس مفهوم الجهمية :

أحب أن أعرف — أولاً — بالجهمية ثم أبين كيف التبس هذا المصطلح على الشباب .

الجهمية :

" أتباع جهنم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبديان وتفنيان . وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط . . .

وزعم أيضاً أن علم الله حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شئ " أوحى أو عالم أو مرید .

وقال : لأصفه بوصف . . . " (٣١)

(٣١) انظر الفرق بين الفرق / للبغدادي / ٢١١ .

- . هذه هي الجهمية المحضة ، الذين حكم عليهم السلف بالكفر .
- . وقد أطلق السلف مصطلح " جهمي " على كل من ينكر شيئاً من الصفات بتأويل أو غيره ، استبشاعاً لهذا الرأي ، وانكاراً له ، وبياناً لضعفه ، حتى ولو كان هؤلاء العلماء من الأفاضل الصادقين الذين خدموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويتفقون مع السلف في جمل مسائل العقيدة لاسيما الأصول الكبار .
- . فجاء الشباب وقرءوا :

أ — أن السلف يكفرون الجهمية .

- ب — إطلاق السلف لفظ " جهمي " على آراء بعض العلماء الفضلاء .
- فاستنتج الشباب أن هؤلاء ليسوا بفضلاء ، وإنما هم زائغون ضالون لا بد من تكفيرهم ولا يجوز الترحم عليهم وينبغي ألا يوثق في كل مؤلفاتهم لأنهم جهمية فاسد والاعتقاد — هكذا والله قالوا في كثير من أحاديثهم ومناقشاتهم ومادري هؤلاء الأحداث أنهم وقعوا في ليس ، وخرجوا لنا منه بجنابة كبيرة .

فهبلا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شفاء العيِّ السؤال .

وإليك ما قاله علماء السلف ، ليقف الشباب على آرائهم الهادية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير (الجهمية)

المحضة) الذين ينكرون الصفات ، وحققة قولهم :

أن الله لا يتكلم ولا يرى ، و لا يبين الخلق ، و لا له علم و لا قدرة ، و لا سمع و لا بصر و لا حياة ، بل القرآن مخلوق . و أهل الجنسية لا يرونه ، كما لا يراه أهل النار ، و أمثال هذه المقالات " . (٣٢)
هذه يا شباب هي حقيقة الجهمية و أقوالهم ، التي حكم السلف على أصحابها بالكفر ، الجهمية المحضة .
و اليكم أقوال السلف التي توضح أنهم لا يعنون بكل من يطلقون عليه " جهمي " أنه كافر ، و لا قريب من الكفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" إن الأئمة - كأحمد وغيره - كانوا يقولون :

افترقت الجهمية على ثلاث فرق :

• فرقة يقولون : القرآن مخلوق .

• و فرقة تقف و لا تقول مخلوق و لا غير مخلوق .

• و فرقة تقول : ألقاظنا بالقرآن مخلوقه .

ومن المعلوم أنهم إنما أرادوا بذلك افتراقهم في " مسألة القرآن

خاصة " .

وإلا فكثير من هؤلاء يشبه الصفات والرؤيية والاستواء على

العرش .

وجعلوه من الجهمية في بعض المسائل : أى أنه وافق الجهمية فيها ، ليتبين ضعف قوله ، لا أنه مثل الجهمية ، ولا أن حكمه حكمهم ، فإن هذا لا يقوله من يعرف ما يقول . " (٣٣)

٢ - الخلط بين الحكم على معين والحكم العام .

هناك أفعال حكم الله تعالى ورسوله ﷺ على أصحابها

بالكفر ، أو اللعن ، أو دخول النار أو نحو ذلك .

مثال : لعن الله شارب الخمر . . .

من أنكر شيئاً من الصفات كفره هذا حكم عام .

فجاء الشباب وخلطوا بين الحكم العام والحكم على المعين .

أى : فلان الذى يشرب الخمر طعمون وفلان الذى ينكر صفة

كذا كافر .

وغاب عنهم أمور ما كان ينبغي أن تغيب على من يتصدى لمثل

هذه الأحكام ، ويتجرأ عليها . فوقعوا في خطأ كبير ، أنكره من

قبل سيد المرسلين ، واقتدى به الصحابة والتابعون .

غاب عنهم أن الحكم العام لا يلحق الشخص المعين إلا إذا

تحققت عدة شروط ، وانتفت عدة موانع في هذا الشخص المعين .

وإليك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الأمر .

فقد ذكر أصليين لإيضاح الفرق بين الحكم العام والحكم على المعين

فقال :

« الأصل الأول : أن العلم والايان والهدى فيما جاء به الرسول .

وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق . فنفي الصفات كفر .

والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة ، أو أنه على العرش ، أو أن القرآن

كلامه ، أو أنه كلم موسى ، أو أنه اتخذ إبراهيم خليلاً ، كفر .

وكذلك ما كان في معنى ذلك .

وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث .

والأصل الثاني : أن التكفير العام - كالوعيد العام - يجب القول

بإطلاقه وعمومه .

* وأما الحكم على المعين بأنه كافر ، أو شهوده بالنار ، فهذا يقف

على الدليل المعين .

فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه ، وانتفاء موانعه . (٣٤)

ثم ذكر رحمه الله أمثلة توضح كيفية تطبيق تلك القاعدة فقال :

" نشهد بأن " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ

فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " (٣٥)

(٣٤) الفتاوى : ٤٩٧/١٢ : ٤٩٨ .

(٣٥) النساء / ١٠ .

• ولا نشهد لمعين أنه في النار ، لأننا لانعلم لحوق الوعيد له بعينه .
لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط ، وانتفا موانع ، ونحن
لانعلم ثبوت الشروط وانتفا الموانع في حقه .

• وفائدة الوعيد : بيان أن هذا الذنب سبب مقتضى لهذا العذاب ، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه ، وانتفا مانعه .
• يبين هذا : أنه قد ثبت أن النبي ﷺ لعن الخمر ،
وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه . وشاربها ، وساقبها ،
وبائعها ومبتاعها ، وآكل ثمنها . (٢٦)

و ثبت عنه في صحيح البخارى عن عمر أن رجلا كان يكثر شرب
الخمر ، فلعنه رجل ، فقال النبي :
: لا تلعنوه ، نوافه ما علمت انه يحب الله ورسوله . (٢٧)

فنهى عن لعن هذا المعين وهو مد من خمر ، لأنه يحب الله
ورسوله .

وقد لعن شارب الخمر على العموم . (٢٨)

(٢٦) (جه ٢ / ١١٢١ ، ١١٢٢ - ٢٣٨٠)

(٢٧) (ح ١٢ / ٧٥ - ٦٧٨٠) .

(٢٨) الفتاوى ١٢ / ٤٨٤ .

٣ - التباس مفهوم الجاهلية :

لقد وقع لبس عند كثير من الشباب في مفهوم الجاهلية وجعلوا مفهوم الجاهلية مساوياً لمفهوم الكفر . ومفهوم الكفر ملتبس فسي أذهانهم ، فهم لا يعرفون إلا أنه نوع واحد ، وهو المخرج من الطلة . ولقد كان لهذا الالتباس آثار خطيرة انعكست على أمة الإسلام .

فلقد قرأ الشباب أن مجتمعات اليوم تسودها الجاهلية ، ففهموا من ذلك أن مجتمعات اليوم كافرة ، وأن الشعوب قد ارتدت . ومن ثم نظروا إلى المجتمعات نظرة نقمة وحققد وهدم وتدمير ، واستباحة وإهدار . . .

وهكذا كان لهذا الالتباس آثار سيئة على الأمة فوجب بيان الحق والصواب في هذا المفهوم كما جلاه علماء المسلمين وأئمتهم سترشدين في ذلك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

الجاهلية قسمان :

اتفق جمهور علماء المسلمين على أن الجاهلية قسمان :

جاهلية كبرى تخرج من الطلة .

وجاهلية صغرى لاتخرج من الملة .

فالجاهلية الكبرى : جاهلية الاعتقاد .

والجاهلية الصغرى : جاهلية المعاصي .

قال الإمام البخاري :

(باب كفران العشير ، وكفرون كفر

باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها

إلا بالشرك ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

وقوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (٢٩)

فينبغي استحضار هذا التقسيم عند قراءة النصوص التي تصف

عملاً ما بأنه جاهلية ، أو شخصاً ما بأنه جاهلي

(٢٩) انظر فتح الباري : ٨٣/١ : ٠٨٧

والآية في سورة النساء / ٠٤٨

العلاج :

- إن كثيراً من التبس عليهم المفاهيم والمصطلحات واختلطت ببعضها لا يدركون حدود وقيود وضوابط هذه المصطلحات ، ولا يعرفون كيف يخرجون بالمحترزات ، لذلك يدخلون في هذه المصطلحات ما ليس منها ، ويخلطونها بغيرها خصوصاً إذا كان هناك تقارب كبير ، وفروق دقيقة تحتاج إلى إمعان نظر، وإعمال فكر، وتريث وتأني في البحث .

- ثم كثير من يدركون مفهوم المصطلحات نظرياً ، يقعون في الخطأ عند تطبيقها عملياً ، ولا يتمكنون من تحقيق المناط كما هو مطلوب إما لشبهة ، أو جهل ، أو هوى .

- فحتى تتقى الزلل ، والوقوع في اللبس أوصانا الإسلام بما يلي :

١ - رد التشابه إلى المحكم .

قال تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا

بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٠﴾

وهذا المنهج يجب أن يتبع في فهم كتاب الله ، وسنة رسوله
، وكلام الأئمة والعلماء الفضلاء .

من صور اتباع المتشابه :

يقول الشاطبي :

" ومن اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في
مقيداتها . وبالعمومات من غير تأمل — هل لها مخصصات أم لا ؟ وكذلك
العكس :

بأن يكون النص مقيداً فيطلق ، أو خاصاً فيعم بالرأى من غير دليل
سواء .

فإن هذا المسلك رمى في عمية ، واتباع للهوى في الدليل ، وذلك
أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد ، فإذا قيد صار
واضحاً .

كما أن اطلاق المقيد برأى في ذلك المقيد معارض للنص من
غير دليل . (٤١)

قلت : وهذا الاشتباه كما يقع في فهم كتاب الله وسنة رسوله
كذلك يقع في فهم كلام العلماء الفضلاء .

وحتى نخرج من هذا المأزق نأخذ بالوصية الثانية .

٢ - جمع أطراف الأدلة كلها .

فالمشكلة التي تقع للشباب هي الاطلاع على جزء من الموضوع ،
و جزء من أدلته ، وتعمل العجلة عملها ، فيسقط المرء في اللبس .
فلكي نتقى الوقوع في هذا اللبس ينبغي أن نجمع أطراف الموضوع كله
جنباً إلى جنب وننظر في الأدلة مجتمعة كلها .

ونعطي كل دليل حقه من الأدلة مجتمعة كلها .
ونعطي كل دليل حقه من الدلالة دون زيادة أو نقصان . ونتجرد من
أحكامنا المسبقة ، ونطرح الأهواء جانباً .

٣ - الالتزام بتقوى الله .

قال تعالى :


يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (٤٢)

فبالإجابة إلى الله ، ومراقبته الدائمة ، وخشيته في السر
والعلانية . . يهب الله المرء نوراً يميزه بين التشابهات ، ويهديه عند
مفترق الطرق ، وتداخل الأدلة ، وتمازج المفاهيم .



الفصل الرابع

الأسباب النفسية



الفصل الرابع : الاسباب النفسية :

الأسباب النفسية :

قلنا أن هذه الظاهرة الحديثة لها أسباب متعددة ومن

هذه الاسباب ما هو داخلي أو نفسي .

ولقد كان لهذه الاسباب النفسية الاثر الكبير

في انشاء تلك الظاهرة .

فالنفس هي التي تتفاعل مع الاحداث ، وعلى قدر اتزانها

واعتدالها يكون ردها .

وهذه الاسباب خطيرة جدا ، وترجع خطورتها الى خفائها

ان قد تخفى على أصحابها أيضا .

واننى فى هذا المبحث سأحاول الكشف عن أهم هذه الاسباب

الداخليه ، ودوافعها ، وموقف الاسلام منها .

المبحث الاول : العجلة :

العجلة غريزة نغصيه فى الانسان ، جبل عليها

قال تعالى : **وَكَانَ الْإِنْسَانُ جَوَلًا** (١)

وقد قسم علينا القرآن مواقف عديدة لاستعجال

المسلمين والكافرين .

قال تعالى : **وَإِذَا رَأَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ**

إِلَّا هُزُوءًا أَهْلًا الَّذِي بِذِكْرِهِ الْهَتَّكُ وَهُمْ يَذِكرُ الرَّحْمَنِ

هُمْ كَفِرُونَ ﴿١٠٠﴾ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ**

آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٢)

قال الحافظ ابن كثير:

" والحكمة فى ذكر عجلة الانسان ههنا ، أنه لما ذكر

المستهزئين بالرسول ملوات الله وسلامه عليه ، وقع

فى النفوس سرعة الانتقام منهم ، واستعجلت ذلك ، فقال الله

تعالى : خلق الانسان من عجل ، لانه تعالى يملئ للظالم

حتى اذا اخذه لم يفلته ، يوء جل ثم يعجل ، وينظر

ثم لا يوء خر ، ولهذا قال : " ما ريكم آياتى " أى نقمى

وحكمى واقتدارى على من عصانى فلا تستعجلون " (٣)

(١) الاسراء / ١١٠ .

(٢) الانبياء / ٣٦ : ٣٧ .

(٣) تفسير ابن كثير / ٣ / ١٧٩ .

والتعبير القرآني يمور لنا عجلة الانسان .

" حتى كان العجل جزءاً من مادة تكوينه وهذا طبع
في الانسان كله ، وغريزة فيه " (٤)

والاسلام نهانا عن هذه العجلة ، وأمرنا بتهدئتها
لأن في العجلة مضرة .

" والله حين ينهانا عن العجلة مع انها غريزة وطبع
فيها ، انما يطلبنا بأن نحكم العقل في غرائزنا ، ونجعل
الدين يسيطر على أعمالنا الظاهرة والباطنة ، ولا شك
أن هذا تسام بالغريزة ، وإعلاء لها " (٥)

* وشباب العصر الحديث قد تملكته العجلة فلم يكفنها بالمبر
والتروى ، وألهيته العاطفة فلم يلجئها بالعقل ، فاندفع
بحماس وانطلق بشدة ، وتعجل أمورا لما يأت موعدها ، فعاد
مخفقا لم يظفر بطلبه . وكان للعجلة آثار سيئة على نفسه
وعلى مجتمعه ...

وفي هذا المبحث ما تناول الكلام عن دوافع العجلة بإيجاز
وأهم مجالاتها مبيناً موقف الإسلام منها .

(٤) التفسير الواضح ٢/٤٤/د . محمد محمود حجازي الجزء ١ سنة ١٤٠٢ هـ
دار الكتاب العربي - بيروت .

(٥) التفسير الواضح ٢/٤٥٤ .

دوافع العجلة :

- ١ - الحماسة الفائزة ، والعاظفة الجامعة .
- ٢ - أنتشار كثير من مظاهر الفساد المشير ، مما دفع أصحاب الحماسة الفائزة الى الاصطدام .
الاعداد .
- ٣ - الرغبة الشديدة في جنى ثمرة الجهد والعمل في الحال .
- ٤ - قلة التحمل .
- ٥ - قلة الخبرة ، وندرة التجربة ، فلا يدري متى يتقدم ومتى يتريث ويتأنس .
- ٦ - الفقر في نفعه منهج الاصلاح ، فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم ، ولا يحسن سلوك مسلم الاولويات .
- ٧ - الجهل بطبيعة النفس البشرية ، فيتعجل في مطالبتها بما يشغل عليها ، قبل أن يفرس فيها ما يسهل عليها تحمل التبعات .
- ٨ - الهوى .

العجلة في الإصلاح :

لقد كاد أعداء الإسلام للمسلمين في هذا العمر ليصرفهم
عن دينهم ، أو يضعفوا تمسكهم به ، ولقد حققوا بعض
النجاح ، فتأثر كثير من المسلمين بأفكار غير اسلامية
فتطلب الأمر اصلاح ما فسد ، وتقويم ما اعوج ، وجبر
ما انكسر ، بحكمة ودقة وفق المنهج الرباني .

* غير ان بعض الشباب نشد اصلاح الانحرافات الظاهرة من غير
بابه ، فأخفت مساعيهم ، بل كان الانحراف يزداد في بعض الاحيان
وذلك لمخالفة منهج الاسلام الدقيق ، ومخالفة الفطرة ، وطبيعة
النفس التي يراعيها الاسلام في منهجه .

* وكان داع هو ٤٤٤ الشباب هو العجلة والتسرع المذموم ، فلم
يستمعوا لتوجيهات الشيخ الحكماء ، وأهل الخبرة الفقهاء
وهو أمر لا بد منه وبخاصة في هذه المرحلة من مراحل العمر ،
فالشباب في هذه المرحلة " يتعرض لمناقشة كل المشكلات ،
شاعرا أن لديه القدرة على مناقشتها ^ل وكثيرا ما تكون مناقشته
سطحية .. ذلك أن النظر في المشكلات والبحث عن حلول لها
أمر يتعلق بالخبرة والممارسة اكثر مما يتعلق بالمعلومات المحشودة
في ذهن الانسان .

ولكن الشباب لا يدرك هذه الحقيقة إلا متأخراً ، حين يحصل
قدراً معقولاً من الخبرة والممارسة الواقعية !
أما في شبابهِ الباكر فيظن أن معلوماته وقدرته على التفكير
المجر كفيلتان بحل أعقد مشكلات البشرية !
ومن ثم يجد في نفسه الجرأة على النقد ، وإعلان
رأيه في بساطة واعتداد وبلا تحفظ ! كما يكون نقده قاطعاً
أو حاسماً لا يقبل الرفق ولا التوسط ، ويكون مقتنعاً بمنطقيته
وسلامته فلا يسهل عليه الرجوع عنه !

ولذلك يتعرض الشباب للاندفاع والشطط في تلك الفترة ما لم يجد
التوجيه التربوي السليم الذي يعودهُ على الانضباط ويقوم بسين
يديهِ المعايير".^(٦)

(٦) منهج التربية الإسلامية / محمد قطب / ٢ / ٢٦٦ : ٢٦٧ دار الشروق
ط ٤ س ١٤٠٢ نته.

موقف الإسلام من العجلة :

لقد نهى الإسلام عن العجلة ، وأوصى بالتحلي بالمـبر
والتروى ، والحلم والتأني .
قال تعالى :

مُخَلِّقِ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٧)

ان استعجال النمر واستعجال الاستجابة للهدى غير مقبول
مهما كان مودوافعه ، وحسن أسبابه .

اذ لكل موعده الذى قدره الله ، فما علينا الا العمل والجد

والبيان والتبليغ ، والمبر والتحمل

قال الله تبارك وتعالى: . وَلَقَدْ كَذَّبْتَ

رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ

أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ

نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٠﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ

أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ

فَتَأْتِهِمْ بِحَايَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٠١﴾ (٨)

(٧) الانبياء / ٢٧ .

(٨) الانعام / ٣٤ : ٣٥ .

يقول سيد قطب تعليقا على هذه الآيات الكريمة :

" كلمات يقولها الله - سبحانه - لرسوله - ﷺ كلمات للذكرى ، وللتسريح ، وللمواساة والتأسية .. وهي ترسم للدعاة الى الله من بعد رسول الله ﷺ طريقهم واضحا ، ودورهم محددًا ، كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته ، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق... انها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة ، كما أنها كذلك وحدة وحدة لا تتجزأ ..

دموة تتلقاها الكثرة بالتكذيب ، وتلقى أصحابها بالاذى ... وصبر من الدعاة على التكذيب ، وصبر كذلك على الاذى وسنة تجرى بالنصر في النهاية .. ولكنها تجيء في موعدها . لا يعجلها عن هذا الموعد أن الدعاة الأبرياء الطيبين المخلصين يتلقون الأذى والتكذيب ، ولأن المجرمين الظالمين والمفلسين يقدرون على أذى المخلصين الأبرياء الطيبين ! ولا يعجلها كذلك عن موعدها أن ما حب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته ومن شهواته إنما يرغب في هداية قومه حبا في هدايتهم ، ويأسى على ما هم فيه من فلال وشقوة ، وعلى ما ينتظرهم من دمار ومذاب في الدنيا والآخرة لا يعجلها عن موعدها شيء من ذلك كله - فان الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه . ولا يبدل لكلماته " .

(٩)

(٩) في ظلال القرآن / سيد قطب / ٢ / ١٠٧٧ .

ان نظرة في منهج الاسلام التريوى تطلعنا على أنه كان
متدرجا متأنيا بعيدا عن العجلة ، لانه خبير بطبيعة النفس
عليم بما يملحها ويجدى في علاجها .

فبدأ بالتوحيد وخرس معانى العقيدة الصحيحة توحيد
العبادة ، لاسيما ثم الايمان بالآخره ، وخرس في النفوس معانى
الحب الصادق لله ورسوله ، والطاعة الخالصة لله ورسوله .
وراهم على الاخلاق الكريمة لاسيما الصبر ، والحلم
ثم جاء التشريع ، ونزل الحلال والحرام فانقادت النفوس ،،
وأطاعت بسهولة ويمر لوجود الاسر المتينة التي تدفع
لذلك .

قالت عائشة رضو الله عنها :

إنما نزل أول ما نزل منه - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ،

حتى إذا ناب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ،

ولو نزل أول شيء لانشربوا الخمر لقانوا لا ندع الخمر أبداً ،

ولو نزل لاتزنوا لقانوا لا ندع الزنا أبداً ، (١٠)

وعلى هذا النهج ، نهج الصبر والتأني ، صار رسول الله

ﷺ ، فكثيراً ما كان ينهى أصحابه عن العجلة إذا تعجلوا

أموراً قبل وقتها ويوصيهم بالصبر والتحمل .

عن خباب بن الارت قال « شكرونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد برودة له في

ظل الكعبة - قلنا له : ألا تستصير لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن

قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالبخار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما

يصدؤه ذلك عن دينه ، ويمشط بأشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما

يصدؤه ذلك عن دينه . والله ليعتق هذا الأمر حتى يسهر الراكب من ضمء إلى حفرة موت

لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنامه ، ولكنكم تستعجلون » (١١)

فالحديث يدل على أن النفوس كلت من الأذى ، وتعبت من شدة

التعذيب ، وتطرق إليها ضعف التحمل ، فتعجلوا النصر ،

فأرشدهم الرسول ﷺ إلى التحلى بالصبر . وأخبرهم أن

نصر الله آتٍ لا ريب فيه لكن في الموعد الذي يختاره الله وهو

الحكيم العليم لا الذي نختاره نحن . وحذرهم من آفة تضيء أصحاب

الدموات الأوهى : الاستعجال .

وقد كان ﷺ مهدي من عجة أصحابه للاشتباك مبع

أعتى طواغيت الأرض ، لأن الوقت لم يأت ، والعدة لم تكتمل ..

ففي بيعة العقبة الثانية قال الصحابي العباس بن عباد بن

نضلة لرسول الله ﷺ :

" والذي بعثك بالحق ، ان شئت لنعملين ^{لنمدين} على أهل منى غداً بأسيا فنا .

فقال رسول الله ﷺ : لم نوءم بذلك " (١٢)

هكذا كان الرسول ﷺ يكفكف من اندفاعهم ، وكان

يقال لهم كلما تعجبوا الاشتباك مع جنود الطغيان ، وأعداء الإسلام

" كُفُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ " (١٣)

" فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١٤)

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

هكذا كان يرمى القرآن أصحاب رسول الله ﷺ ،

يريبهم على ضبط النفس والصبر والتحمل ، والعفو والمفح حتى

إذا جاء الوقت المناسب ، واكتملت العدة أذن للمؤمنين فسي

الاشتباك مع جنود الطغيان ، بل أمروا بمطاردتهم ...

فينبغى لأتباع الإسلام أن يراعوا هذه المراحل أثناء سيرهم

في طريق الدعوة ، ويسترشدون بأراء أولي العلم والفقه والخبرة

(١٢) سيرة ابن هشام . مج (١/٤٤٨)

(١٣) النساء / ٧٧ وانظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٥ .

(١٤) البقرة / ١١٠ وانظر تفسير ابن كثير ١/١٥٣ .

والتجربة وليدركوا أن العجلة تضر ولا تنفع .

وعلى هذا النهج القويم سار الدعاة الناجحون الموفقون
فتدرجوا في الأخذ بأيدي أقوامهم إلى سواء الصراط ، ولم يتعجبوا
الثمره قبل أوانها .

• فيها هو ذا خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزیز رضی
الله عنه يوضح لنا منهج الإصلاح المثمر الناجح من خلال
حواره مع ابنه الشاب المخلص المتحمس .
" قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

يا أبة ما يمنعك أن تمض لما تريد من العدل ؟ فوالله ، ما
كنت أبالي إذا غلت بي ويك القدور في ذلك .

قال : يا بني إنما أروض الناس رياضة المعيب ، وإنى لأريد أن
أحيى الأمور من العدل . فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من
طمع الدنيا . فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه " (١٥) .

• وهذا موقف آخر يجلى لنا سياحة عمر الإصلاحية .

" دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال :

يا أمير المؤمنين إن بي إليك حاجة ، فأخطني - وعنده مسلحة بسن

(١٥) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز / ٨٨ . وانظر الزهد / لاحمد / ٣٦٤ .

عبدالملك - فقال له عمر : أمر دون ابن عمك؟ قال : نعم .
فقام مسلمة وخرج ، وجلس بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين
ما أنت غداً قائل لربك إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تمتها
ورأيت سنة فلم تحيها ؟

فقال : يا بنى ، أشيء حملك الرعية إلى ؟ أم رأى رأيتته ؟
قال : بل رأى رأيتته من قبل نفسى ، وعرفت أنك مشغول . فما أنت
قائل ؟

فقال له أبوه : رحمك الله ، وجزاك من ولد خيراً . فإنى والله
لأرجو أن تكون من الأهلوان على الخير . يا بنى ، إن قومك قد
شدوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى ما أريد
مكابدتهم على انتزاع ما فى أيديهم ، لم آمن أن يفتقوا على فتقاً
تكثر فيه الدماء . والله ، لزوال الدنيا أهون على من أن
يهراق فى سببى محجمة من دم .

أو ما ترضى أن لاأتى على أهلك يوم من أيام الدنيا إلا وهو
يميت فيه بدعة ، ويحيى فيه سنة ، حتى يحكم الله بيننا وبين
قومنا بالحق وهو خير الحاكمين ؟" (١٦)

ونختم بيان منهج عمر فى إصلاحه البناء المشرى بقوله :
" ما ظاوعنى الناس على ما أردت من الحق ، حتى بسطت لهم من الدنيا
شيئاً " . (١٧)

(١٦) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز / ٢٢٩ : ٣٠٠ .

(١٧) المصدر السابق / ٨٨ .

وأخيرا اليك بيان حقيقة أصحاب الحماسة المتهورة ،

والاستعجال الممقوت .

"إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون

هم أشد الناس جزءاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجسد

وتقع الواقعة .. بل إن هذه قد تكون القاعدة !

ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة

عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف ، لاعن شجاعة واحتمال وإصرار كما

أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال . قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة ، فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع

والانتصار بأي شكل . دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار

حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا ، وأشق مما

تصوروا . فكانوا أول الصف جزءاً ، نكولاً وانهياراً .. على حين

يثبت أولئك الذين كانوا يمكنهم أنفسهم ، ويحتلمون الضيق والأذى

بعض الوقت ، ويعدون للأمر عدته ، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة

ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف ، فيمضون ويتمهلون ويعدون

للأمر عدته .. والمتهورون المندفعون . يحبونهم إن ذاك ضعافاً

ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمور ، وفي المعركة يتبين أي الفريقين

أكثر احتمالاً .

وأي الفريقين أبعد نظراً كذلك ! " (١٨)

المبحث الثاني : الاستعلاء بالطاعة :
=====

من الأسباب النفسية الخطيرة التي ابتلى بها طائفة من الغلاة

الكبر والاستعلاء .

- لقد أقبلوا على طلب العلم ، وقراءة كتبه بدون معلم غالباً فكان

ذلك وبالاعتماد عليهم وعلى الناس ، فقد اعتبروا أنفسهم علماء لهم

حق الإفتاء ، وغيرهم جهالاً !!

- كذلك أقبلوا على عبادة الله الظاهرة ، وأكثروا منها . لكن فاتهم

مراقبة نفوسهم وتهذيبها ، واتهامها لا تزكيتها ، فتسلل إليهم

الكبر والاستعلاء ، واحتقار غيرهم سواء العباد أو العمامة .

- كذلك تعرض بعضهم لمحن وابتلاءات ، فعدوا ذلك جهاداً ، ونظروا إلى

غيرهم على أنهم جبناء ، ضعفاء ، ونظروا إلى أنفسهم نظرة إعجاب

وعلو .

- إن هؤلاء قد تعلموا بعض العلم ، وظنوا أنهم قد بلغوا ذروتهم ،

ومعدوا قمتهم ، ولقد زين لهم ذلك أنهم قاسوا أنفسهم بالجهال

والعوام فانتفشوا !! ولو نظر هؤلاء بقلوبهم إلى العلماء

العاملين لعرفوا كيف يهذب العلم نفس صاحبه ، ويزيدها خشية

لله ، وتواضعاً وأدباً . ولعرفوا كيف تنظف العبادة قلب صاحبها ،

وتملؤه تقوى وورعاً ، ثم لأدرك هؤلاء حقيقة أنفسهم وقدرها ، وهل

هي كما ادعوا استعلاءً وانتفاشاً أو لا ٠٢

- إن هو^٤ لا^٤ قرأوا بغير فهم ، وعبدوا بغير قلب سليم ، فكانت
نظرتهم الاستعلائية التي أنتجت أموراً خطيرة أجمت نار الفلو
والتطرف من أهمها :

١ - عدم قبول النميحة ، لأئهم العلماء^٤ العاملون ؛

والإبطال المباحدون ؛ وغيرهم الجهال الخرافيون ،

والمبتدعون الزائغون ؛ والجبناء^٤ القاعدون !!

فلم يمعنوا لقول أحد ، فالصواب ما يرونه هم ؛

فشطوا وضاعوا .

٢ - الإعراض عن العلماء^٤ ، ورفض^٤ الاهتداء^٤ بما عندهم من

آراء^٤ ، لأنهم رجال وهم رجال !!

موقف الإسلام من الاستعلاء :

لقد ذم الإسلام الكبير وأهله ، والاستعلاء وأصحابه .

قال تعالى :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ (١)

وسين ﷺ عاقبة المتكبرين فقال :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » . (٢)

* ولقد بين لنا علماء الإسلام الآفات التي تصيب طلاب العلم

والعباد في طريقهم ، وقدموا لهم العلاج .

فمن هذه الأمراض الخطيرة ، والأكثر انتشاراً :

« الحسد والعجب والرثاء واحتقار الناس » (٣)

وقد بين العلماء المتخصصون بطب القلوب علاج هذه الأدواء

في كتب الرقائق فعليك بها .

ونذكر هنا بإيجاز بعضها .

(١) القصص / ٨٧ .

(٢) (م / ٩٣ - ٩١) .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم / ٢٤ .

" من أدوية العجب ، يذكر أن علمه وفهمه وجودة ذهنه
وفماحته ، وغير ذلك من النعم ، فضل من الله عليه ، وأمانة
عنده ، لبرعاها حق رعايتها ، وأن معطيها إياها قادر على
طلبها في طرفة عين كما سلب بلعام ما علمه في طرفة عين ، وما
ذلك على الله بعزير . (٤)

" أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ " (٥)

" ومن أدوية احتقار الناس تدبير قوله تعالى :

لَا يَخْرَقُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ (٦)

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ (٧)

" فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هِيَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٨)

وربما كان المحقر أظهر عند الله قلباً ، وأزكى عملاً وأخلص

نية . كما قيل :

إن الله تعالى أخفى ثلاثة في ثلاثة :

وليه في عباده ، ورضاه في طاعاته ، وغضبه في معاصيه . (٩)

(٤) المصدر السابق / ٢٥ .

(٥) الاعراف / ٩٩ .

(٦) الحجرات / ١١ .

(٧) الحجرات / ١٣ .

(٨) النجم / ٣٢ .

(٩) تذكرة السامع والتكلم / ٢٦ .

* وما هنا كلام نفيس لإمام جليل جمع بين طب القلوب ،
والالتزام بالإسلام علماً وعملاً وجهاداً . إنه الامام ابن القيم
يقول :

" وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات ،
في كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها . ولا يخطر بقلوبهم أنها
ذنوب ليتوبوا منها . فعندهم من الإزراء على أهل الكبائر
واحتقارهم ، ومولاه طاعتهم ، ومنتهم على الخلق بلمان الحال ،
واقتراف بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعتهم ، اقتضاة لا يخفى
على أحد غيرهم ، وتوابع ذلك - ما هو أبغض إلى الله
وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك .. " (١٤)

ويقول أيضا :

" رضا العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه ، وجهله بحقوق
العبودية ، وعدم علمه بما يستحقه الرب جل جلاله ويليق أن يعامل
به . وحاصل ذلك : أن جهله بنفسه ومفاتها وآفاتها وعيوب عمله
وجهله بربه وحقوقه وما ينبغى أن يعامل به ، يتولد منه رضاه
بطاعته ، وإحسان ظنه بها ، ويتولد من ذلك : من العجب الكبير ،
والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا ، وشرب الخمر
والفرار من الزحف ونحوها .

(١٠) مدارج السالكين / لابن القيم / ١ / ١٤٣ هـ دار التراث العربي - القاهرة
سنة ١٤٠٢ هـ .

فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحقاقتها .
وأرباب العزائم والبمائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات ،
لشهودهم تقميرهم فيها ، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله
وكبريائه " (١١)

- ويقول فيمن يعير الآخرين بمعاصيهم :

" إن تعيرك لأخيك بذنبه أعظم من ذنبه ، وأشد من معصيته لما
فيه من صولة الطاعة وتزكية النفس ، وشكرها ، والمنادة عليها
بالبرائة من الذنب ، وأن أخاك باء به فذنب تذلل به لديه
أحب من طاعة تدل بها عليه ، وإنك أن تبيت نائماً وتمبح نادماً
خير من أن تبيت قائماً وتمبح معجماً ، فإن المعجب لا يصدق له عمل
وإنك أن تضحك وأنت معترف ، خير من أن تبكى وأنت مدلل ، وأنسب
المذنبين ، أحب إلى الله من زجل المسيحين المدلين " (١٢)

فعلى المرء إذا رأى توفيقاً فى طاعة ، وهداية إلى عبادة وجهاد
أن يسأل ربه المزيد والتشبيث ، وأن يدرك أن ذلك من فضل الله
ومنته ، فيسأل ربه العون على شكره .

(١١) مدارج السالكين : ١٣٤/١ .

(١٢) المصدر السابق : ١٣٥/١ : ١٣٦ .

ويقول بلسان حاله ومقاله :

" وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ (١٣)

(١٤) وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ

- وينبغي أن يجعل هذه العبادة عامل تزكية للنفس ، وتطهير للقلب

فيزداد رقة ورحمة ، وينظر إلى الآخرين نظرة شفقة وإنقاذ

لا بغض واحتقار ، ومقت وانتقام ...

فانظر كيف كان إمام المتقين ، وأول العابدين ، وسيد الأولين

والآخرين "

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(١٥)

- وعلی الإنسان أيضاً أن يديم مراقبة نفسه ومحاسبتها وتقويم عيوبها

وأفاتها ، والحذر الشديد من تطل الأمراض الخفية إلى قلبه .

(١٣) الاعراف / ٤٣ .

(١٤) النحل / ٥٣ .

(١٥) التوبة / ١٢٨ .

* إن اتباع الهوى ، قد أضل أقواماً قبلنا ، فحطهم على الخروج عن الاعتدال إلى الغلو .

قال تعالى : قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (١)

* لذلك ذم القرآن الكريم الهوى ، وحذر من اتباعه ، واتباع أهله .

قال تعالى :

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ (٢)

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا (٣)

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٤)

وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ

بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ (٥)

أَفْرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ (٦)

والهوى هو ميل النفس إلى ما تحبه وترضاه . سواء كان نيل شهوة تلائم

طبيعتها ، أو اتباع شبهة توافق عقلها .

(١) المائدة / ٧٧ .

(٢) القصص / ٥٠ .

(٣) النساء / ١٣٥ .

(٤) ص / ٢٦ .

(٥) المائدة / ٤٩ .

(٦) الجاثية / ٢٣ .

ولما كان ميل النفس أمراً فطرياً فقد هذبه الشرع لذلك نجد النسبي
صلى الله عليه و سلم يحث المسلم على التحكم في هواه وتيسيره خلف منهج
الله مهما شق على النفس، وجعل ذلك من معالم كمال الإيمان .

فقال صلى الله عليه وسلم :

(٧) " لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به "

* فالسلف رضوان الله عليهم تحكوا في هواهم ، وضبطوا ميولهم ،
وجعلوها تدور حيث دار شرع الله ، ولو خالف ذلك نفوسهم ،
فثبتوا على طريق الحق والعدل ، ولم يقعوا في إفراط ولا تفريط .

وكانوا يهذبون نفوسهم بالتقوى والإخلاص ومراقبة الله ، فكانت
نظرتهم للأمور سديدة ، وكان الله يعصمهم من الزلل في مواطن
الشبهات ، ويهديهم عند مفارق الطرق . . .

* وينبغي أن نعلم أن الهوى داءٌ خفي ، ومرض قلبي ، لا يدركه
إلا صاحبه ولا يعرفه غيره إلا بقرائن خارجية .

يقول الشاطبي عن اتباع الهوى :

" إلا أن هذه الخاصية راجعة في المعرفة بها إلى كل أحد في
خاصة نفسه ، لأن اتباع الهوى أمر باطن ، فلا يعرفه غير صاحبه
إذ لم يغالط نفسه ، إلا أن يكون عليها دليل خارجي . (٨)

وهنا أحب أن أذكر بأمور :

(٧) (انظر الاربعة النووية / رقم ٤١) .

(٨) الاعتصام / ٢ / ٢٣٥ .

— مادام الهوى أمراً باطنياً ، فلا يجوز أن يمرض المرء غيره به ، اللهم
إلا أن تظهر قرينة قوية تدل على ذلك .

— علينا أن نرفع مقاييس الهوى ونجليها ونترك كل إنسان يقيس
نفسه بنفسه فهو أدري بها .

مقاييس الهوى :

إن الهوى داءٌ خفي لذلك عظم خطره ، وقد يخفى على صاحبه أيضاً ،
لذلك كانت الحاجة ماسة إلى معرفة علاماته وإدراك أماراته . ليظهر
المرء نفسه من هذا الداء إن كان مبتلى به ، أو يحصن نفسه ضده
إن كان سالماً منه . فمن هذه الأمارات ، وأهم العلامات .

(١) اتباع التشابهات ورد المحكمات .

(٢) الإعراض عن الحق بعد وضوحه وانتحال المعانير ، والتمسك
بما يبرر ذلك .

(٣) الركون للسهل المريح قبل البحث والتفكير .

يقول الماوردي :

" أما السبب الثاني — في خفا الهوى — فهو استثقال الفكر
في تمييز ما شتبه ، وطلب الراحة في اتباع ما يسهل ، حتى يظن
أن ذلك أوفق أمره ، وأحمد حاله ، اغتراراً بأن الأسهل محمود ،
والأعسر مذموم ، فلن يعدم أن يتورط بخدع الهوى ، وزينة المكر فسي
كل مخوف حذر ، ومكروه عسر ، ولذلك قال عامر بن الظرب :

الهوى يقظان ، والعقل راقد ، فمن ثم غلب .

وقال سليمان بن وهب : الهوى أمتع ، والرأى أنفع ! (٦)

(٤) الجرى وراء الشهوات كشهوة الزعامة والجاه والشهرة . . .

على حساب الدين ، وتبرير ذلك باسم الدين .

(٥) عدم الثبات على العدل وعدم التزامه مع البعيد كالقريب ، والعدو

كالصديق ، والضعيف كالقوى ، والفقير كالغني . . . ، وفي الغضب

كالرضى . . .

فالخروج عن العدل هو معلم الهوى الكبير ، سواء كان ذلك

في الأقوال والأفعال والاعتقادات ، والسلوك والمعاملات ، والأحكام ،

والحب والبغض

قال تعالى :

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّٰمِيْنَ بِالْقِسْطِ شٰهَدَآءَ لِلّٰهِ
وَلَوْ عَلٰى اَنْفُسِكُمْ اَوْ اٰلُوْا لِدِيْنَ وَاَلْاَقْرَبِيْنَ اِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
اَوْ فَقِيْرًا فَاَللّٰهُ اَوْلٰى بِهِمَا فَاَلَّا تَتَّبِعُوْا الْهَوٰى اَنْ تَعْدِلُوْا وَاِنْ
تَلَوْا اَوْ تَعْرَضُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا (١٠)

وقال سبحانه :

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّٰمِيْنَ لِلّٰهِ شٰهَدَآءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ
لِلتَّقْوٰى وَاَتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١١﴾

(٩) أدب الدنيا والدين / لابي الحسن الماوردي / ٣٧ : ٣٨ تحليق مصطفى السقا .

(١٠) النساء / ١٣٥ .

(١١) المائدة / ٨ .

* إن نظرة في تاريخ الأمة الإسلامية تبين لنا جلياً أن من كبرى أسباب انحراف المنحرفين عن الصراط المستقيم اتباع الهوى ، الهوى الذى حجبه عن رؤية الحق كاملاً ، والانقياد له .

* فهام أولاء الخوارج - على سبيل المثال - يناظرون ويحاججون ، وتفند حججهم ، وتزال أعذارهم ، ويوقفون على أخطائهم ، فيأبى الكثير الإلتباع هواء ، والانقياد لما ارتضاه . (١٢)

رتأثرت أحكامهم و معاملتهم بما طبعوا عليه من العنف والشدة ، والغلظة والقسوة .

ومالت آراؤهم لأدلة الوعيد ، ولم ينظروا لأدلة الوعد .

وقابل الخوارج المرجئة بلينهم المفرط إلى حد التسبب واللامبالاة بالذنب والمعصية . . .

ومالت آراؤهم لأدلة الوعد ، وأسقطوا أدلة الوعيد .

وهكذا الفرق التى حادت عن المنهج السوى من المعتزلة والجهمية والشيعة وغيرها . .

* ومن الأمور الخطيرة التى ينبغى التنبيه عليها أن صاحب الهوى يؤيد ما مالت إليه نفسه بأدلة شرعية . تسترعيه ، وتخفى عوره .

فقد رأينا الفرق التى انحرفت عن منهج السلف ، ووقعت فى جانب من جوانب الغلو أو التقصير ، تسرد من الأدلة ما يوافق هواهم ، كما فعل الخوارج والشيعة ، والمعتزلة والجهمية والمرجئة وغيرها .

(١٢) انظر بالتفصيل بحث الحوار الحر البناء ص ٥٠٥ : ٥١٥

يقول الشاطبي :

"...المتدع لا بد له من التعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع . .
ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع ، فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي
في زعمه . فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك
بحسن ما يتسك به ؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة . " (١٣)

* وقد يكون صاحب الهوى ممن يدعون الالتزام بالمنهج الحق ،
ويتحسسون لذلك ، ويدعون التحريف وأهله ، ويشنعون عليهم فسي
كل مجلس .

ولا يدري هذا المسكين أنه مصاب بهذا الداء الخفي . والعلة فسي
هذه الحالة ترجع إلى أمرين :

(١) الجهل .

(٢) استيلاء شبهة خفية عليه وافقت هواه .

يقول الشاطبي :

" ويغلب على الظن ، أن من أقرب إلى الإسلام ، و قد تم تحريف الكلم
عن مواضعه ، لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له ، أو جهل يصده
عن الحق ، مع هوى يحميه عن أخذ الدليل مأخذه فيكون بذلك السبب
متدعياً . " (١٤)

* ومن أخطر الشبهات التي تعرض للمرء عدم إحسان إنزال النصوص منازلها
، وتطبيقها على الواقع المراد . فهو عنده دليل على حالة معينة ، فأخذ

(١٣) الاعتصام / ١ / ١٢٤ .

(١٤) الاعتصام / ١ / ٢٤٩ .

هذا الدليل ويضعه في غير حالته المرادة لتقارب في الشبه أو لأمر
أخرى .

وهذا الداء قد ابتليت به طوائف قبلنا فضلوا وأضلوا . ومن
هؤلاء الخوارج .

قال الإمام البخاري :

" وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله ، وقال :

إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار فجعلوها على المؤمنين . " (١٥)

وهذا النوع من الشبهات قد شاع في عصرنا ، ووجد سبيله إلى أبناء
الصحوة الإسلامية الحديثية ، فقد رأينا أدلة التكفير تنزل في غير
منازلها ، وشاهدنا أدلة التفسيق والتبديع ، والزيف والضلال توضع
في غير مواضعها .

وأدلة الشدة والغلظة تطبق على غير حالاتها .

وأدلة الهجر والعزلة تلقى في غير مواضعها . . .

فنتج عن ذلك غلو في الآراء والأحكام ، وخشونة في المعاملة . .

إن تداخل الأدلة ، وتشابه الحالات ، يحتاج إلى دقة متناهية

في الفهم ، وحكمه بالغة في التطبيق ليسلم المرء من الزلل والشطط .

ومن رزق التوثيق في هذا الباب ، فقد ظفر بالسلامة والهداية .

علاج الهوى :

في نهاية هذا البحث أحب أن أقدم العلاج لهذا الداء العضال ،
والمرض الخطير الخفي ، ويمكن جمع أسباب العلاج فيما يلي بإيجاز :
١ - التزود بتقوى الله ، ومراقبته سبحانه ، واستحضار عظمته عز وجل
واطلاعه على خفايا النفس . .

فذلك جدير بأن يكف المرء عن اتباع هواه .
لذلك نجد الآيات التي تحذر من الهوى تختم بالتذكير بتقوى
الله ، واستحضار اطلاعه عز وجل على خفايا النفس . . .

قال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن
تَلَوْا أَوْ نَسُوا فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٦) ﴾

وقوله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٧) ﴾

(١٦) النساء / ١٣٥

(١٧) المائدة / ٨

والتقوى " حساسية في الضمير . . وشفافية في الشعور ،
وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوقى لأشواك الطريق . . طريق
الحياة . . الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات وأشواك المطامع
والمطامح ، وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن
لا يملك إجابة رجاء ، والخوف الكاذب من لا يملك نفعاً ولا ضراً .

وعشرات غيرها من الأشواك ! " (١٨)

٢ - مراقبة الإنسان لسلوكه دائماً ، والتعرف الصادق على
دوافعه ، وميزانه بميزان الشرع بدقة وتجرد .

٣ - تحكيم العقل والفكر وعدم الاستجابة للعواطف والشهوات
قبل العرض على العقل لیسبحت بتأني ودقة ثم يعطي القرار ، وقد
يكون ذلك مخالفاً لميول النفس فلا مفر من الاستجابة لقرار العقل ولو كان
مراً ففي عاقبته الفلاح والفوز والسعادة .

٤ - " استحضار ما في عواقب الهوى من شدة الضرر ، وقبح الأثر ،
وكثرة الإجرام ، وتراكم الآثام " . (١٩)

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ . وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » . (٢٠)

(١٨) في ظلال القرآن : ٣٩/١ .

(١٩) أدب الدنيا والدين / ٣٥ : ٣٦ .

(٢٠) (٢١٧٤/٤م - ٢٨٢٢) .

وقال سبحانه معذراً من الهوى ، وبيناً عاقبته الوخيمة :

يٰۤاٰدٰمُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاٰحِمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ

يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمَسُوْنَ يَوْمَ الْحِسَابِ (٢١)

٥ - التعرف على مسالك الضالين من سبق لاجتنابها ، وردع

الهوى إذا مال لسلوكها .

٦ - التسلح بالعلم ، ومعرفة الشبهات ودحضها .

٧ - سؤال الخبراء بأمراض القلوب ، واستفسارهم عن أحوال

المرء ، وما يعتريه ، وقراءة كتب الرقاق ففيها زاد نافع .

المبحث الرابع

ردود فعل المحسن

إن الابتلاء سنة من سنن الله في الدعوات ، لذلك كان طريق الدعوة إلى الله طيباً بالعقبات ، ويلقى الداعية إلى الدين الخالص كثيراً من المشقات . قال تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُوا
الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ الْآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (١)

ويقول سبحانه :

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾ (٢)

تلك آيات تصور لنا جانباً من جوانب طريق الدعوة المعسوف بالمكاره والمشقات ، والمحسن والابتلاءات . ولما كان لهذه المحسن والابتلاءات آثار شديدة على النفس فقد أمر الله تعالى بما يخفف آثارها ، ألا وهو الصبر فقال سبحانه وتعالى :

(١) البقرة / ٢١٤ .

(٢) العنكبوت / ١ : ٣ .

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٣)

وفي وصايا لقمان التي ذكرها القرآن :

يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤)

تلك هي طبيعة الطريق ، وذلك زاده الضروري ، ولقد أكد القرآن على هذا الزاد ، لأن بدونه يتعرض المرء لمخاطر جسيمة ، ومنعطفات خطيرة .

ولقد تعرض بعض شباب العصر الحديث لصنوف من المحن وقابلوا أنواعاً من المشقات والابتلاءات .

* فثبت بعضهم وصبر ، وتحمل وحلم ، وضبط أعصابه وعواطفه ، فزادته المحن إيماناً وتسليماً .


* وانهار بعض آخر وضجر ، وانفلتت أعصابه وانساق وراء عواطفه ، وحدث له ردود فعل نفسية عنيفة تجلت آثارها فيما يلي :

١ - الشدة في الأحكام التي أصدرها على غيرهم ، حيث كفروا وتوسموا في التكفير .

٢ - الخشونة والقسوة في المعاملة . واستخدام الغلظة في غير مواضعها .

(٣) القلم / ٤٨ .

(٤) لقمان / ١٧ .



الفصل الخامس

آثار الفلو وخطورته



آثار الفلو وخطورته :

إن للفلو آثاراً وخطورةً على صاحبه ، وعلى المحيط الذى يعيش فيه .

ولقد كان لظاهرة الفلو الحديثة آثار وخطورة على أصحابها ، وعلى المجتمع ، وعلى الدعوة إلى الله .

وفي هذا الفصل سأتناول الكلام على تلك المجالات

- الثلاثة : الفلاة .
- والمجتمع .
- و الدعوة .

أولاً :

آثار الغلو وخطورته على الغلاة :

١ - الهلاك .

إن أصحاب الغلو على مر العصور ومختلف الدهور قد جنوا
حصاراً مرّاً من جراء غلوهم ، وعدم استقامتهم على منهج الله
السوى القويم . وتعرضوا للمتاعب والشقاء .

قال تعالى :

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْتَقِنِ . (١)

وقد توعد الرسول صلى الله عليه وسلم الغلاة التنظعين بالهلاك .

فقال ﷺ .

« هَلَكَ الْمُتَنَظِّمُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا . (٢)

وقال أيضا :

« إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفَى الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكُ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفَى الدِّينِ »

(١) طه / ١٢٣ .

(٢) (٢٠٥٥/٤م - ٢٦٦٠) .

(٣) حم / ١ / ٢١٥ ، ٢٤٧ .

فالفلو سبب في هلاك صاحبه .

فهو يدفع صاحبه إلى تحريم الطيبات باسم الزهد المذموم . كما
يدفعه إلى التعسير تحت ستار طلب الكمال الموهوم . كما يدفعه
إلى العنف وتكفير الآخرين وتضليلهم ، وسفك دماء الأبرياء ،
وترويع الآمنين

كما يتسبب الفلو في تضييع حقوق أخرى قد تكون أعظم
وأولى مما انشغل به .

وفي كل ذلك من الهلاك ما لا يخفى ، هلاك الدنيا وهلاك
الدين .

فأعمال الفالي غالباً ما تضيع هباءً ، ويفاجأ بعقاب ينتظره .
وقد حفظ لنا التاريخ نماذج من الغلاة الهالكين ، كما شهد
بذلك الرسول ﷺ .

فهؤلاء الخوارج هلكوا ، مع كثرة أعمالهم وعبادتهم وقراءتهم
بل اعتبروا شرار خلق الله .

والسبب هو غلوهم في الدين ، الذي دفعهم إلى ارتكاب عظيم
الآثام .

قال ﷺ وهو يخاطب أصحابه ويحدثهم عن الخوارج :

" يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية " .^(٤)

٢ — التفريط في حقوق أخرى .

إن المرء عليه حقوق عديدة ، وأصحاب الحقوق متعددون ، فأصحاب الصراط السوى القويم ، يعطون كل ذي حق حقه بالحق والميزان ، فلا إفراط ولا تفريط .

أما الغلاة ، فمن آثار غلوهم الخطيرة أنهم يببالغون في أعمال على حساب أعمال أخرى يقصرون فيها ولا يوفونها حقها كما طلب الشرع .

وقد تكون الحقوق المقصر فيها أهم وأولى مما بالغ فيه فهنا تكون الطامة أعظم ، والآثر أخطر . وقد نسيه النبي ﷺ على هذا الأثر الخطير أثناء توجيهه لعبد الله بن عمرو رضي الله

عنهما حيث قال له :

ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : فلا تفعل : صم وأفطر ونم وقم .

فإن لجسدك عليك حقا .

(٤) (خ / ٦١٧ - ٢٦١٠)

(٢٢٢ / ٧٤٣ ، ٧٤٤ - ١٠٦٤)

- وان لعينك عليك حقا .
وان لزوجك عليك حقا .
(٥) وان لزورك عليك حقا .

فقد نهاه صلى الله عليه وسلم عن المبالغة ، وأرشده للاعتدال ،
وبين أن هناك حقوقا أخرى تضيع بالغلو .

وعلى نفس المنهج سار سلمان رضي الله عنه في توجيه أخيه أبي
الدرداء رضي الله عنه حيث قال له :

” إن لربك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا ،

ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه .” (٦)

” فقد جمع هذا الحديث التنبيه على حق الأهل بالوطة والاستمتاع

، وما يرجع إليه ، والضيف بالخدمة والتأنيس والمواكلة وغيرها ،

والولد بالقيام عليهم بالاكسباب والخدمة . والنفس بترك إدخال

المشقات عليها . وحق الرب سبحانه بجميع ما تقدم ، وبوظائف

أخر ، فرائض ونوافل أكد ما هو فيه .” (٧)

(٥) (خ ٣٨/٣ - ١١٥٣) (م ٢/٢: ٨١٢ - ٨١٨ - ١١٥٩) .

(٦) (خ ٢٠٩/٤ - ١٩٦٨) .

(٧) الاعتصام ١/١ - ٣٠٢ .

وقد ذكر الشاطبي أن من آثار الغلو الضارة
" خوف التقصير أو المعجز عن القيام بما هو أولى وأكثر
في الشرع .

وقال عليه السلام إخباراً عن داود عليه السلام :

« كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا : وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَا » (٨)

تنبيهاً على أنه لم يضعفه الصيام عن لقاء العدو ويفسر ويترك
الجهاد في مواطن تكيده بسبب ضعفه . (٩)

* وقد روى سعيد بن منصور عن ابن سعد رضي الله عنه أنه :

قيل له : انك لتقل الصيام .

فقال : إني أخاف أن يضعفني عن القراءة .

والقراءة أحب إلي من الصيام .

قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح (١٠)

(٨) (م ٢٢ / ٨١٢ - ١١٥٩) .

(٩) الاعتصام ١ / ٣٠١ : ٣٠٢ .

(١٠) سنن سعيد بن منصور /

(١١) فتح الباري ٤ / ٢٢٣ : ٢٢٤ .

* ولقد وقع غلالة العصر الحديث في هذا المحذور ، فعلى سبيل المثال : تجد بعضهم يبالغ في تصنيف الناس بين كافر ، ومبتدع ، وضال ، وفاسق ، وزائع . . . ويتخذ ذلك مسـلالة له ، ولا ينشغل بالأهم والأولى - إن صح حكمة - وهو دعوة الناس إلى الخير ، وهداية الضال ، وإرشاد الحائر ، وإنقاذ الغارق . وإصلاح الفساد ، وتقويم الاعوجاج . . .

٣- الانقطاع عن العمل وكراهيته .

من الآثار الخطيرة ، والنتائج الضارة التي يؤدي إليها الغلو أحياناً :

" كراهية النفس لذلك العمل المطرزم لأنه قد فرص من جنس ما يشق الدوام عليه .

فتدخل المشقة بحيث لا يقرب من وقت العمل إلا والنفس تشمئز منه ، وتود لولم تعمل ، أو تتمنى لولم تلتزم . وإلى هذا المعنى يشير حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :

" ان هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقص " (١٦)

(١٦) الزهد / لابن المبارك / ٤٦٩ / رقم ١٣٣٤ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي .

يشبه الموجل بالعنف بالمنبت ، وهو المنقطع في بعض الطريق
تعنيفاً على الظهر — وهو المركوب — حتى وقف فلم يقدر على
السير ، ولورفق بدابته لوصول إلى رأس المسافة . فكذاك
الإنسان عمره مسافة ، والغاية الموت ، ودابته نفسه .
فكما هو المطلوب بالرفق بنفسه حتى يسهل عليها قطع مسافة
العمر بحمل التكليف .

فنهى في الحديث عن التسبب في تبغيض العبادة للنفس ،
ومانهى الشرع عنه لا يكون حسناً . (١٣)

ثم إن بغض العمل وكراهيته تؤدي غالباً إلى تركه وانقطاعه ،
فالفلو مخالف للفطرة البشرية ، لذلك يصطدم معها ولا ينسجم ،
من أجل هذا كان " قصر العمل ، والاستمرار عليه في العادة
غير متيسر ، فالإنسان ملول ، وطاقته محدودة ، فإن صبر
يوماً على التشدد والتعسير ، فسرعان ماتكل دابته أو تحرن
عليه مظيته في السير . . . وأعنى بهما جهده البدني والنفسي ،
فيسأم ويدع العمل حتى القليل منه . أو يأخذ طريقاً آخر ،
على عكس الطريق الذي كان عليه . . . أى ينتقل من الإفراط
إلى التفريط ، ومن التشدد إلى التسبب ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله " . (١٤)

(١٣) الاعتصام ١/ ٣٠٣ : ٣٠٤ .

(١٤) الصحوة الإسلامية / ٣٠ .

ولقد رأينا أناسا اتصفوا بالتشدد والعنف حيناً ، وكانت العجلة والتسرع . . . يسيطر عليهم ، ثم أصيبوا بانتكاسة ، فقد تسلل إلى نفوسهم اليأس من الاصلاح بسبب مشقات الطريق الطويل ، واعراض الناس عن الاستجابة أو تباطؤهم . . . ، ثم خواء هؤلاء الغلاة من الصبر والتريث ، فكانت الانتكاسة ، واليأس ، وانقطاع العمل وتركه .

٤ - التعرض للمحن والافتتان .

إن المحن أمر طبيعي ، وسنة جارية على طريق الدعوة ، قال

قال الله تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ

الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْإِنِّ أَنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ (١٥)

فالمحنة أمر متوقع ، لأن الصراع بين الحق والباطل ، والإيمان

والظفیان مستمر .

لكن لا يجوز للمرء أن يعرض نفسه لمحنة وفتنة يمكنه تلافيتها

بدون معصية لله .

فكما قلت : الحرب بين الإيمان والكفر واقعة ومستمرة ، ومع ذلك

فقد نهى النبي ﷺ عن تمنى لقاء العدو . فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْمَدُونِ ، وَسَلُوا أَهْلَ الْعَاقِبَةِ ، فَإِذَا
لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . (١٦)

فأصحاب الفلوعرضوا أنفسهم بسبب عنفهم . . للاحتضان
والافتتان أثناء هذه المحن ، فانقلب بعضهم ، وصار
عميلاً ، وضعف بعضهم . .

وكان بإمكانهم أن يتفادوا تلك الفتن أو يقللوا منها لو

صبروا .

ثانياً :

آثاره على المجتمع :

لقد كان للغلو آثار سيئة انعكست على المجتمع ، وأهم هذه الآثار :

* تحطيم المجتمع وتصديةه .

فبعض الغلاة نظروا إلى المجتمع نظرة ملؤها النقرة والحقد ، واستباح

لنفسه أن يضره ، ويقبض يده عن تقديم أى خدمة ، أو معاونة للمجتمع

لأنهم كفار لا يجوز مساعدتهم في نظره ! فاعتزل هؤلاء المجتمع ،

ولم يعملوا على إصلاحه ، بل استباح بعضهم أيدائه وإضراره . .

فكانت النتيجة المزيد من تحطيم المجتمع ، والقضاء عليه .

ولقد كانت نظرة النقرة على المجتمع ، وتكفير أفراده ، سبباً في

تصدعه وتشققه ، وإحداث بلبلة وتفكك في الأسرة والمجتمع .

ومن ثم أخذت نظرات الكراهية والنقرة تتبادل

* بث الرعب والإرهاب :

لقد لجأ بعض الغلاة إلى العنف ، والقتل ، وسفك الدماء ، والضرب

والاعتداء ، والتهديد والوعيد . . فكان لهذا الأسلوب أثره في بث

الرعب والإرهاب بين الناس :

وقد تسبب الغلاة بملوكهم هذا في انزال كثير من المحن بهم

وخيبرهم ممن لا يقرونهم على ذلك .

فلحق الأذى كثيراً من الأبرياء .

ومما لاشك فيه أن هذه المحن كانت تنبئ حالة من الرعب

والإرهاب بين الناس .

آثاره على الدعوة الإسلامية :

من أبلغ آثار الغلو الضارة ، آثاره الخطيرة على الدعوة الإسلامية
وأهم هذه الآثار مايلي :

(١) التنفير من الدعوة :

إن الغلو مخالف للفطرة البشرية ، لا يمكن تحمله والالتقاء معه .
وسلوك الغلاة من الغلظة والجفوة ،
وأسلوبهم من التشدد والتعسير . .
كل ذلك ينفر الناس من الاستجابة للدعوة . ويصددهم عنها ،
لذلك غضب الرسول ﷺ على الصحابي الجليل معاذ لما بالغ
في إطالة الصلاة فقال له :

يَا مُسَادُ . أَفَتَأْتِي أَنْتَ - أَوْ أَقَاتِنُ - (ثَلَاثَ سِرَارٍ) ، (١٧)

مع أنه لم يكن منه إلا إطالة الصلاة وهي مطلوبة لمن صلى وحده
أو صلى بجماعة يرغبون ذلك ، ولكن الأسلوب العام فيها هو
مراعاة حال المصلين ففهم الضعيف والعاجز وذو الحاجة ولذا كانت
الإطالة في هذه الأحوال فتنة لبعض الناس فيترك صلاة الجماعة .
وكذلك قال لبعض أصحابه : إن منكم منفرين . .

عن أبي مسعود قال :

قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ إني لأتأخَّرُ عن الصلاةِ في النَّجْرِ ثَمَّ يُطِيلُ بنا فلانٌ فيها .
فَنَضِبَ رسولُ اللهِ ﷺ ما رأيته غضبَ في موضعٍ كانَ أشدَّ غضباً منه يومئذٍ .

ثمَّ قال : يا أيُّها الناسُ ، إنَّ منكم مُنقَرينَ ،

فمن أُمَّ الناسَ فليتَجَوَّزْ ، فإنَّ خَلْفَهُ الضَّعيفَ والكبيرَ وذا الحاجةِ هـ (١٨)

ما سبق ندرك أن التعسير والتشدد سبب في تنفير الناس ،

، وفتنتهم ، وصد هم عن الخير .

وقد يعادى بعض الناس الدعوة بسبب سلوك الغفلة

المنفر . .

(٢) ضرب الحركة الإسلامية وتشويه صورتها :

من الآثار الخطيرة للفلو والسلوك العنيف لبعض الفلاة ، استثمار تلك المواقف المتطرفة ، والأحداث الغالية ، لتبرير ضرب الحركة الإسلامية كلها غلاة ومعتدلين .

فبعض الحكام المعادين للإسلام يتكثرون على بعض تصرفات شاذة من بعض الفلاة ، فيشنون بذلك حملات وحشية من الاعتقالات ، والإرهاب . ويصدرون قوانين الطوارئ التي لا تنطبق إلا على الجماعات الإسلامية . ويفرضون قرارات حظر النشاط الإسلامي ، ومنع اللقاءات ، والمؤتمرات . . كما أنهم يستغلون حوادث الفلاة في التشنيع على العمل الإسلامي كله . . . ، وتشويه صورته أمام الناس ، وتصوير الجماعات الإسلامية بصورة الإرهابيين .

* كذلك يستغل أعداء الدين الإسلامي على مستوى العالم وبخاصة في بلاد الأقليات الإسلامية حوادث التطرف التي ترتكب باسم الدين ، والدين منها براء ، والتي لا يقرها الإسلام الحنيف ، ولا العلماء المخلصون ، يستغل أعداء الإسلام هذه الحوادث فيشنعون بها على الإسلام كله وتعاليمه ودعائه .

ويلقون في نفوس الجهال من المسلمين أن هذا هو الإسلام وهؤلاء هم دعائه . كل ذلك بصورة تصد عن دين الله .

ولاشك أن ذلك يؤثر على نفوس كثير من الناس، فينخدعون

بحملات الإرجاف .

كما أن ذلك يخلى المجال للمفسدين ، وفي ذلك تمكين لأعداء

الدين .

الباب الرابع
العلاج



الفصل الأول

المسؤولون عن العلاج



تمهيد :
=====

بعد تشخيص داء الغلو ، ومعرفة أبرز معالمه ومظاهره ، والكشف
عن أهم أسبابه ودوافعه ، والوقوف على آثاره الخطيرة ، وأضراره ،
الجيمة ، بعد ذلك أقدم الآن الدواء ، وأبين طريق العلاج ، مسترشدا
بمنهج الطفا العالج في ذلك ، حيث إنهم قد قدموا أسس العلاج
لهذا المرض ، فمرض الغلو قديم ، وهو يتجدد في كل عصر ، ويظهر
بكثرة أو قلة لاعتبارات خاصة ، حسب الظروف ومدى تهيتها لذلك .

فمن الضروري لكل من يتمدى لعلاج هذه الظاهرة أن يمعن النظر
في سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله
عليهم ، والتابعين لهم بإحسان ، للاسترشاد بهم ، والاستفادة من أطوبهم
في علاج داء الغلو .

وفي هذا الباب ما تناول الحديث عن العلاج في ثلاثة أركان رئيسية هي :

- ١ - المسئولون عن العلاج .
 - ٢ - وسيلة العلاج .
 - ٣ - المعالجون بالداء .
- أوتعبير آخر : الطبيب ، والمريض ، والدواء .

فأبين من هم المشولون ، وما دور كل منهم ، وما هي الصفات
الضرورية التي ينبغي أن يتحلى بها من يتمدى للملاج .
كذلك ما بين ما هي الأمايب الناجحة ، والدواء الشافى لعلاج
داء الغلو .

وسوف أذكر الأمايب غير المجدية التي استخدمت وما زالت تستخدم
وأبين وجه فشلها .

كذلك ما ذكر دور الممايين بهذا الداء وأبين واجبه لأن تبعمة
هذه الظاهرة لا تقع على غيرهم وحدهم ، بل هي مشتركة بنسب متفاوتة
فلا بد من معرفة واجب هؤلاء الممايين في ضوء كتاب الله تعالى
وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة السلف العالِم رضوا الله عنهم
فإذا تعاون الأطباء ، وأحسنوا تقديم الدواء ، وتناولوا الممايين
استوعمل الداء ، وتحقق الشفاء بفضل الله وتوفيقه .

المشولون عن العلاج :

في الحقيقة تقع مسؤولية العلاج على جهات متعددة .
والمشولون عن العلاج كثيرون ، والقادرون على الإسهام الإيجابي
البناء في العلاج متعددون .

ولا بد من تعاون الجميع في البناء ليكتمل البناء .
متى يبلغ البناء يوماً تاماً
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وأهم الجهات المشولة عن العلاج :

- ١ - الأسرة .
- ٢ - المسجد .
- ٣ - الأندية ومراكز الشباب .
- ٤ - المؤسسات التعليمية .
- ٥ - العلماء .
- ٦ - سلطات الحكم .
- ٧ - الإعلام .

ولكل جهة من هذه الجهات قدرة على العلاج والإسهام البناء
وإن كانت هذه القدرات متفاوتة إلا أنه يكمل بعضها بعضاً .

فما هو دور كل من هذه الجهات ؟

وكيف يسهم في تقديم العلاج ؟

هذا هو ما سأوضحه في هذا الفصل بمشيئة الله .

المبحث الأول : الأسرة :

إن دور الأسرة خطير ، وخطير كبير في الإسهام في علاج هذه المشكلة .

فكثيراً ما تنبع المشكلة من الأسرة والبيت . فلكي نتلافى المشكلة

من أساسها ، أو نعمل على علاجها يجب على الأسرة ما يلي :

أولاً : الإمام بقسط من الثقافة الاسلامية يزيل الجهل الشديد بواجبات الإسلام العامة في الاعتقاد والعبادات والأخلاق . وغير ذلك .

ثانياً : معرفة كل فرد من أفراد الأسرة سواء كان الأب أو الأم أو الأبناء لحقوقه وواجباته . حتى لا يتجاوز حدوده في أخذ حقوقه ولا يقصر في القيام بواجباته . إذ أن التجاوز في الحقوق والتقصير في الواجبات ينشأ عنه غالباً اضطدام ومشكلات قد تعظم وتستفحل .

ثالثاً : تفاهم أعضاء الأسرة وتسامحهم . ففي ذلك تقوية لوشائج الأسرة ورباطها ، وميانة ووقاية لما يعترها من هزات : كتقصير في الحقوق والواجبات ، واختلاف في الآراء والرغبات . فإذا لم يوجد التفاهم والتسامح في ضوء الإسلام ، لن تحجم المشكلة بالعدل بلا تهوين ولا تهوين ، لتأخذ حكمها بالقسط بلا بغض ولا شطط .

وينبغي أن يكون رب الأسرة حكيماً ليستدرك ما عسى
أن يقع من خطر قبل وقوعه ، أو علاجه وتخفيفه .
رابعا : التعامل بالرحمة . فينبغي للاب أن يبتعد عن أساليب
الشدّة والقسوة ووسائل العنف والغلظة في معاملته
، أو عقوبته بل ينبغي أن يكون رحيماً في حزم ، ليناً
في قسوة . ويكون متفهماً لملوك أبنائه ، مراقباً لهم
في غير جاسوسية ، مرشداً لهم في لطف لا ديكتاتورية
وكذلك الأم والأبناء يجب أن تسود الرحمة والمحبة والعطف
والخنان ، والتوقير والاحترام في تعاملهم .

وعلى قدر قيام الأسرة بواجباتها يكون صلاح الأمة فالأمة
هي الموجه الأول للفرد، وعلى هذه التوجيهات يتخرج الأبناء الذين
يُمحون فيما بعد علماء الأمة وحكامها ومسئولياتها .
ألا إنها مسئولية خطيرة ، وواجب جليل .

المبحث الثاني : المسجد :
=====

ان للمسجد مكانة سامية ، ومنزلة عالية في نفس كل معلم حتى ولو ضعف التزامه ، لأنه بيت الله ، وقد كان المسجد من القديم وإلى عهد قريب يقوم بدور عظيم في حياة الأمة ، يبنينا ويوجهها ويربها ، ويدافع عنها ويصونها ، ويقود كتائب النصر ، ويحمل لواء الجهاد ...

لكنه الآن خيف نشاطه ، وانحصرت رسالته .

لذلك ينبغي عمل ما يلي للإسهام في العلاج :

أولا : إطلاق الحرية لنشاطات المسجد ما دامت لا تتعارض مع شرع الله الحنيف .

ثانيا : إعادة الدعاة الواعين ، والعلماء العادقين لتولى مهمة التوجيه والإرشاد ، والتربية والبناء ، وينبغي الإكثار من هذا النوع من الدعاة بحيث يكون الداعية ملماً بقسط كبير من علوم الدين المتنوعة ، حسن الفهم لها ، قادراً على عرضها بأحسن الوسائل والأاليب ، معاشراً للناس عارفاً بمشاكلهم وأحوالهم ...

ولا بد أن توفر له الهيئات المسئولة ما يكفيه عن الاحتياج

للناس .

ثالثا : بث الوعى الصحيح بين الناس فى العقيدة والعبادة والأخلاق
والمعاملات ... عن طريق الخطابة ، والمحاضرات الدورية ،
والندوات واللقاءات ، والإجابة عن الاستفسارات .
كما ينبغى كشف زيف التيارات المنحرفة فى ضوء الإسلام
سواء كانت تيارات تنتصب إلى الإسلام أو علمانية
أو شيوعية

رابعا : تنظيم النشاطات المختلفة فى المسجد ليمبح منارة هادية
للأمة .
مثل : تحفيظ القرآن ، ودروس للمنار ، والنساء ... -

وإحاق عيادات طبية به .
وإنشاء المشروعات الخيرية .
وغسیر ذلك مما یمهم فى خیر المجتمع ، وتوجيه
طاقات أبناء الأمة إلى ما فيه سعادتھا .

المبحث الثالث : الأندية ومراكز الشباب :

من المؤامسات التي تلقى إقبالاً من الناس وبخاصة الشباب

الأندية ومراكز الشباب .

• وفي الحقيقة معظم نشاطاتها لا جدوى منها إلاضياع الوقت

وتبديد الطاقة ، وأحياناً كثيرة نشر الفساد والاحلال الخلق

والانحراف الفكري للتيارات الهدامة المعادية للإسلام .

فهو مكان للعبث واللهو والترف ... فواجب هذه المنتديات:

أولاً : أن تعمل على بث روح التعارف والتأخي في الله بين

الشباب . تلك الروح التي تنشئ التعاون على البر

والتقوى .

ثانياً : العمل على شغل أوقات الشباب بالخدمات العامة ،

والنشاطات الاجتماعية التي تعود بالخير على الحس

أولاً والأمة ثانياً .

ثالثاً : وضع البرامج المتكاملة الهادفة التي تشمل تنمية الخلق

وتقوية الإيمان ، والرياضة المعتدلة لتقوية البدن

وغيره ، والترفيه المباح وهو كثير يغنى ، والندوات

الثقافية والأدبية النافعة ، والمسابقات التنموية

للقدرات ... ، والرحلات المختلفة : علمية ، حج ، عمرة

، صحراوية .

فالشباب هو عماد الأمة ، فإذا ربي على الميوعة والاحلال

صار معول هدم وتدمير وانهارت به الأمة .

وإذا ربي على الإيمان المادق ، والرجولة الحقة ، والخلق

المتين ، والفكر المتقيم ... أرتفعت به الأمة وقويت .

المبحث الرابع : المواعظ التعليمية :

إن للمواعظ التعليمية دوراً فعالاً في العلاج ، وذلك لما تحتله
من مكانة في النفوس .

ولقدرتها على التأثير والتوجيه في نفوس أبناء الأمة ، ولقضاء
المتعلم فترة طويلة فيها مما يجعله يتأثر بما فيها من أفكار ،
ومن زملاء وأصدقاء ..

ويتم العلاج باتباع ما يلي :

أولاً : منع الاختلاط بين الجنسين .
فلقد أثبتت التقارير التربوية فساد سياسة الاختلاط

المنافية لمقررات ديننا الإسلامي الحنيف .

على العقول والأخلاق والدين . . .

ثانياً : اختيار نوعية المدرس بحيث يكون كفاً علمياً وخلقاً واستبعاد
المنحطين .

ثالثاً : إصلاح المناهج وتكاملها .
بحيث تمهم في تقديم وحدة متكاملة متناسقة للطالب فلا

يهدم قيم الدين وحقائقه نظريات فاسدة في علم النفس

كنظريات فرويد مثلاً ، أو في علم الاجتماع كنظريات دروركايم

أو في علم الأحياء كنظرية دارون تلك النظريات المخالفة

لحقائق العلم والدين .

بل ينبغي أن تكون المناهج ماثرة في خط بناء موحد متكامل يربط المرء بربه ودينه ، ويفسر له علاقة الإيمان بالكون والحياة ... لتعميق إيمانه بربه . وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

• كما ينبغي مراعاة البنين والبنات وما يختص به كل منهما وما يشتركان فيه في المناهج .

رابعاً : تعميم الثقافة الإسلامية في مختلف الجامعات .

فكثير من طلبة الجامعات التي ليس لها ملة وثيقة بالعلوم الإسلامية ، يعانون من فقر مدقع في معرفتهم للإسلام ، وفهمهم لحقائقه وعظمته ، وقدرته على تنظيمه كافة جوانب الحياة المختلفة بما ينجم مع الفطرة ، ويحقق سعادة البشرية العاجلة والآجلة .

وهذا الفقر المدقع يؤثر على سلوكهم وفكرهم وخلقهم

ويشكل خطورة على الجيل الذي سيتولون توجيهه . لذلك فمن الضروري ،

أن يدرس لهم إلى جانب علومهم المختلفة ، الثقافة الإسلامية ، لرفع

الجهالة ، والإسهام في إيجاد شخصية ملمة قادرة على مواجهة التحديات

المبحث الخامس : العلماء :
=====

إن العلماء يقع عليهم العبء الأكبر ، والدور الأعظم لعلاج

هذه الظاهرة .

فالداة الأعظم لهذه الظاهرة يكمن في الفكر .

والعلماء فرسان هذا الميدان .

وأعنى بالعلماء : علماء الشريعة وعلماء النفس والاجتماع ،

والسياسة والمذاهب الفكرية .. عموماً .

وأخص علماء الشريعة .

لأن هذه الظاهرة دينية بالدرجة الأولى ، ولها أسباب نفسية

واجتماعية وسياسية وفكرية كما ذكرنا فينبغي أن يكون علاجها كذلك

فكرياً ونفسياً واجتماعياً وسياسياً وأن يكون ذلك كله من منطلق

الإسلام وفي ضوء الإسلام^(١)

فواجب العلماء أن يتعاونوا في تطيل الظاهرة بدقة ، ثم طرح

أفضل الأماليب وأنسبها للعلاج الناجح .

كما ينبغي على العلماء العاطلين المنطلعين للعلاج أن يعايشوا الجماهير

ليتعرفوا بدقة على الاء وا فيمكنهم تقديم العلاج الشافي .

(١) الصحة الاسلامية / ١٢٩ .

• كما ينبغي على العلماء المجاهدين أن يواظبوا جهادهم ، ويحتلوا
مع ذلك بالصبر والتحمل ، والنفس الطويل ، فتقويم الفكر أشد من
النحت في الصخر .

وعليهم أن يزيدوا من نشاطهم ، ويثابروا في تقويم الفكر ، ودحض
الفكر المعوج ...

• وعليهم أن يصدعوا بالحق ولا يخافوا عدو الله لومة لائم .

البحث السادس : أولوالأمر :

عرفنا فيما سبق أن بعض أسباب الغلو ترجع الى رعاة الدولة ، ولكي

يعالج الغلو ينبغي ازالة اسبابه .

فأول واجب على هذه الطائفة هو :

* العودة الى شريعة الله بشمولها ، وتطبيقها بكمالها في كافة المجالات

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية . .

استجابة لنداء الله تعالى في قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢)

ولئلا يصيبهم وعيد من قال الله فيهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

ولئلا يقيموا على أنفسهم تهمة الجاهلية والكفر . .

قال تعالى :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤)

(٢) البقرة / ٢٠٨ .

(٣) البقرة / ٨٥ .

(٤) العائدة / ٥٠ .

مَنْ لَزَّ بِحُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾

وَمَنْ لَزَّ بِحُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾

وَمَنْ لَزَّ بِحُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

ثانيا : عليها أن تكف عن انزال المعن بالآخرين بغير حـق وأن ترفع
أى ظلم واقع على الرعية ، لان فى ذلك تهديئة للنفوس ، وجبرا على
الاحترام .

ثالثا : وعليها قبل وبعد ذلك أن ترسى العدل فى احكامها وكافة
قوانينها .

فان ذلك كفيـل بعلاج هذه الظاهرة علاجا فعالا .

ولقد حفظنا التاريخ حقائق تدل على جدوى ما قلناه فقد
كف الخوارج فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز عن الخروج عليه ،
لعدله وحسن سيرته ، فقد ألغى رحمه الله قرارات الظلم ، ومظاهر
البدخ والإسراف التى أنتشرت قبل توليه الخلافة .. وأرسى
قواعد العدل ، واهتم بالرعية وعمل بمدق وإخلاص على سدحاتهم .

(٥) المائدة / ٤٤ .

المائدة / ٤٥ .

المائدة / ٤٧ .

يقول ابن الجوزى :

" فلما بلغت الخوارج سيرة عمر . وما رد من المظالم اجتمعوا
وقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل " .^(٦)

لقد كف الخوارج عن عمر لحسن سيرته وعدله واهتمامه برعيته

يقول ابن الجوزى :

" كتبت الحجة إلى عمر بن عبدالعزيز يأمر للبيت بكسوة كما

كان يفعل من كان قبله .

فكتب إليهم :

إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائمة فإنه أولى بذلك من البيت " .^(٧)

هكذا تكون الحياة الرشيدة ، التى تحتشعر المسئولية أمام

الله تعالى عن الرعيّة .

وتلك ثمرتها : كف عن الخروج ، وسكوت واحترام .

(٦) سيرة و مناقب عمر بن عبدالعزيز / ٦٧ .

(٧) المصدر السابق / ٩٤ .

المبحث السابع : الإعلام :

من الجهات التي يقع عليها عبء ثقيل ، ودور فعال في العلاج :

الإعلام بمختلف وسائله المسموعة والمقروءة والمرئية .

ووسائل الإعلام قادرة على الإسهام بنصيب كبير في العلاج

فهي تملك من الأساليب الموهبة على العقول والنفوس الشيء الكثير

فواجبها يتحدد فيما يلي :

أولا : الكف عن بث الرذيلة ، ونشر الفساد ، من عرى وسفور ،

ودعوة للجنس والتطل من الاخلاق ، والترويج لافكار هدامه

من علمانية وشيوعية .. ووجودية .. وغيرها كثير .

ثانيا : بث الفضيلة وتشجيعها وبيان آثارها النافمة على الفرد

والمجتمع في الدنيا والاخرة .

ثالثا : تنظيم البرامج بحيث تشمل كافة جوانب الحياة السياسية

واقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية والثقافية ،

والترفيهية .

كما تشمل البرامج احتياجات كافة المراحل والأجاس من الشباب
والشيوخ ، والنساء والرجال والأطفال وكافة المستويات الثقافية .
من الطلبة ، والعمال ، والفلاحين ..
كل ذلك من خلال منظور إسلامي ..
ولأصحاب الحكم اليد الطولى في توجيه الإعلام إلى الخير
أو الشر على قدر صلاح المسؤولين يكون انعكاس ذلك على
حياة الأمة .

* مما سبق ندرك أن كل هيئة أو مؤسسة أو فئة لها إسهام
إيجابي بناء في العلاج عليها مهتان أساسيتان يتم النجاح
بتحقيقهما :

الأولى : إزالة ما عندها من سلبيات . ليكونوا مقبولين ، وقادرين
على العلاج ففاقد الشيء لا يعطيه .

قاله يقول :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٨)

الثانية : تقديم ما عندها من قدرات وإيجابيات ، كل حسب استطاعته
ومجآله .

❖ وفي النهاية أشير إلى أمر هام ألا وهو :

ضرورة تعاون المسؤولين عن العلاج ، فإذا لم يتم هذا التعاون بصورة جيدة ، فلن يكمل العلاج المنشود ، بل سيظل ناقصاً وسيأخر عن مواعده المرجو،

متى يبلغ البنيان يوماً تامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فليتق الله كل مسئول وكل جهة عليها تبعة ونصيب فسى

العلاج .

وليؤد كل واجبه على الوجه الذى أراه الله . ليتم حل

المشكلة بأقل جهد ، وفى أقصر وقت .

وإذا تنازل بعض المسؤولين وقصر وأهمل ، فلا ينبغي للقائمين

بالعلاج أن ييأسوا ويقنطوا ، بل عليهم مواصلة عملهم ، والمضاعفة

من جهدهم ، وتحمل المشقات والمبر على العقبات حتى يقضى الله أمراً

كان مفعولاً. فإن شاهدوا الثمرة فيها ونعمت .

وإن لم يشاهدوها فقد قاموا بواجبهم ولهم على ذلك الأجر

فالله لم يكلفهم بالثمرة والنتائج ، إنما كلفهم بالعمل ، فعليهم

أن يحسنوه .

المبحث الثامن : صفات من يتمدى للعلاج :

هناك جملة من الصفات ينبغي أن يتحلى بها من أراد المشاركة

فى علاج ظاهرة الغلو فى العصر الحديث .

ويقدر الالتزام بها يكون النجاح أو الإخفاق ويكون توفيق

الله أو عدمه .

وهذه الصفات هى :

١ - الإخلاص :

فالإخلاص روح الأعمال ، وسر قبولها ، وه يكون عون الله وتوفيقه

ويكتب الله لماجه القبول ، ويفتح له القلوب . والمتمدى للعلاج

فى حاجة إلى هذا كله ، فينبغى أن يتحلى بإخلاص ، وأن يجاهد

نفسه ويهذبها وينقيها من كل شائبة تخالط عمله .

قال تعالى :

(٩)

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

وقديماً قالوا : إذا خرج الكلام من اللسان لم يتجاوز الأذان وإذا

خرج من القلب دخل القلب بلا استئذان .

" وقد جرت عادة الله التي لا تبدل ، وسنته التي لا تتحول
أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق ، واقبال
قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيتته ومعاملته لربه ،
ويلبس المرائي اللابس ثوبى الزور من المقت والمهانة والبنفظة
ما هو اللائق به .

فالمظهر له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبنفظة " (١٢)

٢ - الصبر وسعة الصدر:

ان علاج الأمراض الفكرية يحتاج إلى جهد كبير ،
" فتغيير الفكر أصعب من النحت في الصخر " فلا يتمور ن داعية أنه
بطلة أو جستن ، أو مقالة أو مقالاتين يستطيع أن يبدل الأفكار
ويمح التصورات ، ويرد الغلاة إلى سواء الصراط .
ولانقول هذا تيثيماً ، إنما نقرر حقيقة ، ونوضح الطريق لمن
أراد المشاركة في العلاج حتى لا يمدام ، ولكي يهين نفسه قبل
سلوك الطريق .

(١٠) اعلام الموقعين / ٤ / ٢٠٠٠ .

• والمبر ضرورى كذلك لأن الغلاة تصدور منهم استنباطات غريبة ، وآراء عجيبة ، يحتا من ساعها المرء ويخشى من خطورة عواقبها ، فإذا لم يتمالك نفسه ، ويوسع صدره ، فاعت جدوى العلاج .
فعلية أن يلزم المبر ، ويغند الآراء بالحجج الدامغة
فى هدوء لا انفعال معه ... ولا حدة .

• والمبر ضرورى كذلك لأن الغلاة قد تمتد ألفتهم .. بالمسوء إلى من يعالجهم فينبغى المبر على ذلك فلا يقابل الإساءة بمثلها ، لأنه جاء للعلاج لا الهجاء .

قال تعالى : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿١١١﴾

يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٢٢﴾

وهنيئاً للمابرين لشوابهم الجزيل .

إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١٣﴾

(١١) فصلت / ٣٤ : ٣٥ .

(١٢) لقمان / ١٧ .

(١٣) الزمر / ١٠ .

٣ - الطم والأناة والرفق :

إن الغلاة جزء من مجتمعنا ، فهم إخواننا وأبنائنا ، وقد
وقعوا ضحايا لهذه الأفكار تحت تأثير ظروف قاسية ...
وإن أكثرهم فيهم خير ، مخلصون ، تريبون إلى طريق الاعتدال ،
إذا وجدوا الموجه العاقد ، والمصدر الواسع ، والقلب المعطوف ،
والداعية الحكيم .. وكل هذا يستلزم من المعالج الطم ، والرفق
في علاجه ، فلا يعنف ما وجد للرفق سبيلاً .

فبالرفق يلين لك الحديد .

• والرفق لازم كذلك لأنه قد تصدر عبارات غليظة من الغلاة
فليعالجوا برفق .

فمقام الدعوة والملاج غير مقام الحرب والقضاء .

قال تعالى :

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ ﴿١٤﴾

وبالرفق تنقاد لك القلوب ، وتجتمع . .

قال الله تبارك وتعالى : **فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ**

اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥﴾

وقال من الله عليه وسلم :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفِيقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ، (١٦)

« إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » . (١٧)

« مَنْ يُحْرَمِ الرَّفِيقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » . (١٨)

والمأمل في دعوة الرسول الأكرم ﷺ سيري

الحكمة الفاشقة ، في معالجه ﷺ للمشكلات ،

وتقويمه للأخطاء بكل رفق ورحمة .

وعلى هذا المنهج النبوي درج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم

والمطلعون من بعدهم .

(١٥) آل عمران / ١٥٩ .

(١٦) (خ / ١٠ / ٤٤٩ - ٦٠٢٤) (م / ٤ / ١٧٠٦ - ٢١٦٥) .

(١٧) (م / ٤ / ٢٠٠٤ - ٢٥٩٤) .

(١٨) (م / ٤ / ٢٠٠٣ - ٢٥٩٢) .

٤ - التعامل بروح الأبوة والأخوة :

إن هذه الظاهرة تنتشر بين الشباب خاصة ، والشباب يتميز
بالحماسة والدفاع .

لذلك ينبغي لمن تصدى للعلاج أن يتحلّى بشفقة الوالد وحنانه ،
وأن يعاملهم بروح الأخوة والتعاون ،

• فهذا عمرو بن العاص لما رأى في ابنه عبدالله نزعة شديدة
للعبادة لم يعالجه بالعنف والنكير الشديد...

بل عامله بروح الأبوة المشفقة الحانية ، فسمى لرسول الله
ﷺ ، وعرض عليه الأمر والتمس منه العلاج .

• وهذا سلمان رضي الله عنه يكفكف من شدة أبي الدرداء في العبادة
بحكمة عالية ، حاضره على ذلك معاملته إياه بروح الأخوة العاقبة
العافية .

• فعملى من يتصدى للعلاج أن يكون رقيقاً في معاملته ، لطيفاً في
كلامه فلا يسخر ولا يتهم ولا يسفه بل يوضح الحق ، ويكشف الخطأ
يالتى هو أحسن . فلا يهجم هجوم العدو ولا يطعن طعنات المبغض ، بل
يسعى معي الوالد لإيقان ابنه من الفرق .

٥ - المعاشة للأحداث :

إن ظاهرة الغلول لها أسباب نتجت عنها ، ومنطلقا انطلقت منها ، فإذا لم يدرك المعالج هذه الأمور فلن يتمكن من تشخيص الداء ، ولن يفلح في إعطاء الدواء الشافي .

فلا بد من معاشة الأحداث الجارية ، ومن النزول إلى الميدان والاحتكاك بالشباب ، ومعرفة آمالهم وآلامهم ، ومدقهم وإخلاصهم .
لابد من معاشتهم لإدراك معاضهم فينميها ، ومساوئهم فيملحها ويوقومها .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا العباة إلا من يعانيتها

فلا يكفي التعرف على المشكلة من الصحف والمجلات أو سماعها من فلان وفلان ، أو مراقبتها من بعد . بل لابد من المعاشة والاحتكاك والعمل الميداني .

٦ - اقرار الحق :

من توصيات القرآن وتوجيهاته إقرار الحق ، والشهادة بالعدل

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن
تَلَوُا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٩)

فينبغي لمن تصدى للعلاج أن يكون عادلاً فيما يقرره ويحكم به .

فهو ٤٧٤ الشباب عندهم قدر من الحق ينبغي إقراره والاعتراف

به وعدم هفمه لأخطاء فعلوها .

فالأخطاء السياسية والاجتماعية والاخلاقية التي وقعت . كل ذلك له أثره

الكبير في إنشاء الظاهرة ، ينبغي إقرار هذا .

ولا يجوز أن نلقى باللوم كله على أصحاب هذه الظاهرة بسبب

يلائم كل مسئول عن هذه الظاهرة بقدر علاقته بها .

وليحذر من يتمدى للعلاج أن يخرج الغضب من تصرفات بعض الغلاة

عن العدل . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَنَّا أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

ويوم أن يميل المعالج مع المائلين ، ويخوض مع الخاضعين ، ويتأثر

بسلطان الترغيب والترهيب ، يومها لن يمتنع لقوله .

(١٩) النساء / ١٣٥ .

(٢٠) المائدة / ٨ .

٧ - الثقة :

إذا لم تتوافر الثقة في المتصدى للعلاج فلن يمتحن إليه
أحد، ولن يجدى كلامه ، وسيذهب أدراج الرياح .
فينبغي أن يكون المعالج جامعاً للأُمور التي تستدعي الثقة
فيه ومن أهمها :

- * أن يكون ملتزماً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .
- مقتضياً آثار السلف العالج رضوان الله عليهم .
- * أن يكون سليم العقيدة ، نقياً من البدع والخرافات ...
- * أن يكون قوى الخلق ، لا تقمده رهبة ، ولا تغريه رغبة .
- * أن يكون قدوة حسنة في بيته وعمله وجميع شئونه وأحواله ،
عاملاً بما يدعوا إليه .
- * أن يكون عالماً حسن الفهم ورعاً تقياً .

إنه باستجماع دواعي الثقة ينشأ عند أصحاب الظاهرة الاطمئنان
إلى ما يقوله ويدعوا إليه ، وبذلك يوعى العلاج ثماره بفضل الله
وتوفيقه .

الفصل الثاني

وسائل العلاج

وسائل العلاج

بعد تحديد المسئولين عن العلاج ، والقادرين على الإسهام الإيجابي البناء في علاج هذه الظاهرة ، ومعرفة دور كل منهم .
نأتي الآن لنذكر وسائل العلاج الناجحة ، وطرائقه المفيدة الناجحة سترشدنا في ذلك بمنهج الصحابة الكرام ، ومن تبعهم بإحسان .

ومع ذلك تتعرض لبعض الطرق غير السديدة في تحقيق نتائج جديدة .

وذلك لكي نتجنبها في طريقنا للعلاج أو نكف عنها إذا مارسناها .

المبحث الأول

من الأساليب الفاجحة في علاج هذه الظاهرة :

١ - أسلوب الحوار الحر البناء .

٢ - إزالة الشكاية .

وسوف أتحدث في هذا البحث عن هذين الأسلوبين مع ذكر

بعض الأمثلة التاريخية المؤكدة لجدوى هذه الأساليب .

أولا : أسلوب الحوار الحر البناء :

إن الأسباب الفكرية لها النصيب الكبير في هذه الظاهرة والفكر لا يقوم بالعصا والقمع . بل يقوم بالفكر . فالشبهة لا يدحضها إلا الحجة .

وتصبير المرء عن رأيه وفكره من حقوقه فأعطاؤه هذا الحق يهيئ نفسه لقبول رأى الآخرين وبالمناقشة الحرة البناءة يظهر الحق ويثبت ويختفى الباطل ويدبر .

ويظهر موضع الخلل فيمكن علاجه على بصيرة . ولقد أدرك السلف الصالح جدوى الحوار الحر في علاج الغلاة فسلكوه . ولقد سجل التاريخ نماذج من هذا الحوار إليك بعضها .

نماذج من مواقف السلف :

١- لما نشق الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تطوع ابن عباس رضي الله عنهما لمناقشتهم و معاورتهم عسى أن يثوبوا إلى رشدهم .

ولندع المجال لابن عباس رضي الله عنهما ليقص علينا ما حدث .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

" لما اجتمعتا الحرورية يخرجون علي علي قال جعل يأتيه الرجل

فيقول : يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك .

قال : دعوهم حتى يخرجوا .

فلما كان ذات يوم قلت : يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تقني حتى آتي القوم .

قال : فدخل عليهم وهم قائلون فإذا هم سبعة وجوههم من السهر ،

وقد أثار السجود في جباههم كأن أيديهم سفن الإبل ، عليهم قمص

مرحضة .

فقالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟

وما هذه الحلة عليك ؟

قال : قلت : ماتعيون مني ؟ فظننت رأيت رسول الله ﷺ أحسن

ما يكون من ثياب الجنة قال : ثم قرأت هذه الآية :

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ (١)

فقالوا : ما جاء بك ؟

فقال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ

وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم

نزل القرآن وهم أعلم بتأويله جئت لأبلغكم عنهم ، وأبلغهم عنكم .

قال بعضهم : لا تخصموا قريشاً فإن الله يقول :

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٢)

فقال بعضهم : بلى ، فلنكلمنه .

قال : فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة .

قال : قلت : ماذا نقيمت عليه ؟

قالوا : ثلاثاً .

فقلت : ما هن ؟

قالوا : حكم الرجال في أمر الله ، وقال الله :

إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ (٣)

قال : قلت : هذه واحدة ، وماذا أيضاً ؟

(١) الأعراف / ٣٢ .

(٢) الزخرف / ٥٨ .

(٣) يوسف / ٤٠ .

قالوا : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغتصب .

فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حل

قتالهم وسببهم .

قال : قلت : وماذا أيضاً ؟

قالوا : و هما نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو

أمير الكافرين .

قال : قلت : أرايتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقص قولكم

هذا أترجعون ؟

قالوا : وما لنا لا نرجع ؟

قال : قلت : أما حكم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ
مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ (٤)

وقال في المرأة وزوجها : وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَّامًا مِّنْ أَهْلِهِمْ

وَحَكَّامًا مِّنْ أَهْلِهَا (٥)

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال .

فنشدتكم الله . أتعلهون حكم الرجال في دماء المسلمين

(٤) الطائفة / ٩٥ .

(٥) النساء / ٣٥ .

وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب شنه ربع درهم ، وفي
بضع امرأة ؟

قالوا : بلى . هذا أفضل .

قال : أخرجت من هذه ؟

قالوا : نعم .

قال : فأما قولكم : قاتل ، فلم يسب ولم يغم ،

أفسبون أمكم عائشة ؟

فإن قلت نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ،

وإن قلت ليست بأمتنا فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضاللتين .

أخرجت من هذه ؟

قالوا : بلى .

قال : وأما قولكم : ما نفسه من إمرأة المؤمنين ،

فأنا آتيكم بمن ترضون :

إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أباسفیان وسهيل بن عمرو

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اكتب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال أبوسفیان وسهيل بن عمرو : ما نعلم أنك رسول الله .

ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم تعلم أني رسولك .

امح يا علي واكتب : هذا ما اطلق عليه محمد بن عبد الله

وأبوسفيان وسهيل بن عمرو .

قال : فرجع منهم ألفان ، وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعين . (٦)

تعليق :

إن علياً وابن عباس رضي الله عنهم آثروا سبيل الحوار على القتال ،

، ولقد كان ابن عباس رضي الله عنهما في حوارهم نموذجاً يحتذى ، فلقد

كان قوى الحجة ، ساطع البرهان ، فهدى الله على يديه ألفان .

• فلقد بدأ حوارهم بتنبيه الخوارج إلى أمرهم وهو صحبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وهي شرف لم ينله أحد منهم ، وهذه الصحبة

قد مكنتهم من حسن فهم كتاب الله وسنة رسوله وحسن التطبيق ، وهو

ما يفتقدونه .

نبيهم إلى ذلك بعبارة لطيفة خالية من التجريح والتعبير

* وبين سبب مجيئه ، فهو لم يأت لسبب القوم ، والهجوم عليهم ،

، والتشنيع بهم ، أو لفرض رأيه عليهم ، إنما هو رسول خير ، جاء

ليسمع شكواهم ويبلغها علياً رضي الله عنه وأصحابه ، وليبلغ القوم

حقيقة موقف علي رضي الله عنه وما غاب عنهم في حوار هادي حر .

ولقد أعطى ابن عباس رضي الله عنهما الفرصة الكاملة للخوارج

ليعبروا عن رأيهم ويدلوا بحججهم في جو آمن حر .

ثم كر على حججهم ففندها فهدى الله به الكثير .

- ومن الجدير بالذكر أن نبيه الذي أمرين مهين كان لهما أثر فعال في

جدوى الحوار ونجاحه .

أ (التزام ابن عباس بالجدال والتي هي أحسن كما أمر القرآن .

فبالرغم من تهافت حجج القوم وضعفها ، فإن ابن عباس لم يسفه

رأيهم ، ويسخر من عقولهم . . . بل آثر العبارة الطيبة ، ودحض

الشبهة بالحجة .

ب (تحلى ابن عباس بالصبر وسعة الصدر وضبط النفس فهو قد نذر

نفسه لخدمة هذا الدين ، وإنقاذ الشاردين وهي مهمة

صعبة كان ابن عباس على ستواها .

فقد حاول بعض الخوارج أن يطعن في ابن عباس من

خلال شبابه ليهيج القوم الزهاد ، فيفسد بذلك ما جاء لأجله

ابن عباس .

لكن ابن عباس استدرك الأمر بسرعة فعاجلهم بحجة قوية هي

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا مجال للتأويل فيه ، ثم

ثنى بآية قرآنية أسكتت القوم .

وبعد ذلك يقليل حاول بعض الشاغبين أن يصد عن الحوار

باستفزاز ابن عباس عندما رماه بقول الله تعالى :

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٧)

فصالك ابن عباس نفسه ولستم

يجهل عليهم كما جهلوا عليه ، بل صبر ، ومضى لهفته فهو طبيب ،

جاء للعلاج لا العقاب والشجار .

نموذج آخر : مناظرة عمر بن عبدالعزيز للخوارج

خرجت جماعة من الخوارج أيام عمر بن عبدالعزيز رضي الله

عنه فأمر بالكف عنهم ودعاهم إلى حوار علمي حر في جو آمن

يتبع فيه المخطئ المصيب ، فكان ما دار أن :

قالت الخوارج : خالفت أهل بيتك ، وسميتهم الظلمة ، فإما أن

يكونوا على الحق ، أو يكونوا على الباطل ، فإن زعمت أنك على الحق

وهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم ، فإن فعلت فنحن منك ،

وأنت منا ، وإن لم تفعل فليسنا منك ولست منا .

فقال عمر : إني قد علمت أنكم لن تتركوا الأهل والعشائر وتمرضتم

القتل والقتال إلا وأنتم ترون أنكم مصيبون ولكنكم أخطأتم

وظلتم وتركتم الحق .

أخبروني عن الدين : أواحد أو اثنان ؟

قالوا : لا ، بل واحد .

قال : فليسعكم في دينكم شسى* يعجز عني ؟

قالوا لا

قال : أخبروني عن أبي بكر وعمر . ما حالهما عندكم ؟

قالوا : أفضل أسلافنا أبو بكر وعمر .

قال : أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ لما توفى ارتدت

العرب ، فقاتلهم أبو بكر ، فقتل الرجال . وسبى الذرية

والنساء ؟

قالوا : بلى .

قال عمر بن عبد العزيز : فلما توفى أبو بكر قام عمر رد النساء

والذراري إلى عشائهم ؟

قالوا : بلى .

قال عمر : فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافه إياه ؟

قالوا : لا .

قال : فتولونهما على اختلاف سيرتهما ؟

قالوا : نعم .

قال عمر : فما تقولون في بلال بن مرداس ؟

قالوا : من خير أسلافنا بلال بن مرداس .

قال : أفلستم قد علمتم أنه لم يزل كافاً عن الدماء والأموال وقد لطمخ

أصحابه أيديهم في الدماء والأموال ؟ فهل تبراأت إحدى
الطائفتين من الأخرى أو لعنت إحداهما الأخرى ؟

قالوا : لا .

قال : فتولونهما جميعاً على اختلاف سيرتهما ؟

قالوا : نعم .

قال عمر : فأخبروني عن عبد الله بن وهب الراسبي حين خرج من
البصرة هو وأصحابه يريدون أصحابكم بالكوفة ، فعروا بعبد الله
أمن خياب فقتلوه ، وبقروا بطن جاريتة ، ثم عدوا على
قوم من بني قطيعة فقتلوا الرجال ، وأخذوا الأموال ، وغلبوا
الأطفال في المراحل ، وتأولوا قول الله :

إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا (٨)

ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة وهم كانوا عن
الفروج والدماء والأموال .

فهل تبراأت إحدى الطائفتين من الأخرى أو لعنت إحداهما
الأخرى ؟

قالوا : لا .

قال عمر : فتقولونهما على اختلاف سيرتهما ؟

قالوا : نعم .

قال عمر : فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والأحكام لم يتبرأ

بعضهم من بعض على اختلاف سيرتهم ووسعهم ووسعكم

ذلك ، ولا يسمني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام

والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم .

أخبروني عن اللعن . أفرض على العباد ؟

قالوا : نعم .

قال عمر لأحدهم : متى عهدك بلعن فرعون ؟

قال : مالي بذلك عهد منذ زمان .

فقال عمر : هذا رأس من رؤس الكفر ليس لك عهد بلعنه منذ زمان ،

وأنا لا يسمني ألعن من خالفهم من أهل بيتي ومنهم

المحسن والمسيء ، والمخطئ والمصيب .

فرجعت طائفة منهم و نزعوا عن رأيهم وأجابوا عمر .

وقالت طائفة أخرى : لسنا نجسبك حتى تكفر أهل بيتك وتلعنهم وتتبرأ

منهم . (٩)

(٩) جامع بيان العلم وفضله / ٢ / ١٠٥ : ١٠٦ .

تعليق :

إن الخوارج لما عزموا على الانتقال من حيز الفكر إلى حيز السلوك ،
وظهرت نواياهم لاستخدام العنف والإرهاب والقتل . . . استدرك أمير
المؤمنين عمر بن عبد العزيز هذه الفتنة ، وعالجها بالحكمة .

* فأمر الولاة بالكف عنهم ، وعدم مواجهتهم بالعنف .

* دعا هذه الفئة إلى حوار علي يتبادلون فيه الآراء .

* استخدم عمر في حوار الحجاج التي يقرون بصحتها ، فحاججهم

بسلوك من يعترفون به كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وبلال بن

مرداس ، وعبد الله بن وهب الراسبي .

فأبرز خطأهم بشهادتهم على أنفسهم ، فرجع منهم الباحث عن

الحق إلى الرشد ، وبقي المتعصبون على رأيهم .

* كان عمر رضي الله عنه بعيداً عن استعمال الألفاظ الشديدة في حق

من سفكوا الدماء البريئة ، وهتكوا الأعراض المصانة . . . فقد

أفضوا إلى ما قدموا وحسابهم على الله . استعمل هذا الأسلوب حتى

لا يعطي فرصة للنفس الأمارة بالسوء أن تعاند ، فعمر رضي الله

عنه حريص على أن يردهم إلى طريق الاعتدال والاستقامة ، وحظيرة

الجماعة .

* استولى على عقول ونفوس الخوارج عبارات اللعن والتكفير

والبراءة وطلبوا من عمر أن يقربها في حق أهل بيته ، وإلا فلا التقاء

بينهما ، فلم يجزع ويفزع عمر رضي الله عنه لهذا الطلب الصعب

الخاطيء بل صبر و ضبط نفسه و حوار القوم بالحجج الدامغة فهو طبيب

يسفي العلاج ، وليس جزاراً يريد سفك الدماء .

نموذج من مواقف علماء العصر الحديث ؟

لم ينفرد علماء العصر القديم بمعالجة الغلو بالحوار الحر وحدهم ، بل كانوا شاعروا نوراً أيضاً ، والطريق للعلماء بعدهم الذين اقتفوا آثارهم ، وساروا على دربهم .

فلقد سجل التاريخ الحديث مواقف عديدة تجلت فيها جدوى الحوار الهادى ، الحر فى علاج ظاهرة الغلو .

ونكتفى هنا بالإشارة إلى واقعة كان لها الأثر الفعال فى التصدى للغلو ، ورد الغلاة إلى سبيل الاعتدال ، ومنهج أهل السنة والجماعة . بعد عام ١٩٦٥ م ظهرت فى سجون مصر فتنة عاصفة من أكبر مظاهرها الغلو فى التكفير ، وقد كانت الظروف التى يعيشها السجناء تهيئ لهذا الفكر النمو والانتشار وانجرف فى تيار هذه الفتنة الكثير .

غير أن بعض العلماء عصمهم الله من هذه الفتنة فأخذوا يحاورون أصحاب هذا الفكر الغالى ، ويزيلون شبهاتهم ، وأصدر هؤلاء العلماء أبحاثاً فى العقيدة ترد على دعاوى أصحاب هذه الفتنة .

وقد كان لهذه الأبحاث التى أشرف على وضعها الأستاذ حسن الهضيبي أثر طيب فى صد هذه الفتنة ، وإيقاف انتشارها . ولقد أدى صدور هذه الأبحاث إلى عدول الكثير عن هذا الفكر الغالى ، واطمأنت النفوس ، وهدأت الخواطر بفضل الله وتوفيقه . (١٠)

(١٠) انظر مقدمة كتاب : دعاة لا قضاة .

وكتاب : الحكم وقضية تكفير المسلم / ٢٧٢ : ٢٧٣ .

وكتاب : ظاهرة الغلو فى التكفير / ٨ : ١٠ .

ثانياً : إزالة الشكايه :

ذكر العلماء أن من الخطوات الضرورية اتخاذها لعلاج الغلاة قبل مقاومتهم ، واستخدام أساليب الشدة معهم ، واستعمال القوة ضدهم .

أن يرأسلوا ، ويتعرف على شكواهم ، ويسمع إليها ، ويعمل على إزالتها إذا كانت صحيحة .

فإذا كان خطأهم لشبهات عرضت لهم ، فينبغي تنفيذ هذه الشبهات بالحجة والبرهان .

ويخلى بين العلماء الصادقين الثقات وبين الغلاة ل مناقشتهم ، ودحض شبهاتهم .

وإذا كانوا يشكون من انحراف خطير وقع ، كإبعاد شريعة الله بشمولها وكمالها عن الحكم في حياة الناس . . . فينبغي إصلاح هذا الانحراف بالعودة إلى شريعة الله وتحكيمها بشمولها وكمالها لأن ترك ذلك يهين الجوليلاد التطرف ، ويعطي الشباب سهام التكفير فيرمون بها التسبب في ذلك .

وإذا كانوا يشكون من فساد الإعلام الذي يهت الرذيلة . . ويهزأ من الفضيلة . . . الخ فينبغي إصلاح هذا الانحراف .

وكذلك مناهج التعليم التي تسمح للإلحاد أن يتججح ويفرز أفكار أبناء الأمة المسلمة وللعلمانية أن تستعلن بفجورها وتخسرق

عقول وقلوب الناس وتفسد عليهم حياتهم ، وتصرفهم عن دينهم .
وكذلك الشوارع والأسواق . . . التي تنتشر فيها المجاهرة
بالفسق ، والدعوة للفتنة ، والإغراء بالزندلية . . .

كل ذلك ينبغي أن يقوم ويعدل ، ويسير وفق منهج الله
وشريعته السمعة التي أنزلها نورا وهدى للناس .

وكذلك اذا كانوا يشكون من ظلم لحق بهم ، ووقع عليهم :
فينبغي رفع هذا الظلم فوراً ، وارساء قواعد العدل عاجلاً
لا يصاد باب العنف واغلاقه باحكام .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" قال الفقهاء في البغاة : ان الحاكم يراسلهم ،

فان ذكروا شبهة بينها .

وان ذكروا مظلمة أزالها .

كما أرسل علي ابن عباس إلى الخوارج فناظرهم حتى رجع منهم
أربعة آلاف .

وكما طلب عمر بن عبدالعزيز دعاة القدرية والخوارج فناظرهم حتى

ظهر لهم الحق ، وأقروا به . ثم بعد موته نقص غيلان القدرى

التوبة فصلب " . (١١) .

خلاصة الأمر : ان من الوسائل المجدية في العلاج إزالة شكاية الغلابة

، فإن كانت شبهة دحضت وإن كان انحرافا ساد قوم وأصلح . وإن كان

ظلما وقع عليهم . . . رفع عنهم .

البحث الثاني

أساليب غير ناجحة .

بعد الحديث عن أساليب العلاج الجدية في ضوء الإسلام أحسب أن أشير إشارة سريعة إلى الأساليب غير الصالحة ، والتي مورست فلم تشر .
وأهم هذه الأساليب :

(١) الشدة والعنف :

وذلك بإغلاظ القول للغلاة .

وقد يتجاوز الأمر حدود القول إلى الإيذاء الفعلي والتمييز فسي المعاملة بحرمانهم ما يعطى للآخرين من أقرانهم ومن دونهم .
وقد أثبتت الوقائع أن هذا الأسلوب لا يصلح في العلاج بل يزيد الغلوت أجماً .

فالغلو مرض يحتاج إلى العلاج بالرفق والحكمة لا العنف والشدة .

. فهذا رسول الله ﷺ يعالج نزعة الغلو عند الثلاثة الرهط

فكيف عالجهم ؟

إنه لم يعنفهم ولم يجرحهم ولم يفضحهم على ملأ بل استدعاهم سراً ، وأوقفهم على أخطائهم ، ووضع لهم السبيل بكل رفق ولين ، وشفقة ورحمة . فبرأ الداء ، ونجح العلاج .

. ولقد تعلم الصحابة الكرام من رسول الهدى ﷺ الأسلوب
الأمثل في مواجهة هذه المشكلات . فهذا عمرو بن العاص رضي
الله عنه يلحظ على ابنه نزعة غالية في العبادة ، فحاوره
بالحسنى ، فلما لم يستطع إقناعه لم يمنعه ويغلظ له القول . .
بل سمى في علاج ابنه الحبيب ، فذهب إلى الرسول
الأكرم ﷺ وعرض عليه الأمر . فاستدعى الرسول ﷺ
عبدالله ، وحاوره بكل رفق وحكمة ، فرجع عبدالله عن سبيل
الغلاة ، وسلك سبيل الاعتدال .
. وفي نهاية هذه الفقرة أحب أن أقول :

إن الشدة لاتصلح في علاج مثل هذه القضايا فرض الغلو
يكن دأبه الأعظم في الفكر .
والفكر لا يقوم إلا بالفكر .
والشبهة لاتزيلها إلا الحجة .
أما العنف فلا مجال له في معالجة قضايا الفكر .

(٢) السخرية :

من الأساليب التي استخدمت لعلاج الغلو أسلوب السخرية والاستهزاء ،
والتهمك وتسفيه الآراء ، وهذا لون من ألوان الحرب النفسية .
فانطلقت الألسنة والأقلام والأجهزة لتسخر من الغلاة ، فتهمزوا
بمناظرهم ، وتسفه فكرهم ، وتتهمك من سلوكهم ، وتتفك بأخبارهم .

. وقد أخفق هذا الأسلوب في العلاج ، ولا يمكن أن ينجح

لما يلي :

١ - إن المرء غالباً يحترم من يحترم فكره أو يقومه بلطف

لا تجريح فيه . وينفر من يسخر منه ، و يصرم آذانه

عنه ، سواء قال حقاً أو باطلاً .

٢ - إن النقد الساخر يولد العناد ، وهو حاجز غليظ يحول

بين المرء وعلاجه .

ولمخاطر السخرية نهى الله عباده عنها .

فقال تعالى :

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ اَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ اَنْ يَّكُوْنَ خَيْرًا مِّنْهُنَّ (١٢)



الفصل الثالث

واجب المصابين



الفصل الثالث

واجب المصابين

• بعد أن عرفنا المسئولين عن العلاج وواجب كل منهم ، والدواء الشافي الفاجع ، والأسلوب الناجح ،

أقول : إن هناك واجباتٍ على من أصيبوا بداء الغلو ، ينبغي أن يقوموا بها ، لأنهم مسئولون عن جزء من المشكلة ، لذلك فإن عليهم دوراً في العلاج .

• وهذه الواجبات كفيلة بشيئة الله أن تقى وتحى السائرين فسي طريق الدعوة من الأنزلاق في الغلو .
وهي أيضا تنقذ من غرق ، وتأخذ بيد من سقط لينهض من عثرته .
والله الهادي والموفق إلى سوا السبيل .

أولا : دراسة أخلاق وسير العلماء :

أدعو إخواني إلى دراسة أخلاق وسير العلماء ، العلماء المستقيمين على منهج الله . العاملين به ، علماء السلف الصالح ، ومن اقتفى أثرهم ، واتبع نهجهم .

نريد دراسة سيرتهم دراسة إمعان وتحليل .

وبدراسة سيرتهم سيمكننا الاطلاع على منهجهم في طلب العلم ، وكيفية تطبيقه ، وكيف كانت أخلاقهم ومعاملتهم لغيرهم
وبذلك تحل إشكالات كثيرة تنقدح في ذهن من اطلع على أقوالهم ولم يطلع على أخلاقهم وسيرهم .

✽ واليك مثالا لعالم جليل من علماء السلف ، له آثار عظيمة على الأجيال بعده حتى جيلنا هذا يوضح ما ذكر .

" قال الحافظ ابن كثير : أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي أن السلطان محمد بن الطك المنصور قلاوون استفتى الشيخ " ابن تيمية " في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه ، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الطك ومبايعة الجاشنكير ، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً ، وأخذ يحثه بذلك على أن يقتيه في قتل بعضهم ، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سمعوا فيه من عزله ، ومبايعة الجاشنكير ففهم الشيخ مراد السلطان ، فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء ، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء .

وقال له : إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم .

فقال له : إنهم قد آذوك ، وأرادوا قتلك مراراً .

فقال الشيخ : من آذاني فهو في حل .

ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه .

وأنا لا أنتصر لنفسي .

وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

قال : وكان قاضي المالكية يقول :

" مارأينا مثل ابن تيمية ، حرضنا عليه فلم نقدر عليه .

وقدر علينا فصفح عنا ، وحاجج عنا . (١)

هكذا كانت أخلاق ابن تيمية ومعاملته لمخالفيه ، ولكي ندرك عظمة

هذه الأخلاق يجب أن نعلم أن هؤلاء القضاة والعلماء . . كانوا

يخالفون ابن تيمية في بعض مسائل العقيدة والفقه فقد كان معظمهم

أشاعرة وقد آذوا شيخ الإسلام حيث قضوا بحبسهم

... وحرصوا عليه كثيراً ، فمع هذا الخلاف الفكري ،

ومع نقد ابن تيمية لمخالفيه في مسائل العقيدة والأحكام نقداً لازعماً

شديداً في بعض الأحيان .

مع هذا لم ينظر ابن تيمية إلى هؤلاء نظرة انتقام ، ولم

يحاول أن ينال منهم بل دافع عنهم ، والتمس لهم المعاذير فسي

مخالفتهم إياه .

(١) البداية والنهاية / لابن كثير / ١٤ / ٥٤٠ .

فأعطانا ابن تيمية بذلك قاعدة هامة وهي :

أن الخلاف الفكري لا يجوز أن يتحول إلى موقف عدائي للمخالفين .

وأن موقفنا من الفكر غير موقفنا من صاحب الفكر .

* ومن نظر في سير العلماء وأخلاقهم اطلع على مواقف عظيمة تجلي له الطريق ، وتقيه العثرات ، وتأخذ به إلى سواه الصراط .

يقول ابن الجوزي :

" ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذي تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغي أن يعلم أن الطبع لص ، فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم .

فإذا نظر في سير القداما زاحمهم ، وتأدب بأخلاقهم . " (٢)

نعم . إن الاطلاع على سير العلماء يعلمنا كيف أن العلم يهذب خلق صاحبه ، ويكسبه التواضع ، ويزينه بالتقوى ، وينقى قلبه من الأضغان .

إن سير العلماء تعلمنا كيف كان العلماء يحترم بعضهم بعضاً فلا يجرح أحداً أخاه لمخالفته إياه ، فالخلاف لا يفسد قلوبهم ، ويوغر نفوسهم .

(٢) تلبيس إبليس / ١١٩ .

ثانيا : دراسة الفقه المقارن :

- من مفاخر الإسلام تلك الثروة النقية العريضة التي خلفها فقهاؤنا وهي تدل على عقول مفكرة ودين سمح مرن سهل ميسر .
- وينبغي للمرء ألا يحرم نفسه من ثمرات هذا الفكر بالعكوف على صاحب مدرسة فقهية لا يتعداه لغيره .
- فعلى شباب الصحو الإسلامية أن يكثر القراءة في كتب الفقه المقارن التي تعرض الآراء المتعددة وأدلتها وتكشف عن محل الخلاف ومداه وثمراته . فإن هذه القراءة من شأنها أن توسع المدارك، وتخفف من حدة التعصب لرأى ما ، بل تكسر مرض الاستبداد بالرأى . كما أنها تبين لنا كيف كان يفكر فقهاؤنا حتى وصلوا إلى ما قرروه واختاروه من آراء ، وهذا من شأنه أن يرغمنا على احترام الجميع والاستفادة منهم والترحم عليهم .
- ونظرا للآثار الضارة ، والنتائج الخطيرة لعدم معرفة آراء العلماء ، والاطلاع على اختلافهم ووجهات نظرهم فقد تعالت أصوات العلماء المعبرين تنادى وتحذر من الجهل بالآراء المتعددة ، وتحث على معرفة الاختلافات الفقهية .
- وإليك نبذة من أقوالهم .

عن قتادة قال :

" من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه . " (٣)

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال :

" لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس ،

فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي بين

يديه . " (٤)

وعن سفيان بن عيينه قال :

سمعت أبا أيوب السختياني يقول :

" أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً باختلاف العلماء وأمسك الناس

عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء . " (٥)

وقال يحيى بن سلام :

" لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ولا يجوز لمن لا يعلم

الأقاويل أن يقول هذا أحب الي . " (٦)

وقال قبيصة بن عقبة :

" لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس " (٧)

وأخيراً أقول لمن لم يدرس الفقه المقارن :

علمت شيئاً وغابت عنك أشياء .

(٣) ، (٤) ، (٥) جامع بيان العلم وفضله / ٢ / ٤٦ .

(٦) ، (٧) المصدر السابق / ٢ / ٤٧ .

ثالثاً : فقه أدب الاختلاف :

ان دراسة الفقه المقارن تكشف لنا عن اختلاف علمائنا في مسائل الفقه ، وتبين لنا شيئاً من أسباب اختلافهم .

* وإتمام الفائدة ينبغي لنا أن نعرف أن علماءنا لم يخرجهم الاختلاف عن الالتزام بآداب الإسلام العالية ، وأخلاقه السامية .
ونجلي ذلك بالأثلة .

* وقع خلاف بين ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن ثابت رضي الله عنه في مسألة من مسائل المواريث :

فكان ابن عباس رضي الله عنه يذهب كالصديق وكثير من الصحابة الى أن الجسد يسقط جميع الإخوة والأخوات في المواريث كالأب . وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه كعلي وابن مسعود وفريق آخر من الصحابة رضي الله عنهم يذهب إلى توريث الإخوة مع الجد ولا يحجبهم به . فقال ابن عباس يوماً : ألا يتقي الله زيد ؟ يجعل ابن الابن ابناً ، ولا يجعل أب الأب أباً !

وقال : لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع ، فنضع أيدينا على الركن ، ثم نتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين "

ومع هذا الاختلاف فإن ابن عباس وزيداً لم ينسيا آداب الإسلام :
فابن عباس رضي الله عنهما رأى زيد بن ثابت يوماً يركب دابته فأخذ

بركابه يقود به .

فقال زيد : تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ .

فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا .

فقال زيد : أرني يدك .

فأخرج ابن عباس يده ، فقبلها زيد وقال :

هكذا أمرنا أن نفعل بسأهل بيت نبينا . (٨)

وحين توفي زيد قال ابن عباس :

" هكذا يذهب العلم " . (٩)

" لقد دفن اليوم علم كثير " . (١٠)

✽ وهذا موقف آخر لا مامين جليلين يجلى لنا أدب الاختلاف :

" قال العباس بن عبد العظيم العنبري : كنت عند أحمد بن حنبل

وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة .

قال : فتناظرا في الشهادة ، وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع

بينهما جفاء . وكان أحمد يرى الشهادة ، وعلى يأبى ويدفع . فلما أراد

على الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه " . (١١)

هذا غيض من فيض من معالم أدب الاختلاف في الإسلام جلاها لنا

(٨) الاصابة ١/٥٦١ ، ٢/٣٣٢ — مجمع الزوائد ٩/٣٤٥ — حياة الصحابة

٢/٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٩) اعلام الموقعين ١/١٨ .

(١٠) مجمع الزوائد ١/٢٠٢ .

(١١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٠٧ .

سلفنا الصالح ومن اقتفى أثرهم من أئمتنا وعلمائنا الكرام .
فحري بنا أن نتشبهت بهذه الآداب ونعض عليها بالنواجذ حتى
تتوحد القلوب وتتآلف في عصر قد تنافرت فيه ، وآمر على الإسلام والمسلمين
الأعداء من كل ملة وتوحدوا على ذلك وأخذوا يعملون على استئصال
هذا الدين وأتباعه .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (١٢)

* وما أروع وأعدل قول ابن تيمية حين قال :

" وقد كان العلماء من الصاحبة والتابعين و من بعدهم إذ اتنازعوا

في الأمر ، اتبعوا أمر الله تعالى في قوله :

فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (١٣)

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة و مناقحة وربما اختلف
قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين .
نعم من خالف الكتاب المستبين ، والسنة المستفيضة ، أو ما أجمع
عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع . (١٤)

(١٢) الانفال / ٢٣ .

(١٣) النساء / ٥٩ .

(١٤) الفتاوى / ٢٤ / ١٢٤ .

رابعاً : تقدير الأخوة وحقوقها :

• لقد رفع الله شأن الأخوة ، وجعلها من نعمه الكبرى .

قال تعالى :

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى
شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)

• ولقد بين الرسول ﷺ أهميتها ، وعظم مكانتها ، فجعل إرسائها
من أولى خطوات تأسيس المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ، فأخس
بين المهاجرين والأنصار .

• ولقد بين لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الأخوة الإسلامية أصل
كبير ، وواجب عظيم ليس من السهل هدمه ولا تأخيره .
فالأخوة تعلو فوق كثير من الواجبات الأخرى وهي متينة صلبة بحيث
لا ينال منها كثير من المخالفات .

• واليك جملة دلائل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
عليه وسلم ، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(١) فمثلا :

اختلف العلماء في تلاوة البسملة في الصلاة .

فطائفة لاتقرؤها لاسرا ولا جهرا .

وطائفة تقرأها جهرا .

وطائفة تقرأها سرا .

ولكل دليله ووجهة نظره .

وغاية الأمر في هذه المسألة أنها من المستحبات فإذا ترتب عليها

بلبلة وتنافر قلوب . فيستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب

بترك هذه المستحبات ، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة

فعل هذا ؛

كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت لما رأى في

إبقائه من تأليف القلوب .

وكما أنكر ابن سعد على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى

خلفه متها ، وقال : الخلاف شر . (١٦)

هكذا نظرة العلماء الفقهاء في دين الله .

وهكذا محافظتهم على الأخوة .

(١٦) انظر القواعد النورانية الفقهية / لابن تيمية / ٤٣ .

(٢) ولقد بلغت الأخوة من التانة والصلابه درجة عالية حتى أن جريمة

القتل لاتمحوها . قال تعالى :

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ
ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧)

فالله تعالى بين أن ولي المقتول أخ للقاتل . فالقاتل ينال من

المعاقب على قدر جريمته ولكن لاتهدر كل أخوته مادام مؤمناً بالله .

(٣) إن الأسرة قد تتفرق ، ولاتمزق معها الأخوة .

قال تعالى :

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۗ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٨)

هكذا في المواقف العصية ، واللحظات الحرجة ، لحظات تفرق

الأسرة ، وثورة النفس ، تأتي التوجيهات الربانية تحت على العفو

والصفح . وتذكر بالأخوة وحقوقها فهي أكبر من أن ينال منها هذا

الخلاص .

(١٧) البقرة / ١٧٨ .

(١٨) البقرة / ٢٣٧ .

(٤) إن مرتكب المعاصي الكبيرة - دون الشرك - يؤدب على مخالفته ، ولا يقطع دابر أخوته . فيفيض بقدر ما فيه من الشر ، ويحب بقدر ما فيه من الخير .

عن أبي هريرة قال : أتى النبي ﷺ بسكران ،

فأمر بضربه ، فنأ من يضربه بده

ومتأ من يضربه بعتلة و منأ من يضربه بشوبه ،

فلما انصرف قال رجل : ماله أخزاه الله !

فقال رسول الله ﷺ :

لا تسكونوا عونَ الشيطان على أخيك ، (١٩)

(٥) وأختم هذا البحث بموقف رائع لشيخ الإسلام ابن تيمية يعلمنا منه مكانة الأخوة وحقوقها .

فلقد تسبب بعض علماء مصر وقضاتها في إيذاء ابن تيمية وحرصوا

عليه حتى آل الأمر إلى سجنه فقال وهو سجين :

" فأنا لم يكن بيني وبين أحد بمصر عداوة ولا بغضا ، ومازلت محسبا

لهم ، مواليا لهم ، أمراءهم ومشايخهم وقضاتهم . (٢٠)

(١٩) (خ ٧٥/١٢ - ٦٧٨٠ ، ٦٧٨١)

(٢٠) رجال الفكر والدعوة / لابي الحسن الندوي / ٢ / ٨٠ .

وسيزداد توقيرنا لشيخ الإسلام إذا عرفنا أن هؤلاء الأئمة والمشايخ
والقضاة يخالفونه في بعض سائل العقيدة والفقه ، ولقد آذوه لهذا
السبب ، ولم تتسع صدورهم لهذا الخلاف ، لكن ابن تيمية كان قلبه
أكبر ، و صدره أفسح ، فراعى فيهم حقوق الأخوة حين تخلوا عنها .
وهكذا يكون العلماء .

ويقول ابن تيمية مبينا موقفه من أشد العلماء إذا له وتحريضا
عليه :

" وابن مخلوف ، ولو عمل مهما عمل ، والله لا أقدر على خير إلا وأعطه
معه ، ولا أعين عليه عدوه قط ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هذه نيستي
وعزمي مع علي بجميع الأمور ؛

فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ، ولن أكون عوناً للشيطان
على إخواني المسلمين . " (٢١)

إن اختلاف وجهات النظر ، وتباين الآراء لا يتبعه تنافر القلوب
وعداؤها .

خامسا : معرفة تاريخ الفرق :

لقد تعرض الإسلام لمحن كثيرة قصدت نسه والنيل منه ، ولكن
الله حفظه .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٢٢)

ومن المحن العاصفة التي تعرض لها هذا الدين الرياني نشوء
العديد من الفرق التي تنتسب إليه . وقد كان لهذه الفرق
آثار خطيرة على هذا الدين فقد فرقت كلمة المسلمين .

وعملت على إضعاف دولة الإسلام .

وشنوا حملات شديدة على الإسلام لتحريفه وتشويهه .

ومعنى هذه الفرق كان له صلة قوية بالقوى المعادية للإسلام
من اليهود والنصارى وغيرهم . ولقد تسلت إليهم أفكار مخالفة
للإسلام — وللأسف — راجت بين أتباعه لجهلهم ومرض قلوبهم .
وان هذه الفرق لها ظروف نشأت فيها ، وأسباب نتجت عنها .
ولقد برز انحرافهم عن الإسلام شدة وضعفاً من خلال أفكارهم
وسلوكلهم .

فمن المفيد لطلاب العلم أن يتعرفوا على تاريخ هذه الفرق
ليتجنبوا الوقوع فيما وقعت فيه .

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه .°. من لم يعرف الشر وقسع فيه

وقال عمر :

" ينقص هذا الدين إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.*"

ومن فوائد ذلك أيضا التعرف على الثغرات التي أتوا منها فيحصنوها

وليدركوا من خلال ذلك المنهج المعتدل لأهل السنة والجماعة فيلزموا

السيرة عليه ، ولا يحيدوا عنه .

. فنهيب بشباب الإسلام أن يدرس تاريخ الفرق .

وإذا كان الشباب ممن ينكرون التاريخ أو يحرمونه فنقول لهم اقرأوه — من

باب الثقافة والمعرفة ولن تعدوا منه فائدة . والله الهادي والموفق

إلى سوا* السبيل .

سادسا — فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد أوجب الله على عباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ،
حفاظاً على الدين من الاضمحلال ، ومنعاً للفساد من الانتشار . فقال
سبحانه وتعالى :

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٣)

وقال ﷺ .

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ .

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ .

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْمَفُ الْإِيمَانِ » . (٢٤)

وهذه الفريضة الربانية لها فقه دقيق من شروط وآداب . . . ينبغي
معرفة والتحلي بها حتى يكون العمل على علم وفقه فيأتي الثمار ،
ويتجنب السقوط والعتار . . .

وينبغي لشباب العصر الحديث أن يتزودوا بهذا الفقه ، وأنا أنقل
خلاصة نافعة بشيئة الله ، من أقوال علماء الإسلام الأفاضل الحكماء
الفقهاء .

(٢٣) آل عمران / ١٠٤ .

(٢٤) (م / ١ - ٦٩ - ٤٩) .

مراتبه :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث مراتب :

- (١) أن يكون تارة باليد .
- (٢) وتارة باللسان .
- (٣) وتارة بالقلب .

فأما القلب فيجب بكل حال ؛ إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله

فليس هو بمؤمن .

ودليل ذلك حديث مسلم السابق .

* ما سبق ندرك أن للانكار صوراً ثلاثة ،

فالقلب دائم مستمر ، أما اللسان واليد فينظر في المصلحة والمفسدة

المرتتبة على ذلك . وهنا يخفى بعض الناس في التطبيق فمنهم :

" من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً ، من غير فقه

وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا

يقدر

فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله ،

وهو معتد في حدوده . (٢٤)

• ومن المناسب هنا ذكر ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم في إنكار المنكر على الأئمة والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة يجر على الإسلام والمسلمين وبالأخص لاتحمد عقباه ، سواء كان الخطأ بالإفراط أو التفریط ، وأذكر هنا خلاصة جامعة أولا : لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول :

" وقد تكلمت على قتال الأئمة في غير هذا الموضع . وجماع ذلك داخل في " القاعدة العامة " : فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزاحمت ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له . فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً إذا كان مفسدته أكثر من مصلحته .

لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع^(٢٦) وما يجدر بالذكر هنا أن الذي يقوم بتحديد مقدار المصلحة والمفسدة هم العلماء الفقهاء الذين يجمعون بين حسن الفهم ، ومعرفة الواقع ، والتقوى والاعتدال .

ثانيا : لابن القيم :

ولالإمام ابن القيم كلام نفيس في هذا الأمر حيث يقول :

” إذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض إلى الله
ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله .
ومثل لذلك فقال :

وهذا كالإنكار على الطوك والولاة بالخروج عليهم ، فإنه أساس كل
شر وفتنة إلى آخر الدهر . . . ومن تأمل ماجرى على الإسلام في الفتن
الكبار والصفار رأها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر ، فطلب
إزالته ، فتولد منه ما هو أكبر منه ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها .

بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورد على
قواعد إبراهيم ، ومنعه من ذلك — مع قدرته عليه — خشية وقوع ما هو أعظم
منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد
بكفر . ” (٢٧)

ثم ذكر ابن القيم حالات المنكر عند إنكاره ، وضرب أمثلة نافعة
للدعاة إلى الله فقال :

” فإنكار المنكر أربع درجات ” :

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده .

الثانية : أن يقل وإن لم يزول بجملته .

الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .

الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأولىان مشروعتان .

والثالثة : موضع اجتهاد .

والرابعة : محرمة

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه -

يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر،

فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه وقتلته : إنما حرم الله الخمر لأنها

تصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسببي الذرية . وأخذ الأموال

فدعهم . . . (٢٨)

قواعد هامة في الإنكار :

(١) لا إنكار حيث تكون مفسدته أكثر . وقد تقدم ذلك .

(٢) لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ فيه الخلاف من الفروع أو قل -

مجتهداً فيه . (٢٠)

(٢٧) اعلام الموقعين ٣ / ٤ : ٥٥ .

(٢٩) انظر الآداب الشرعية / لابن مفلح / ١ / ١٨٦ . ومختصر منهاج القاصدين

لابن قدامة / ١٢٧ ، ١٣٢ .

وقد قال أحمد في رواية المروزي :

" لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ، ولا يشدد عليهم ."
" وذكر الشيخ محيي الدين النووي أن المختلف فيه لا إنكار فيسه .
قال : لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو
حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق . " (٣١)

تلك هي صفة ما قيل في هذه القاعدة العظيمة ، وهو تحقيق كثير
من العلماء بل جمهورهم .

(٣) ترك التجسس :

فبدأ التجسس مرفوض في عطية الإنكار ، مادام المنكر مستورا وحتى
على من بيده السلطة ، وذلك لما يؤدي من الفساد بين الرعية . قال
النبي صلى الله عليه وسلم :

" ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم "

(٤) التثبت .

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تُضَيَّبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُضَيَّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَالِمِينَ (٣٣)

(٣٠) الآداب الشرعية / ١ / ١٨٧ .

(٣١) المصدر السابق / ١ / ١٩١ .

(٣٢) (حم / ٤ / ٦ ، وصحه الالباني رقم ١٥٨١) .

(٣٣) الحجرات / ٦ .

فهذا أصل لا بد منه من أصول الإنكار ، وقاعدة من قواعد فقهِه
الإنكار .

فلا ينبغي العجلة والطيش ، والخفة والتسرع في الإنكار قبل
التحقق والتثبت ، والتبين والتأكد .

قال النبي .

“ التأنى من الله ، والعجلة من الشيطان . (٣٤)

قال الإمام ابن القيم : إنما كانت العجلة من الشيطان ، لأنها
خفة وطيش ، وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار
والحلم ، وتوجب وضع الشئ في غير محله ، وتجلب الشرور ،
وتمنع الخير ، وهي تولدة بين خلقين ذميين : التفريط
والاستعجال قبل الوقت . (٣٥)

(٥) اختيار الوقت المناسب :

فلا يختار وقت غضب صاحب المنكر ، بل يختار وقت هدوئه
وانبساطه ، ولا يختار وقت انشغال بل يختار وقت فراغه .
ولا يختار وقتاً يكون فيه الحديث بعيداً عن موضوع المنكر ، بل
يقتنص الوقت الذي يثار فيه موضوع الإنكار ، أو موضوعاً قريباً منه
يجعله مدخلاً لإنكاره .

(٣٤) (ت ٤ / ٣٦٧ - ٢٠١٢)

(٣٥) فيص القدير ٢٧٧ / ٣ .

وهذا ما فعله يوسف عليه السلام عندما جاء له صاحب السجن بعد أن وثقوا به وبعلمه . فأراد منه أن يفسر حلمها ، فانتهاز الفرصة للإنكار بأسلوب ذكي ، لأن صاحب المنكر هنا هو صاحب الحاجة ، وهو الذى يريد أن يستمتع برضاه واختياره ، فلذلك يكون استعداده للقبول أكثر مما لو أجبر على الاستماع دون رغبة منه . . .

وكان ابن سعد رضي الله عنه يقول :

" إن للقلب شهوةً وإقبالاً ، وفترةً وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، وذرّوها عند فترتها وإدبارها " . (٣٦)

(٦) الإسرار بالنصح :

إن من طبيعته النفس البشرية أنها تحب ألا تبد وناقصة أمام الآخرين ، وتنفر ما يحاول انتقاصها بإظهار عيبها على الملأ إن وجد ، وقد ترفض الاستجابة عناداً وإصراراً فواجب الداعية الحريص على هداية الناس ، وردهم إلى حظيرة المعروف والخير أن يراعي الإسرار بالنصيحة تصريحاً أو تعريضاً حسب نفسية الشخص صاحب الخطأ .

وهذا هو أدب النبوة .

فقد قال صلى الله عليه وسلم :

" ما بال أقوام يقولون كذا وكذا "

وقال الشافعي :

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التمييز لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولبي
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وقال أيضا : " من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه

علانية فقد فضحه وشانه " . (٣٢)

(٧) خلط بعض ما تشتهيها الأنفس مع أمور الآخرة .

النفوس تشتهي المال ، وتحب المناصب ، تلك حقيقة فطرية ، وطبيعة
بشرية ، ينبغي مراعاتها عند دعوة الناس إلى الخير ، والإسلام قد راعى
هذه القاعدة في جذب الناس إلى الخير ، فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يرسل الرسائل إلى الملوك والزعماء والأمراء في بقاع الأرض ويطمئنهم
على ملكهم بأنهم إذا أسلموا سيبقيهم على ما هم عليه من الملك .

. وهذا عمر بن عبدالعزيز يقول له ابنه :

" يا أبت ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل ؟ فوالله ما كنت أبسأ
لي لوغلت بي وبك القدر في ذلك . فقال عمر : يا بني إني إنما أروض الناس
رياضة الصعب . إني أريد أن أحبس الأمر من العدل ، فأؤخر
ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا ، فينفروا لهذه ويسكنوا
لهذه " . (٢٨)

فينبغي مراعاة هذا الجداً عند دعوة الناس ، وردهم إلى
المعروف .

(٨) ترك الاستفزاز واستخدام الحجة .

قال تعالى :

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ
أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٩)

يقول سيد قطب رحمه الله :

" إن الطبيعة التي خلق الناس بها ، أن كل من عمل عملاً فإنه
يستحسنه ، ويدافع عنه ، فإن كان يعمل الصالحات استحسناها ودافع عنها .
وإن كان يعمل السيئات استحسناها ودافع عنها .

وإن كان على الهدى رآه حسناً . وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك

(٢٨) الزهد / ل احمد / ٣٦٤ ، سيره ومناقب عمر بن عبدالعزيز / ٨٨

الاداب الشرعية ١ / ٢١٥ .

(٢٩) الانعام / ١٠٨ .

فـهذه طبيعة في الإنسان . . . وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرزاق . . . ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم هؤلاء ، اندفعوا وعدوا عما يعتقدونه من ألوهية الله ، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم ! فليدعهم المؤمنون لما هم فيه : " ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون " وهو أدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه ، الواثق من الحق الذي هو عليه . الهادي القلب . الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور . فإن سب آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عناداً ، فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه وإنما قد يجرحهم إلى سماع ما يكرهون من سب المشركين لربهم الجليل العظيم ؟ ! (٤٠)

فليس من واجب الدعاة سب رموز الضلال ، وخصوم الدعوة ، أو الاستهزاء بهم ، ولكن كان هذا هو أسلوبهم فليس من اللائق أن يتشبه بهم الدعاة في هذه الأساليب الرخيصة ، وينزلوا إلى مستواهم . والالتزام بهذا الخلق الفاضل يؤدي إلى كسب الأنصار ، ويجعل المكابر المعاند يصفى إذا دعونه للحق . . .

(٩) الإنكار بالحسنى .

لا بد للمزاول لعملية الإنكار أن يتوقع أنه أثناء ذلك سيواجه السب والشتائم والاستهزاء . . . والعناد والمكابرة من مقترف المنكر . . . لأنه يعتقد

أن المنكر عليه قد تدخل في شئونه الخاصة ، أو أنه يشعر أن المنكر عليه إنما أراد الاستهزاء به والتعالى عليه . . لذلك فهو يطلق جميع أجهزة الدفع عن النفس عند عملية الإنكار لذلك كان من فقه الإنكار أن يستخدم الداعية أسلوب " المحاسنة " وهو رد السيئة بالحسنة . السيئة التي تصيب صاحب الإنكار شخصياً لا السيئة التي تصيب الإسلام أو حرمة من حرماته .

وهو الأسلوب الذي تعامل به أصحاب الرسالات مع أقوامهم ، والذي

قال عنه رب العزة في القرآن الكريم :

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٤١)

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

"وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات ، وينقلب

الهيماج إلى وداعة ، والغضب إلى سكينه ، والتبجح إلى حياء ، على كلمة

طيبة ، ونبوة هادئة ، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب ، متبجح

مفلت الزمام ! ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومروداً .

وخلع حياءه نهائياً ، وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم غير أن تلك

السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإسائة

والرد . وهذه القدرة ضرورية لتؤسي السماحة أثرها . حتى لا يصور

الإحسان في نفس المسمى ضعفاً. ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه،
ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً. وهذه السماحة كذلك قاصرة على
حالات الإساءة الشخصية، لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها
، فأما في هذا فالدفع والمقاومة بكل صورة من صورها. أو الصبر حتى
يقضي الله أمراً كان مفعولاً". (٤٢).

طرائق الانكار :

يظن البعض أنه إذا رأى منكراً أي منكر فإن أفضل طرق تغييره هي اليد دائماً على أي حالة كان وبأي طريقة . وهنا خطأ سيئ كثيراً ما ينتج عنه أضرار تلحق بالمنكر . . وغيره . ومن المفيد أن أضع بين يدي القارئ عموماً وشباب الصحوة الإسلامية خصوصاً ، الطرق الفاضلة وترتيبها من خلال مقاله خيراً الدعوة وفقهاؤها :

يقول ابن قدامة :

" الدرجة الاولى : التعريف . فإن الجاهل يقدم على شيء لا يظننه

منكراً ، فإذا عرف أقطع عنه ، فيجب تعريفه باللفظ

" الدرجة الثانية : النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله .

ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد ، ويحكي له سيرة السلف ،

ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف و غضب .

وها هنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها .

وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ..

" الدرجة الثالثة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وإنما

يعدل إلى هذا عند المعجز عن المنع باللفظ ، وظهور مبادئ الإصرار ،

والاستهزاء بالوعظ والنصح .

ولسنا نعني بالسب : الفحش والكذب .

. الدرجة الرابعة : التغيير باليد . . . وذلك إذا عجز عن تكليف صاحب المنكر بذلك ، فإذا أمكنه أن يكلفه الخروج عن الأرض المفصومة ، فلا ينبغي أن يجره ولا يدفعه .

. الدرجة الخامسة : التهديد والتخويف .

. الدرجة السادسة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح .

. وهنا مسألة : ماذا يفعل الولد مع والده ، والعبد مع سيده ، والزوجة مع الزوج ، والرعية مع الوالي ؟ .

أجاب العلماء فقالوا : الإنكار مطلوب .

فلولد مع والده الحسبة بالتعريف ، ثم بالوعظ والنصح باللطف . وله أن يكسر العود ، ويريق الخمر . . . ونحو ذلك .

وهذا الترتيب ينبغي أن يجرى في العبد والزوجة .

وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيه أشد من الوالد . فليس معه إلا

التعريف والنصح .

. ويشترط كون المنكر قادراً على الإنكار ، فأما العاجز ، فليس عليه

إنكار إلا بقلبه . ويلحق بالعجز الحسي خوف مسكروه يناله و لا

اعتبار بحالة الجبان ، و لا بالشجاع الشهير ، بل الاعتبار بالمعتدل

الطبع ، السليم المزاج . ونعني بالمكروه : الضرب أو القتل ، وكذلك

نهب المال ، والإشهار في البلد مع تسويد الوجه . فأما السب والشتم ، فليس

بعذر في السكوت ، لأن الأمر بالمعروف يلقي ذلك في الغالب . " (٤١)

(٤٢) مختصر منهاج القاصدين / ١٢٥ : ١٢٩ باختصار .

صفات المحتسب :

إن هنالك جملة من الصفات ينبغي أن يتحلى بها الأمر بالمعروف
الناهي عن المنكر ليكون عظه مشراً .

* وجعلتها ثلاث صفات :

الأول : العلم بمواقع الحسبة وحدودها ومواقفها ليقصر على حد الشرع .

والثاني : الورع . فانه قد يعلم شيئاً ولا يعمل به لغرض من الأغراض .

والثالث : حسن الخلق ، وهو أصل ليتمكن من الكف . فإن الغضب إذا

هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه مالم يكن في الطبع خلق

حسن . " (٤٤)

* ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" لا بد من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر .

العلم قبل الأبر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده . وإن كان كل من

هذه الثلاثة ستصحباً في هذه الأحوال . وهذا كما جاء في الأثر عن

بعض السلف .. :

" لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ،

فقيهاً فيما ينهى عنه . رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه .

حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه . " . (٤٥)

(٤٤) مختصر منهاج القاصدين / ١٢٩ .

(٤٥) انظر الآداب الشرعية ١ / ٢١٥ .

لا بد من العلم ، لأنه لا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقسه ،
وكما قال عمر بن عبد العزيز : " من عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما
يصلح " . (٤٦)

فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ، ولا بد من العلم
بحال الأمور والمنهي .

ولا بد في ذلك من الرفق . كما قال النبي ﷺ :
« إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ . وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » . (٤٧)
ومن أمثلة الرفق :

" أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً والناس
يسبونونه ، فقال : أرايتم لو وجدتموه في قليب ، ألم تكونوا ستخرجونه ؟
قالوا : بلى . قال : فلاتسبوا أحاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم ، فقالوا :
أفلا نبغضه ؟ فقال : إنما أبغض عمله . فإذا تركه فهو أخي " . (٤٨)
هكذا كان تحلى الصحابة رضوان الله عليهم بالرفق في دعوتهم ،
لأنهم تعلموا ذلك في مدرسة النبوة ، واستقوا هذه الأدب من سيد
المرسلين ، وإمام الدعوة ، فقد علمهم كيف يعالجون الأمور :

وما قصة الأعرابي الذي بال في المسجد . . . والشاب الذي أراد أن

(٤٦) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز / ٢٥٠ ، الزهد / ل احمد : ٣٦٦ .

(٤٧) (٤ م / ٢٠٠٤ - ٢٥٩٤) .

(٤٨) مختصر منهاج القاصدين / ١٣٠ .

يأذن له في الزنا . . . ، والأعرابي الذي جذبته من شوه . . . ما ذلك وغيره
بيعيد عن حسهم .

" ولا بد أن يكون أيضاً أحليماً صبوراً على الأذى . فإنه لا بد أن يحصل
له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح . . .
ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -
بالصبر ، كقوله لخاتم الرسل - بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة ، فإنه أول ما
أرسل أنزلت عليه سورة " يا أيها المدثر " بعد أن أنزلت عليه سورة " اقرأ " ^{التي}
التي بهانبي .

فقال : **يَا أَيُّهَا الْمَدِيثُ ﴿٤٩﴾ قُرْآنِذِرْ ﴿٥٠﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٥١﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٥٢﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥٣﴾ وَلَا تَسْنُنْ تُسْنَنُ بَأْسٌ كَبِيرٌ ﴿٥٤﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٥٥﴾ (٤٩)**

فافتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالندارة ، واختتمها بالأمر
بالصبر : ^(٥٠) والآيات في هذا الموضوع كثيرة .

وقد ذكر العلماء صفات أخرى وفصلوها ، وفيما ذكرناه جماع ذلك (٥١)

(٤٩) المدثر / ١ : ٧ .

(٥٠) الفتاوى / ٢٨ / ١٣٥ : ١٣٧ باختصار .

(٥١) انظر الآداب الشرعية / ١ / ٢١٥ : ٢٢١ .

سابعاً :

التحلي بآداب الفتيا :

من الأمور الضرورية معرفتها لشباب الصحوة الاسلامية ، والواجب مراعاتها والأخذ بها ، آداب الفتيا .

. فالفتيا منصب خطيران هي توقيع عن رب العالمين " فحقيق بمن أقيم فسي هذا المنصب أن يعد له عدته ، وأن يتأهب له أهيته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع بـه ، فإن الله ناصر وهاديه .

وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى :

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ (٥٢)

وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفاً وجلالة ، إذ يقول في كتابه :

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَّةِ (٥٣)

وليعلم المفتي عن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسئول غداً وموقوف

بين يدي الله . " (٥٤)

فجدير بمن يتصدى للفتيا أن يلم بآدابها وأن يتحلى بشروطها حتى يوفيهما

حقها ، ولا يهلك نفسه .

(٥٢) النساء / ١٢٧ .

(٥٣) النساء / ١٧٦ .

(٥٤) اعلام الموقعين / ١ / ١١ .

ومن هذه الشروط والآداب :

١ - الاطلاع بالكتاب والسنة وعلومها ، وحسن الفهم وسلامة التطبيق .

قال الشافعي : " لا يحل لأحد أن يفتى في دين الله الا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، ويكون بعد ذلك بصيراً بحدِيث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ، ويكون بصيراً باللغة ، بصيراً بالشعر ، وما يحتاج اليه للسنة والقرآن ، ويستعمل هذا مع الانصاف ، ويكون بعد هذا شرفاً على اختلاف أهل الامصار ، وتكون له قريحة بعد هذا ، فاذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى في الحلال والحرام ، واذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتى (٥٥)

وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله :
" اذا كان عند الرجل الكتب المصنفة فيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف الصحابة والتابعين ، فلا يجوز أن يعمل بما شاء ويتخير فيقضى به وبهمل به حتى يسأل أهل العلم ما يؤخذ به فيكون يعمل على أمر صحيح . (٥٦)

٢ - كذلك ينبغي معرفة أقوال من تقدم في المسألة ليسترشد بأفهامهم وآرائهم وحتى لا يخبط خبط عشواء ، ولثلا يرد حقا فعليه أن يتحرى ذلك .

قال الامام أحمد :

" ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم والا فلا يفتى (٥٧)

(٥٥) اعلام الموقعين ٢ / ٤٦ الفقيه والمتفقه ٢ / ١٥٧ .

(٥٦) اعلام الموقعين ١ / ٤٤ .

(٥٧) اعلام الموقعين ١ / ٤٥ .

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال :

" لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه " . (٥٨)

وقال قبيصة :

" لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس " . (٥٩)

والأقوال في هذا الموضوع كثيرة عن العلماء الفضلاء " . (٦٠)

٣ ومن الأمور الهامة أن يستوثق المرء من فهمه قبل التصدي للفتيا ، وذلك بصاحبة العلماء والتقلب في الدروس ، والحلقات ، حتى إذا حاز شيئاً سأل العلماء وسألوه ليختبروا فهمه وفقهه فإن أجاز الثقات له الفتيا آفتى وإلا فلا .

" قال مالك : ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني :

هل تراني موضعاً لذلك ؟ سألت ربيعة ، وسألت يحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك . فقليل له : يا أبا عبد الله ، فلو نهوك ؟ قال :

كنت أنتهي " . (٦١)

(٥٨) جامع بيان العلم وفضله / ٢ / ٤٦ .

(٥٩) المصدر السابق / ٢ / ٤٥ : ٤٧ .

(٦٠) انظر المصدر السابق / ٢ / ٤٥ : ٤٧ .

(٦١) اعلام الموقعين / ٢ / ١٨٧ .

(٤) التأنى والتريث وعدم التسرع .

فقد " كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى

، ويؤد كل واحد منهم أن يكفيه أياها غيره " . (٦٢)

" قال ابن أبي ليلى : أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم - أراه قال في المسجد - فما كان منهم محدث

إلا ودأن أخاه كفاء الحديث ، ولا مفتٍ إلا ودأن أخاه كفاء

الفتيا . " (٦٣)

" وقال سحنون بن سعيد : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما يكون

عند الرجل الباب الواحد من العلم يظهر أن الحق كله فيه " . (٦٤)

ويعلل الإمام ابن القيم سر هذه الجرأة فيقول :

" الجرأة على الفتيا تكون من قلة العلم ومن غزارته وسمته . فإذا قل

علمه أفتى عن كل ما يسأل عنه بغير علم ، وإذا اتسع علمه اتسعت فتياه (٦٥)

" وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : العجلة في الفتوى نوع من

الجهل ، قال : وكان يقال : التأنى من الله والعجلة من الشيطان . " (٦٦)

(٦٢) اهـ سلام الموقعين ١ / ٣٣ .

(٦٣) ، (٦٤) المصدر السابق ١ / ٣٤ .

(٦٥) المصدر السابق ١ / ٣٥ .

(٦٦) المصدر السابق ٢ / ١٨٦ .

٥٦٢ -
(٥) ومن الآداب العظيمة أن تقول فيما لا يعلم : الله أعلم .

ولا تأخذه العزة بالإثم ، ولا يركبه الضرر والجهل فيفتي بغير علم فيضل
ويضل .

وأقوال العلماء في التحلي بهذا الأدب كثيرة منها : (٦٧)

قول ابن سعد رضي الله عنهما :

" من كان عنده علم فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل : " الله

أعلم " . فان الله قال لنبيه :

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٦٨)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

" وأبردها على كبدى ، ثلاث مرات . قالوا : يا أمير المؤمنين ، وما ذاك ؟

قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . " (٧٠)

" عن ابن عسّون قال : كنت عند القاسم بن محمد ، إذ جاءه رجل

فسأله عن شيء فقال القاسم لا أحسنه فجعل الرجل يقول : إني رفعت

إليك لا أعرف غيرك ، فقال القاسم : لا تنظر إلى طول لحيتي ، وكثرة

الناس حولي ، والله ما أحسنه ، فقال شيخ من قریش جالس إلى جنبه :

يا ابن أخي الزمها ، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم .

فقال القاسم : والله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا أعلم

لي به . " (٧١)

(٦٧) انظر جامع بيان العلم وفضله : ٤٩/٢ : ٥٥٥ .

اعلام الموقعين ٢/١٨٤ : ١٨٧ ، ٤/٢١٨ : ٢١٩ .

(٦٨) اعلام الموقعين : ٢/١٨٥ .

(٦٩) ص : ٨٦ .

(٧٠) اعلام الموقعين : ٢/١٨٤ .

(٧١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٥٣ ، اعلام الموقعين ٤/٢١٩ .

" وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر ، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها ، قال : فسل ، فسأله الرجل عن المسألة فقال : لأحسنها . قال : فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء فقال : أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم ، قال : تقول لهم : قال مالك : لأحسن . " (٧٢)

هكذا كان علماء السلف رحمة الله عليهم : كانوا وقافين عند حدود الله ، يجيبون عما يعلمون ، ويسكتون عما لا يعلمون ، ولا يستحون من قول : الله أعلم .

• وقد عجب بعضهم من جرأة الجهال على الفتوى فيما لا يعلمون .
" فقال أبو الحسين الأزدي : إن أحدهم ليفتي في المسألة لـ
وردت على عمر بن الخطاب ، لجمع لها أهل بدر . " (٧٣)

(٦) ومن الآداب أن يسك عن الفتوى حال غضبه " فإن الغضب غول العقل يفتاله كما تفتاله الخمر . " (٧٤)

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم القاضي أن يحكم وهو غضبان .

(٧٢) جامع بيان العلم وفضله ٥٣/٢ .

(٧٣) اعلام الموقعين ٢١٩/٤ .

(٧٤) اعلام الموقعين ١٧٥/٢ ، ٢٢٧/٤ .

فقال صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانِ » . (٧٥)
فلا تؤخذ الفتاوى والنفوس ثائرة ، وهذا إذا كان المرء جامعاً
لشروط الفتيا . أما إذا كان غير جامع فان أحكامه ستكون خطيرة متأثرة
بالهوى لا محالة .

(٧) وقد جمع الإمام أحمد خمس خصال ينبغي توافرها فيمن نصب نفسه
للفتيا .

« أولها : أن تكون له نية (أى إخلاص) ، فإن لم يكن له نية لم يكن
عليه نور ، و لا على كلامه نور .

والثانية : أن يكون له علم وحلم ، ووقار وسكينة .

يقول ابن القيم : الحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله . وضده الطيش
والمجلة والحدة والتسرع وعدم الثبات . فالحليم لا يستغزه البسودات
، ولا يستخفه الذين لا يعلمون . ولا يقلقه أهل الطيش والخفصة
والجهل .

بل هو وقور ثابت زوأناة يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه ،
ولا تملكه أوائلها . وملاحظته للمواقب تمنعه من أن تستخفه دواعي
الغضب والشهوة .

الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته .

قال ابن القيم : أى مستظهِراً مضطجعاً بالعلم متمكناً منه غير ضعيف فيه ، فإنه إن كان ضعيفاً قليلاً البضاعة غير مضطجع به أحجم عن الحق في موضع ينبغي فيه الإقدام لقلّة علمه بمواضع الإقدام والإحجام ، فهو يقدم في غير موضعه ، ويحجم في غير موضعه ، ولا بصيرة له بالحق ، ولا قوة له على تنفيذه ، فالمفتي محتاج إلى قوة فني العلم ، وقوة في التنفيذ ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .
الرابعة : الكفاية والإيضاح للناس .

يريد بالكفاية : الفنى حتى لا يحتاج إلى الناس .

الخاصة : معرفة الناس .

قال ابن القيم : فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم فإن لم يكن فقيهاً فيه ، فقيهاً في الأمر والنهي ، ثم يطبق أحدهما على الآخر ، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح . * (٧٦)

- وهناك أمر عظيم يجب أن يراعيه كل من أراد الفتيا ، ألا وهو : إدراك حكم الله في المسألة وإدراك الواقع المراد التطبيق عليه .
يقول ابن القيم :

* فإن من أدرك حكم الله سبحانه ولم يدرك الواقع المراد التطبيق عليه فقد أخطأ الفتوى .

و من أدرك حقائق الواقع المعروض عليه ولم يعرف حكم الله سبحانه
في أمثالها فقد أخطأ الفتوى .

(٧٧)

ولذلك قال العلماء* بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال* .

فالخلاصة :

أن من أراد التصدي للفتوى عليه جملة من العلوم لا بد من تحصيلها

، وجملة من الصفات يتحلى بها .

فمن العلوم :

(١) الإلمام بكتاب الله وسنة رسوله وعلومهما وطرق الاستنباط .

(٢) معرفة أقوال المتقدمين .

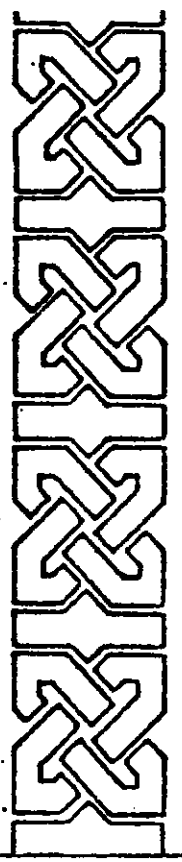
ومن الأخلاق :

(١) الإخلاص والتقوى .

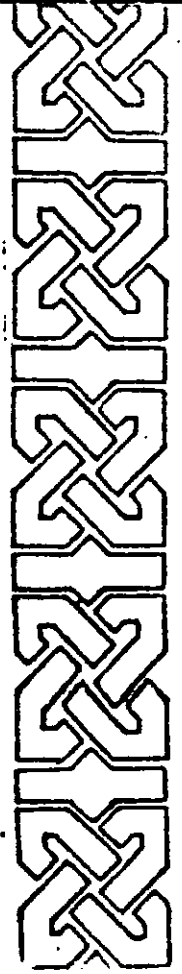
(٢) الحلم والتريث .

تلك جملة آداب ينبغي أن يتحلى بها شباب الصحوة الإسلامية ، فكم

أدى فقد ها أو بعضها إلى مشكلات وماعب كثيرة للفلاة ، ولدعوة الله .



المناسبات



الخاتمة :

وفى نهاية المطاف ، أضع بين يدي القارىء خلاصة البحث وأهم النتائج التى توصلت إليها ، وهى كما يلى :

* داء الغلو قديم ، وهو يصيب بعض أتباع الأديان فى مختلف العصور ، ابتداءً من نبي الله نوح عليه السلام ومن بعده ، مروراً بنبي الله عيسى عليه السلام حتى عصر نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وما بعده إلى يومنا هذا .

* ذم الإسلام للغلو ، وتحذيره منه ، ونهيه عنه بأحوط الأساليب وأردعها .

* اختلاف أسبابه ومظاهره من عصر لآخر ، ومن بيئة لأخرى ففي العصر النبوى نجد أسبابه ودافعه طيبة ، ومظاهره محدودة محصورة ، وفى العصور التالية نجد الأمر يختلف وهكذا .

* تفاوت آثاره وأضراره من عصر لآخر تبعاً للأسباب الدافعة ، والبيئة المحيطة . .

* ظاهرة الغلو فى العصر الحديث لم تنشأ من فراغ ، لذلك فسؤوليتها ترجع إلى جهات متعددة ، وليس من الإنصاف أن نلقى باللوم كله على المصابين إنما يشترك معهم محض التربية الأولى والأسرة والعلماء ، والحكام ، والمجتمع بأجهزته المختلفة . . .

* علاج هذا المرض ليس مستحيلاً ، إنما هو أمر ممكن بحيث لا يحصر فى أضيق دائرة ولا يشكل ظاهرة . ولنا فى تاريخ أسلافنا

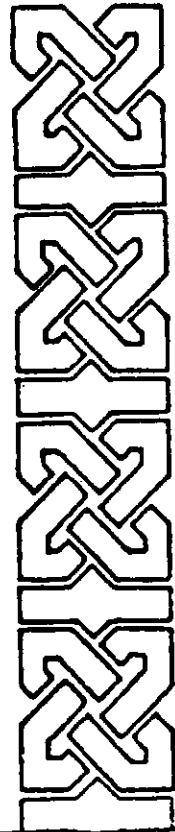
عبرة حيث كان العرض يظهر ثم يعالج فيختفى .
وفي عصرنا الحديث قد اختلفت بعض المظاهر أو على الأقل
خفت حدتها .

* العلاج الناجح لا يكون إلا بتعاون المسئولين ، وإتقان الوسيلة
المستخدمة ، وقيام الشباب بواجبهم . وإن أى خلل فى أحد
هذه الأركان الثلاثة سيلازمه تأخر الشفاء .
* * العيب الأكبر فى العلاج يقع على العلماء المتخصصين فى
العلوم الشرعية ، لأن مسئوليتهم أمام الله عظيمة ، فهم الموجهون
للحكام وللمجتمع بجميع قطاعاته . .
- ولأن الظاهرة دينية .

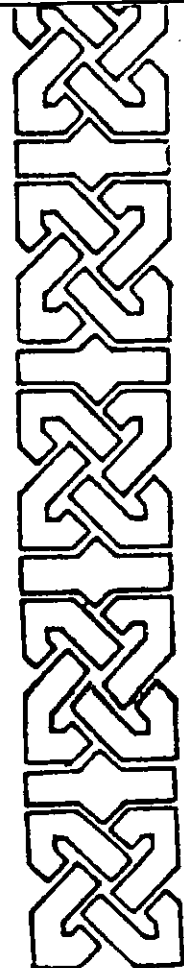
- ولأن سببها الأكبر يكمن فى الانحراف الفكرى .

ولقد رأينا فى أثناء عرض المظاهر والأسباب والعلاج العديد من مباحث
العقيدة ، والفقه ، والأصول ، والحديث ، والأخلاق ، وفقه الدعوة ...
وهذا يؤكد أن على علماء الشريعة واجباً كبيراً للإسهام فى دراسة
هذه الظاهرة وعلاجها .

وفى الختام أسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه .




الفهارس



فہرست


الآیات

| مكانها في البحث | رقمها | الآية و سورتها | سورة |
|-----------------|-------|--|--|
| | | |  |
| ٤٩٠ | ٤٤ | أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ | ١ |
| ٤٨٦ | ٨٥ | أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ . . . | ٢ |
| ١٤ | ٨٧ | أَفَلَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . | ٣ |
| ٣٤ | ٩٦ | وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا . . | ٤ |
| ٢٢ | ١٠٩ | وَد كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُوا نِعْمَ مَنْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ . . . فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . . | ٥ |
| | ١١٥ | وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . . | ٦ |
| ١٣٠١ | ١٤٣ | وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا | ٧ |
| ٣٠٥ | ١٥٩ | إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ . . | ٨ |
| ٣٨٨ | ١٧٠ | وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . | ٩ |
| | | ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ . . | ١٠ |
| ٥٣٥ | ١٧٨ | | |
| ١٣٢ | ١٨٣ | ١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ . | ١١ |
| ٣١٠ | ١٨٥ | ١٢ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ . . . | ١٢ |
| ٥٠ | ٢٠١ | ١٣ وَهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . | ١٣ |

| سلسلة | الآية وسورتها | رقمها | مكانها في البحث |
|-----------------------------|---|-----------------|-----------------|
| ١٤ | يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة | ٢٠٨ | ٤٨٦ ، ٣٧٤ |
| ١٥ | أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . . | ٢١٤ | ٤٦٢ ، ٤٥١ |
| ١٦ | ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . . | ٢١٧ | ٢٠٨ |
| ١٧ | إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين | ٢٢٢ | ٤٤٨ |
| ١٨ | وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم . . | ٢٢٧ | ٥٣٥ |
| ١٩ | الله ولي الذين آمنوا . . | ٢٥٧ | ١٨٢ |
| ٢١ | وأحل الله البيع وحرم الربا . . | ٢٧٥ | ٤٦ |
| ٢٢ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقِيَ من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلُوا فأنزِلنا بحرب من الله ورسوله . | ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٥٧ | |
| ٢٣ | آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . | ٢٨٥ | ٢٣ |
| ٢٤ | | ٢٨٦ | ٣٤٦ ، ٣٣٩ |
| سُورَةُ الْغُثَرِانِ | | | |
| ٢٥ | هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . . | ٧ | ٤١٥ |
| ٢٦ | إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسـط من الناس فبشرهم بعباب أليم . . | ٢١ | ١٥ |

| سلسل | الآية وسورتها | رقبها | مكانها في البحث |
|---------------------------|--|-------|--------------------|
| ٢٧ | واعتصوا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا | ١٠٣ | ٥٣٣ |
| ٢٨ | ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر | ١٠٤ | ٥٤٠ ، ٣١ |
| ٢٩ | فيما رحمة من الله لنت لهم . . | ١٥٩ | ٢٩٧ ، ٢٤٥ ، ٤٩٦ |
| ٣٠ | لتبطلون في أموالكم وأنفسكم . | ١٨٦ | ٣٧٩ |
| ٣١ | يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا ورابطوا .. | ٢٠٠ | ٣٧٩ |
| سُورَةُ النِّسَاءِ | | | |
| ٣٢ | فانكحوا ما طاب لكم من النساء | ٣ | ٤٦ |
| ٣٣ | إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً . . | ١٠ | ٤١١ |
| ٣٤ | إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم . . | ٣١ | ٣٢٩ |
| ٣٥ | وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها | ٣٥ | ٥٠٧ |
| ٣٦ | إن الله لا يفرأ أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء | ٤٨ | ٣٣٠ ، ٨٩ ، ٤١٤ |
| ٣٧ | فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول . . | ٥٩ | ٥٣٢ ، ٧٩ ، ٣٢ |
| ٣٨ | كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . . | ٧٧ | ٤٤ |
| ٣٩ | وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به .. | ٨٣ | ٤٠٣ |
| ٤٠ | ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن . | ١٢٧ | ٥٥٨ |
| ٤١ | يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط | ١٣٥ | ٤٤١ ، ٢٧٨ |
| | شهدا لله . . | | ٤٩٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٤ |

الآية وسورتها رقمها مكانها في البحث

| | | | |
|--|-----|--|----|
| ٤٨٧ | ٤٥ | و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . | ٥٤ |
| ٤٨٧ | ٤٧ | ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . | ٥٥ |
| ٤٤١ | ٤٩ | وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم . . | ٥٦ |
| ٤٨٦ | ٥٠ | أفحكم الجاهلية يبغون | ٥٧ |
| ٢٢٢ | ٥٤ | أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . | ٥٨ |
| ١٧ | ٧٢ | لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم . . | ٥٩ |
| ١٨ | ٧٥ | ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة . . | ٦٠ |
| ٤٤١، ٨٥، ٥٦ | ٧٧ | قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . . | ٦١ |
| ٦٣، ٦٢، ٤٥ ١٠٧ | ٨٧ | يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم . . | ٦٢ |
| ٥٠٧ | ٩٥ | يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم | ٦٣ |
| ٢٢٧ | ١١٢ | إن قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء | ٦٤ |
|  | | | |
| ١٤١ | ١ | ثم الذين كفروا بربهم يعدلون | ٦٥ |
| ٣٦ | ٢٩ | وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بباعوثين | ٦٦ |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|-----------------|-------|---|
| ٤٢٥ | ٣٤ | ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا وحتى أتاهم نصرنا . . |
| ٥٤٩٠٢٩٦ | ١٠٨ | ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم |
| ٣٣٢ | ١٣٦ | وجعلوا الله مازراً من الحرث والأنعام نصيباً |

سُورَةُ الْاِنشِرَاقِ

| | | |
|--------|-----|---|
| ٤٧ | ٣١ | يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد |
| ٥٠٦٠٤٤ | ٣٢ | قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده |
| ٣٤٦ | | والذين آمنوا وعلوا الصالحات لانكف |
| | ٤٢ | نفساً الا وسعها |
| ٤٣٩ | ٤٣ | وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا . . |
| | ٩٦ | ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض |
| ٤٣٦ | ٩٩ | أفأمنوا مكر الله |
| ٢٥ | ١٥٦ | ورحمته وسعت كل شيء . . |
| ٣١٣٠٢٦ | ١٥٧ | الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . . |
| ٢٩ | ١٨٨ | قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً الا ما شاء الله . . |

سُورَةُ الْاِنشِقَاقِ

| | | |
|---------|----|---|
| ٤١٧٠٢٥٥ | ٢٩ | يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا . . |
| ٣٥٧ | ٣٩ | وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله |
| ٥٣٢ | ٧٣ | والذين كفروا بعضهم أولياء بعض |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية و سورتها | |
|----------------------------|-------|--|----|
| سُورَةُ التَّوْبَةِ | | | |
| ٣٥٧ | ٥ | فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم . . | ٨٢ |
| ١٣٨ | ٦ | وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . . | ٨٣ |
| ٢٧ | ٢٤ | قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم . . | ٨٤ |
| ٥٦٠١٨ | ٣١ | اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . . | ٨٥ |
| ٢٨٥٠٣٥ | ٣٤ | يأيتها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل . | ٨٧ |
| ٤٣٩ | ١٢٨ | لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . | ٨٨ |
| سُورَةُ يُوسُفَ | | | |
| ٤٣ | ٢٤ | إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . . | ٨٩ |
| ٢٠٥٠١٨٢ | ٦٢ | ألا إن أولياء الله لا يخوف عليهم ولا هم يحزنون . . | ٩٠ |
| سُورَةُ هُودٍ | | | |
| ٣١٩ | ١٩:١٨ | ألا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً . . | ٩١ |
| ٣٥٢ | ١١٤ | وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات . | ٩٢ |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|-----------------|-------|--|
| | | سُورَةُ الْأَنْعَامِ |
| ٧٩ | ٢ | ٩٣ إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون |
| ٦٧ | ٢١ | ٩٤ والله غالب على أمره |
| ٥٠٦ | ٤٥ | ٩٥ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه |
| ٣٧٩ | ١٠٨ | ٩٦ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة |
| ٥٤ | ١١١ | ٩٧ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب |
| | | سُورَةُ الرَّعَدِ |
| | ١٧ | ٩٨ فأما الزبد فذهب جفاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض |
| ٢٨ | ٣٨ | ٩٩ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية |
| | | سُورَةُ الْحَجَّجِ |
| ١٢ | ٩ | ١٠٠ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون |
| | | سُورَةُ الْفَتْحِ |
| ٤٠٢٠٣٩٠٣٠ | ٤٣ | ١٠١ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون |
| ٤٣٩ | ٥٣ | ١٠٢ وما بكم من نعمة فمن الله |
| ٣٤٤ | ١٠٦ | ١٠٣ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان |
| ٦٣ | ١١٦ | ١٠٤ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب |
| | ١٢٥ | ١٠٥ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن |
| | | سُورَةُ الْأَنْعَامِ |
| ٤٢٠ | ١١ | ١٠٦ وكان الإنسان عجولاً |
| ٣٤٣٠٣٣٤ | ١٥ | ١٠٧ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً |
| ٤٣ | ١٨ | ١٠٨ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . . . |
| ٤٨ | ٢٩ | ١٠٩ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تهنطها كل البسط . . . |
| ٤٦ | ٣٢ | ١١٠ ولا تقربوا الزنى . . |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|-------------------------------|--------|--|
| ٢٥٥ | ٨١ | ١١٢ وقل جاء الحق وزهق الباطل |
| | ١٠٥ | ١١٣ والحق أنزلناه وبالحق نزل |
| سُورَةُ الْكَهْفِ | | |
| ٤٣ | ٤٥ | ١١٤ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا . . . |
| ٢٩ | ١١٠ | ١١٥ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي |
| سُورَةُ هُودٍ | | |
| ١٨٢ | ٩٣ | ١١٦ إن كل من في السموات والأرض إلا آتسي الرحمن عبداً . |
| سُورَةُ الْجُاثِيَةِ | | |
| ٢٨٤ | ٥ | ١١٧ الرحمن على العرش استوى |
| ٤٩٥، ٢٩٥ | ٤٤: ٤٣ | ١١٨ اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً ليناً . . . |
| ٤٥٥ ، ١٢ | ١٢٣ | ١١٩ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى |
| | ١٢٤ | ١٢٠ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً . . . |
| ٣٣٥ | ١٣٤ | ١٢١ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا . . . |
| سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ | | |
| ٤٠٢، ٣٩٠، ٢٣٠ | ٧ | ١٢٢ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|-------------------------------|-------|---|
| ٢٥٥ | ١٨ | ١٢٣ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق |
| ٢٨ | ٣٤ | ١٢٤ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفران مت فهم الخالدون |
| ٤٢٥، ٤٢٠ | ٣٧ | ١٢٥ خلق الإنسان من عجل . . |
| سُورَةُ الْحَجِّ | | |
| ٣١٣، ١٣ | ٧٨ | ١٢٦ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج . . . |
| سُورَةُ الْمُنْفِقِينَ | | |
| ٢٠٨ | ٥٣ | ١٢٧ كل حزب بما لديهم فرحون |
| ٧٨ | ٧١ | ١٢٨ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن |
| سُورَةُ التَّوْبَةِ | | |
| ٤٧ | ٣٦ | ١٢٩ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . . . |
| سُورَةُ الْفُرْقَانِ | | |
| ٢٨ | ٢٠ | ١٣٠ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . . |
| ٤٨ | ٦٧ | ١٣١ والسذيين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا . . |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها | |
|-----------------------------|---------|--|-----|
| سُورَةُ الشُّعَرَاءِ | | | |
| ٧٩ | ١٩٥:١٩٢ | وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . | ١٣٢ |
| سُورَةُ الْقَصَصِ | | | |
| ٤٤١ | ٥٠ | ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله | ١٣٣ |
| ٣٣٥ | ٥٩ | وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمتها رسولاً يتلو عليهم آياتنا | ١٣٤ |
| ٤٥ | ٧٧ | وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا . . | ١٣٥ |
| ٤٣٥ | ٨٣ | تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للتقين | ١٣٦ |
| سُورَةُ الْجِنِّ | | | |
| ٤٥١ | ٣:١ | ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم . . | ١٣٧ |
| ١٣٢ | ٤٥ | وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر | ١٣٨ |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|------------------------------|-------|--|
| سُورَةُ الرَّحْمٰنِ | | |
| ١٩٩ | ٢١ | ١٣٩ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة |
| ١٢ | ٣٠ | ١٤٠ فأقسم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها |
| سُورَةُ الْقٰنٰثِرٰتِ | | |
| ٢٩٢ | ١٥:١٤ | ١٤١ وو صينا الإنسان بوالديه . . |
| ٤٥٢، ٣٧٩، ٢٩٦، ٤٩٤ | ١٧ | ١٤٢ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك |
| سُورَةُ التَّيٰنٰتِ | | |
| ٤٦ | ١٦ | ١٤٣ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وسارزوناهم ينفقون . |
| سُورَةُ الْاٰخِزٰبِ | | |
| ٣٣٨ | ٥ | ١٤٤ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به . . |
| ٢٧ | ٥٦ | ١٤٦ إن الله وملائكته يصلون على النبي . . |
| سُورَةُ فَطٰرٍ | | |
| ٢٨٤ | ١٠ | ١٤٧ إليه يصعد الكلم الطيب |
| ٣٠ | ٢٨ | ١٤٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء |

الآية وسورتها رقمها مكانها في البحث

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٤٩ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى . .

١٥٠ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من
التكلفين

سُورَةُ الْبُقُرَاتِ

١٥١ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون

١٥٢ إنا يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب

١٥٣ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر
الذنوب جميعاً

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٥٤ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات . .

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٥٥ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل
صالحاً وقال إني من المسلمين . . .

سُورَةُ الشُّورَى

١٥٦ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي
أوحينا إليك

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|--|-------|--|
| ٣٣ | ٢١ | ١٥٧ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله |
| ٣٥١ | ٢٥ | ١٥٨ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . |
| ٢٤٥ | ٣٨ | ١٥٩ وأمرهم شورى بينهم |
|  | | |
| ٥٠٦ | ٥٨ | ١٦٠ بل هم قوم خصمون |
|  | | |
| ٤٤١ | ٢٣ | ١٦١ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه |
| ٣٦ | ٢٤ | ١٦٢ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر سورة الاحقاف |
| ٣٧٩ | ٣٥ | ١٦٣ فاصبر كما صبر أولو العزم سورة محمد |
| ١٨٢ | ١١ | ١٦٤ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم |
| ٣٧ | ١٢ | ١٦٥ والذين كفروا يتسعون وما يكون كما تأكل الأنعام |
|  | | |
| ١٤٧ | ١٨ | ١٦٦ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|--------------------------------|---------|--|
| ٢٣٢، ٢٢٢، ١٤٦ | ٢٩ | ١٦٧ محمد رسول الله والذين معه أشهدا على الكفار رحما بينهم . |
| سُورَةُ الْمَخْزَاتِ | | |
| ٥٤٥ | ٦ | ١٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا |
| ٣٥٦، ٣٣٠ | ١٠ : ٩ | ١٦٩ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا |
| ٥٢٢، ٤٣٦ | ١١ | ١٧٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ |
| ٢٦٢ | ١٢ | ١٧١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ |
| ٤٣٦ | ١٣ | ١٧٢ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى |
| سُورَةُ الذَّارِعَاتِ | | |
| ٤٨ | ١٩ : ١٧ | ١٧٣ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَالْأَسْحَارُ هَمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ . |
| سُورَةُ الْجِنِّ | | |
| ٤٣٦، ٣٢٩ | ٣٢ | ١٧٤ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَاءَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلاَّ الْلمم . . |
| سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ | | |
| ١٤٦ | ١٠ | ١٧٥ لَا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ وَقَاتِل . . |
| ١٠٦، ٤٦، ٤٤، ٣٩ | ٢٧ | ١٧٦ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ . . |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|----------------------------|--------|---|
| سُورَةُ الْحَجَّاتِ | | |
| ٣٠ | ١١ | ١٧٧ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . . . سورة الحشر |
| ٥٤ | ٢ | ١٧٨ فاعتبروا يا أولى الأبصار سورة الصف |
| ٥٣٨ | ٨ | ١٧٩ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . |
| سورة الجمعة | | |
| ٤٨ | ١٠ : ٩ | ١٨٠ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . . . |
| سُورَةُ النَّعَمِ | | |
| ٣٤٦ ، ٢٣٩ | ١٦ | ١٨١ فاتقوا الله ما استطعتم |
| سُورَةُ الْمَلِكِ | | |
| ٣٣٥ | ٩ : ٨ | ١٨٢ كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا : بلى . . . |
| سُورَةُ الْقَمَارِ | | |
| ١٨٤ ، ٨٧ | ٤ | ١٨٣ وانك لعلى خلق عظيم |
| ٤٥٢ | ٤٨ | ١٨٤ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم |

| مكانها في البحث | رقمها | الآية وسورتها |
|-----------------|-------|--|
| | | سُورَةُ الْأَنْعَامِ |
| ٧٣ | ٢٣ | ١٨٥ وقالوا لا تدرن المهتمكم . . . |
| ٥١٣ | ٢٧ | ١٨٦ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً |
| | | سُورَةُ الْمَائِدَةِ |
| ٥٥٧ | ٧:١ | ١٨٧ يا أيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . و ثيابك فطهر . والرجز فاهجر . و لا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر |
| | | سُورَةُ الْفَيْلِ |
| ١٨٧ | ١ | ١٨٨ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل |
| | | سُورَةُ قُرَيْشٍ |
| ١٨٧ | ١ | ١٨٩ لا يلاف قريش |

فہرست
الأحادیث

| <u>مكانه في البحث</u> | <u>الحديث</u> | <u>سلسل</u> |
|-----------------------|--|-------------|
| | حرف (أ) | |
| (١١٢) | أجعلتني لله عدلاً | ١ |
| | أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان | ٢ |
| (١٠٢) | وابى الدرء | |
| (٢١٠) | إذا تبايعتم بالعينة | ٣ |
| ٢٤٠) | إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران | ٤ |
| (١٨٤٠٦٩) | إذا رأيتم المداحين فأحشوا في وجوههم التراب | ٥ |
| ٢٦٠) | إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم | ٦ |
| ١٩١) | إذا نهيتكم عن شيء فأجتنبوه | ٧ |
| ٣٥١) | أذنب عبد ذنباً | ٨ |
| | ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله | ٩ |
| ١٨٧) | عليه وسلم | |
| ٤٩) | اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى | ١٠ |
| (٤٥٧٠٩٥٠٨٨) | ألم أخبرك أنك تقوم الليل وتصوم النهار | ١١ |
| (٩٣٠٦٤٠٤٩) | أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له | ١٢ |
| ٤٦) | إن أحب الصيام إلى الله صيام داود | ١٣ |
| ٣٣١) | إن أحسن الحديث كتاب الله | ١٤ |
| | إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما | ١٥ |
| ٣٤٥٠٣٣٩) | استكروهوا عليه | |
| ٤٩٦٠٢٩٧) | إن الله يحب الرفق فى الأمر كله | ١٦ |
| ٥٤٥) | إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم | ١٧ |
| | إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات | ١٨ |
| ١٨٦٠٢١) | بنوا على قبره سجداً | |
| ٩٤) | أنتم الذين قلتم كذا وكذا | ١٩ |
| ٥٩) | إن الدين يسر . ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه | ٢٠ |
| (٤٩٦٠٢٩٧) | إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه | ٢١ |
| ٥٥٦ | | |
| ٣٥٣) | إن شفاعتى يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتى | ٢٢ |

| <u>مكانه في البحث</u> | <u>الحديث</u> | <u>سلسل</u> |
|-----------------------|--|-------------|
| | تابع حرف (أ) | |
| ٤٥٩) | انك لتقل الصيام | ٢٣ |
| ٣١١) | انكم قد دونتم من عدوكم والغطر أقوى لكم | ٢٤ |
| ٤٩) | ان لزوجك عليك حقاً | ٢٥ |
| | انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها | ٢٦ |
| ٤٢٧) | ذكر الجنة والنار | |
| ١٢٣) | ان من ضئضىء هذا قوما يقرأون القرآن | ٢٧ |
| ٤٦٠، ٥٨) | ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق | ٢٨ |
| ٧١) | انه لا يستغاث بهي وانما يستغاث بالله | ٢٩ |
| | انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها | ٣٠ |
| ٤٤٧، ١٤٠) | على المؤمنين | |
| ٧٢) | انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل | ٣١ |
| ٣١٤) | انى لأندخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها | ٣٢ |
| ٢٦٣) | اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث | ٣٣ |
| ٤٥٥، ٨١، ٥٣) | اياكم والغلو في الدين | ٣٤ |
| ٣٢٠) | أيا رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما | ٣٥ |
| ٤٦٣) | أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو | ٣٦ |
| | حرف (ب) | |
| | ===== | |
| ٢٥٦) | بئس أخو العشيرة | ٣٧ |
| | بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم | ٣٨ |
| ١٩) | الحرام فاتبعوهم | |
| | بيننا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اذا هو | ٣٩ |
| ١٠١) | برجس قائم | |
| | حرف (ثا) | |
| | ===== | |
| ٢٦) | ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان | ٤٠ |

| <u>مكانه في البحث</u> | <u>الحديث</u> | <u>سلسل</u> |
|-----------------------|---|-------------|
| | <u>حرف (ح)</u> | |
| | حدثوا الناس بما يعرفون | ٤١ |
| ٤٤٩ | حفت الجننة بالمكارة .. | ٤٢ |
| ١٠٤ | حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه .. | ٤٣ |
| | <u>حرف (خ)</u> | |
| ٩٢ | خير أمتي قرني .. | ٤٤ |
| ٢٠٠ | خيركم خيركم لأهله .. | ٤٥ |
| | <u>حرف (د)</u> | |
| ٢٤٦ | الدين النصيحة .. | ٤٦ |
| | <u>حرف (س)</u> | |
| ١٢٣ | سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان | ٤٧ |
| | <u>حرف (ص)</u> | |
| ٣٢٩ | الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن .. | ٤٨ |
| | <u>حرف (ع)</u> | |
| ٣٢ | العلماء ورثة الأنبياء | ٤٩ |
| ١٠٤ | عليكم من العمل ما تطيقون | ٥٠ |
| | <u>حرف (ق)</u> | |
| ٣٤٢ | قتلوه قتلهم الله ، أو لم يكن شفاة العى السوءال | ٥١ |
| ١١٣ | قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان | ٥٢ |

مكانه في البحث

الحديث

سلسل

حرف (ك)

| | | |
|-----|---------------------------------------|----|
| ٤٢٨ | كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض | ٥٣ |
| ٣٣٥ | كان رجل يسرف على نفسه . . | ٥٤ |
| ٤٥٩ | كان يصوم يوماً ويفطر يوماً | ٥٥ |

حرف (ل)

| | | |
|----------|---|----|
| ١٨٦ | لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها | ٥٦ |
| ٣٣٠ | لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض | ٥٧ |
| ٨٦٠ ٥٧ | لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم | ٥٨ |
| ١٨٤٠ ٢٩ | لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم | ٥٩ |
| ٥٣٦٠ ١١٤ | لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم | ٦٠ |
| ٤١٢٠ ١١٤ | لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله | ٦١ |
| | لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليكم | ٦٢ |
| ٢٦ | من نفسك | |
| ٤٦٤٠ ٣٧١ | لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان | ٦٣ |
| ٤٣٥ | لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر | ٦٤ |
| ٣٢٠ - ٦٦ | لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر | ٦٥ |
| | لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح | ٦٦ |
| ١٢٤ | الدجال | |
| ٢٣٠ | لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة | ٦٧ |
| | لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده | ٦٨ |
| ٢٦ | وولده | |
| ١٨٦ | لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد | ٦٩ |
| ٤١٢٠ ٣١٩ | لعنت الخمر على عشرة أوجه . | ٧٠ |
| ٢١ | لعنة الله على اليهود والنصارى | ٧١ |
| ٣١٩ | لعن رسول الله آكل الربا وموكله | ٧٢ |

| <u>مكانه في البحث</u> | <u>الحديث</u> | <u>سلسل</u> |
|-----------------------|---|-------------|
| | <u>حرف (م)</u> | |
| ١١٤ | ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما . | ٧٣ |
| ١٥ | ما زالت أكلة خبير تعاودني | ٧٤ |
| | ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من يوم القيامة | ٧٥ |
| ٤٥ | من خلق حسن | |
| ٣٥٣ | ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه | ٧٦ |
| ٣٥٢ | ما من ميت يصلى عليه جماعة من المسلمين | ٧٧ |
| ٥٤٠، ٣٠٨ | من رأى منكم منكراً فليغيره بيده | ٧٨ |
| | من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله | ٧٩ |
| ٢٣٢، ٢٢١ | الغربة | |
| ٣٠٥ | من سئل علم فكتفه | ٨٠ |
| ٢٦٤ | من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة | ٨١ |
| ١٨٢، ٣١ | من عارى لى ولياً . | ٨٢ |
| ٣٣١، ٣٢ | من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد | ٨٣ |
| ٣٥٣ | من مات وعليه صيام صام عنه وليه | ٨٤ |
| ٤٩٦، ٢٩٧ | من يحرم الرفق يحرم الخير | ٨٥ |
| | <u>حرف (ن)</u> | |
| | نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي | ٨٦ |
| ٣٤٧ | صاحب الحبشة | |
| | <u>حرف (هـ)</u> | |
| ١٩٩ | هلا جارية تلاعبها وتلاعبك | ٨٧ |
| ٤٥٥، ٨٥، ٦٢ | هلك المتنطعون . . | ٨٨ |

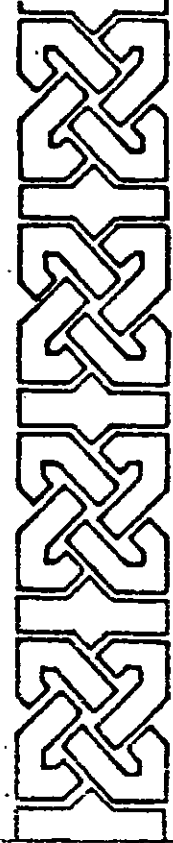
| <u>مكانه في البحث</u> | <u>الحديث</u> | <u>سلسل</u> |
|-----------------------|--|-------------|
| | <u>حرف (و)</u> | |
| ٢٥٤ | والله ليهتمن الله هذا الأمر | ٨٩ |
| ١٢٢ | ويلك ومن يعدل إن لم أعسدل | ٩٠ |
| | <u>حرف (ي)</u> | |
| ٤٦٩ | يا أيها الناس إن منكم منفرين | ٩١ |
| | يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم | ٩٢ |
| ١١٣٠٦٩ | الشیطان | |
| ٣٣٧ | يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط | ٩٣ |
| | يا رسول الله أخبرني ماذا فرص الله عليّ من | ٩٤ |
| ٣١٢ | الصلاة | |
| | يا عائشة لولا أن قومك حديث عهدهم بکفر | ٩٥ |
| ٤٦٨٠٣١٤ | يا معاذ أفتان أنت . . | ٩٦ |
| | يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان | ٩٧ |
| | قلبه | |
| ٤٥٧ | يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم . . . | ٩٨ |
| | يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراعتكم | ٩٩ |
| ١٣١ | إلى قراعتهم بشئ * | |
| | يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن يحسبون أنه | ١٠٠ |
| ١٢٤ | لهم وهو عليهم | |
| ٣١٥ | يسروا ولا تعسروا | ١٠١ |
| ١٣٤ | يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان | ١٠٢ |
| ٢٠٩ | يوشك أن تداعى عليكم الأمم | ١٠٣ |

فهرس النقول عن شيخ الاسلام ابن تيميه

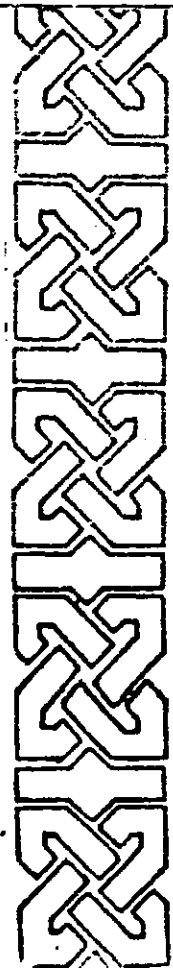
| <u>الموضوع</u> | <u>المفحه</u> |
|---|---------------|
| • تغليل النمارى لجهال المسلمين . | ٢٢ |
| • البعد عن القلوب . | ٥٢ |
| • تحديد معنى الممطلحات . | ٧٧ |
| • تعريف الغلو . | ٨٩ |
| • أقرب البدع الخوارج . | ١٢٥ |
| • أصل ضلال الخوارج . | ١٢٧ |
| • العطاء للمطلحه مقدم على العطاء للحاجه . | ١٣٠ |
| • معاقبة على للشيعة المفضلة . | ١٥٨ |
| • ابن سبأ مؤسس الشيعة الرافضة . | ١٦١ |
| • حج الشيعة الى المقابر والمشهد . | ١٦٦ |
| • نشأة الموفيه وسبب التسميه . | ١٧١ |
| • التنازع فى الموفيه والتصوف والرأى الوسط . | ١٧٣ ، ١٧٤ |
| • انحراف التصوف . | ١٧٥ |
| • معنى الزهد . | ٢٠١ |
| • العبرة بالمسميات لا الأسماء . | ٢٠٣ |
| • الاختلاف فى الفروع لا يكون سببا فى الهجر . | ٢١٩ |
| • الاختلاف فى دقيق الأصول لا يكون سببا فى الهجر . | ٢٢٠ |
| • من صور الانحراف عن أتباع الائمة . | ٢٢٢ ، ٢٢٦ |
| • نم الاستبداد بالرأى فى الامور الاجتهاديه . | ٢٣٤ - ٢٣٦ |
| • اجتهاد العلماء فى الاحكام كأجتهاد المستدلين على • جهة الكعبة . | ٢٤٠ |
| • قد يعنى عن الامام ما لا يعنى عن التابع . | ٢٤٢ |
| • يستحب القمد الى تأليف القلوب وليسو بترك • المتجات . | ٢٥٣ |
| • الدفاع عن الامام أبى حنيفة . | ٢٧٢ ، ٢٧٣ |

| <u>الموضوع</u> | <u>المفحة</u> |
|--|--------------------|
| النهي عن تتبع وحكاية ذلات العلماء . | ٢٨٠ |
| من ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه الشك . | ٢٨١ |
| تقيم الرازي . | ٢٨٤ |
| خير هذه الامه علمائها . | ٢٨٥ |
| تنبيه على أخطاء بعض الناس في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه لابد من العلم والرفق ، والمصبر . | ٢٨٦ ، ٥٤١ ، ٥٥٧ |
| من غالية المتفقه والمتكلمه من يوجب النظر والاجتهاد على كل أحد . وذكر الرأي الوسط . | ٣٠٢ |
| ما فاتحت عاميا في آيات وأحاديث الصفات . | ٣٠٥ |
| الاجمال هو الواجب والتفصيل ندب . | ٣٠٦ |
| مخاطبة الشخص على قدر فهمه . | ٣٠٨ |
| عدم تكفير المرجئه والشيعة المفضلة . | ٣٢٦ |
| تفاوت أهل البدع . | ٣٢٧ |
| العذر بالجهل . | ٣٣٦ |
| العفو عن المخطيء الموءل في المسائل الخبرية والعلمية والعملية . | ٣٣٦ |
| مثال المخطيء غير المعذور . | ٣٤١ |
| العقوبة قبل الحجة ليست مشروعة . | ٣٤٣ |
| عفو الله عن العاجز وعدم موأخذته . | ٣٤٥ : ٣٤٨ |
| موانع التكفير عن الشخص المعين . | ٣٥٠ |
| وجوب قتال كل طائفة ممتنعه عن شريعة من شرائع الاسلام المتواترة الظاهرة . | ٣٥٦ |
| قتل الداعية الى البدعه سواء كان كافرا أو ليس بكافر . | ٣٥٦ |
| عدم تكفير من لم يكفر الكافر المختلف فيه . | ٣٦٢ |

| <u>الموضوع</u> | <u>الصفحة</u> |
|---|---------------|
| كل من أقرب بالله فعنده قدر من الايمان . | ٣٦٤ |
| أهل السنه لا يكفرون من خالفهم وان كان المخالف يكفرهم . | ٣٧٠ |
| محنة الامام أحمد وعدم تكفيره للجهميين المعينين . | ٣٧١ |
| الروايه عن من رمى ببدعه من الماكتين . | ٣٨٥ |
| استعمال الهجر والانكار في غير محله . | ٣٨٦ |
| صورة التقليد الباطل المذموم . | ٣٩٢ |
| تعريف الجهميه المحضه . والتباس فهمها على البعض | ٤٥٨ ، ٤٥٩ |
| الحكم على المعين يتوقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه . | ٤١١ |
| ازالة الشكايه قبل العقاب . | ٥١٨ |
| حكم قتال الأئمه . | ٥٤٢ |



المصادر والمراجع



فهرس المرجع

حرف الألف

- ١ - أخبار الخوارج أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد .
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسى
مكتبة الرياض الحديثة بالرياض / ١٣٩١ : ١٩٧١
د . طه جابر فياض العلوانى - كتاب الأمة
(٩) ط ١ ١٤٠٥ هـ .
- ٢ - الآداب الشرعية
والمنح المرعية
٣ - أدب الاختلاف
فى الإسلام
٤ - أدب الدنيا
والدين .
- أبو الحسن على بن محمد بن جليب البصرى الماورى
تحقيق مصطفى السقا / الحلبي القاهرة ط ٤ ١٣٩٣
١٩٧٣ م .
- ٥ - الإصابة فى تمييز
الصحابه
٦ - الاعتصام
شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر
المسقلانى / مطبعة السعادة القاهرة / ط ١ ١٣٦٨ هـ
العلامة أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد
اللخمي الشاطبي - تحقيق محمد رشيد رضا
المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
- ٧ - اعتقادات فرق
المسلمين والمشركين
٨ - أعلام الموقعين عن
رب العالمين
٩ - اقتضاء الصراط
الستقيم مخالفة
أصحاب الجحيم
١٠ - الانتقاء فى فضائل
الثلاثة الأئمة الفقهاء
١١ - أوائل المقالات فى
المذاهب المختارات
- فخر الدين الرازى - مراجعة على سامى النشار -
دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .
شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية -
تعليق طه عبدالرؤف سعد - مكتبة
الكليات الأزهرية - القاهرة .
شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق : محمد
حامد الفقى / مطابع المجد التجارية
القاهرة .
الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر
مكتبة القدس - القاهرة .
أبو عبد الله بن محمد بن النعمان الطقب بالشيخ
المفيسد - مكتبة الداوى - إيران ط ٢
١٢٧١ ق هـ .

حرف الباء

- ١٢ - البداية والنهاية الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير مكتبة المعارف بيروت / ط ٢
٠م١٩٧٧

حرف التاء

- ١٣ - تاريخ بغداد الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٤ - المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ١٥ - التبصير في الدين الإمام أبو الطاهر الأسفرائيني - تحقيق كمال يوسف
الحوت / عالم الكتب - بيروت / ط ١ ١٤٠٣ هـ .
- ١٦ - تحذير الساجد محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي
دمشق - بيروت - ط ٣ ١٣٩٨ هـ .
- ١٧ - تذكرة السامع والقائم في آداب العالم والمتعلم القاضي ابن جماعة الكثاني - دار الكتب العلمية
بيروت / ١٣٥٤ هـ .
- ١٨ - تفسير القرآن العظيم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير - دار
المعرفة بسيروت ١٣٨٨ ١٩٦٩ .
- ١٩ - التفسير الواضح د . محمد محمود حجازي / دار الكتاب العربي
بيروت ط ١ ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م
- ٢٠ - التفسير: جذوره وأسبابه - مبرراته د . نعمان عبدالرازق السامرائي - دار المنارة
جدة / ط ١ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
- ٢١ - التكفير والهجرة وجهاً لوجه رجيب مذكور - مكتبة المدني القيم / القاهرة /
ط ١ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

تابع حرف التاء

٢٢ - تلبيس إبليس : الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي .
دارالكتب العلمية . بيروت / ط ١٣٦٨ ، ٢ هـ .

٢٣ - تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري . دار المصرية للتأليف
/ ت على حسن هاللي - محمد على النجار .

٢٤ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الوهاب . المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ط ٣ ، ١٣٩٧ هـ

(ج) حرف الجيم

٢٥ - جامع بيان العلم وفضله : الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري
القرطبي / دارالكتب العلمية . بيروت ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .

٢٦ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
الحلي . القاهرة .

٢٧ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام - أبو عبد الله محمد
ابن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دارالكتب العلمية . بيروت / ط ١ -
١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

٢٨ - جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدی ط ١ ، ١٣٤٥ ،
حيدرآباد الركن .

ح حرف الحاء

(٢٩) الحكم وقضية تكفير المسلم . سالم البهنساوي ، دارالبحوث العلمية . الكويت
ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

(٣٠) حياة الصحابة . محمد يوسف الكاندهلوى . دارالمعرفة - بيروت .

خ (حرف الخاء)

(٣١) خطط المقرئى / تقي الدين أحمد علي بن عبد القادر المقرئى ط / بـلوق

١٢٧٠ هـ .

د (حرف الدال)

(٣٢) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية بكر بن سعيد أعوش / الجزائر /

ط ٢ .

(٣٣) دراسات في الاختلافات الفقهية د . محمد أبو الفتح البيانوي . دارالسلام

عمان / ط ٢ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

(٣٤) دعاة لا قضاة . حسن الهضيبي / دارالسلام . بيروت ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨ م .

(٣٥) ديوان البوصيرى ، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج

البوصيرى . تحقيق محمد سيد كيلاني . ط ٢ الحلبي . القاهرة ١٣٩٣ هـ

ذ (حرف الذال)

(٣٦) ذكرياتي مع جماعة المسلمين عبد الرحمن أبو الخير ، دارالبحوث العلمية

الكويت / ١٤٠١ هـ ، ١٩٨٠ م .

ر (حرف الراء)

(٣٧) رجال الفكر والدعوة . أبو الحسن علي الحسن الندوى . دارالقلم / الكويت

ط ٦ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

(٣٨) الرد على البكري ، شيخ الإسلام ابن تيمية . مطبعة الاستقامة . مصر
١٣٧٧ هـ .

(٣٩) رياض الصالحين . الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي تحقيق عبد العزيز
ربيع وأحمد يوسف الدقاق . دار المأمون للتراث . دمشق
ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

ز (حرف الزاي)

(٤٠) زاد المعاد في هدى خير العباد . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم
الجوزية . تحقيق محمد حامد الفقي / مطبعة السنة المحمدية . القاهرة
١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .

(٤١) الزهد - الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني . دار الكتب العلمية
بيروت . ط ١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٤٢) الزهد والرقائق . للإمام عبد الله بن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي /
دار الكتب العلمية . بيروت .

س (حرف السين)

(٤٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة . محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي
دمشق . بيروت / ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

(٤٤) سنن ابن ماجه . أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٤٥) سنن أبي داود - الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني
الأزدى - تعليق عزت عبید الدعاس ، وعادل السيد . دار الحديث -
حمص سورية ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م .

(٤٦) سنن الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الحلبي - القاهرة

- ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

(٤٧) سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام

السندی . تعليق عبدالفتاح أبوغدة / دارالبشائر الإسلامية . بيروت

ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

(٤٨) سيرة ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام تحقيق مصطفى السقا

وزملاؤه . الحلبي . القاهرة / ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م .

(٤٩) سيرة و مناقب عمر بن الخطاب أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي دارالكستب

العلمية . بيروت ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

(٥٠) سيرة و مناقب عمر بن عبد العزيز أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تعليق نعميم

رزور / دارالكتب العلمية . بيروت / ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

ش (حرف الشـيين)

(٥١) شرح العقيدة الطحاوية . محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العـسـز

الحنفي ، تخريج المحدث محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي -

دمشق . بيروت ط ٥ ، ١٣٩٩ هـ .

ص (حرف الصاد)

(٥٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د . يوسف القرضاوي / كتاب الأمة (٢)

ط ٤ / ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .

(٥٣) صحيح مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشعيري النيسابوري

تحقيق محمد فواد عبد الباقي / دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي دار إحياء التراث العربي . بيروت ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .

(ط) حرف الطاء

(٥٥) طبقات الصوفية . لأبي عبد الرحمن السلمي / تحقيق نور الدين شريعة مكتبة الخانجي . القاهرة .

(ظ) حرف الظاء

(٥٦) ظاهرة الغلوفي التكفير : د . يوسف القرضاوي / مكتبة المنار الإسلامية الكويت / ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(ع) حرف العين

(٥٧) العبادة في الإسلام ، د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة . بيروت ط ٩ ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

(٥٨) عقائد الإمامية الاثني عشرية . إبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي . مؤسسة الوفاء - بيروت / ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

(غ) حرف الغين

(٥٩) غزوفي الصميم . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق بيروت / ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

(ف) حرف الفاء

(٦٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر مجد المستقلاني ترقيم محمد فواد عبد الباقي . الطبعة السلفية .

(٦١) الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار المعرفة . بيروت .

(٦٢) الفصل في المثل والأهواء والنحل - لأبي محمد علي بن حزم الظاهري . تحقيق

د . محمد إبراهيم نصر . د . عبدالرحمن عميرة . دار عكاظ . السعودية

/ ط ١ ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

(٦٣) الفقيه والمتفقه . أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . تعليق

الشيخ إسماعيل الأنصاري ، دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ ، ١٤٠٠

٠ م ١٩٨٠

(٦٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير . العلامة عبدالرؤف النادى . المكتبة

التجارية الكبرى / القاهرة / ط ١ ، ١٣٥٦ ، ١٩٣٨ م .

(٦٥) في ظلال القرآن . سيد قطب / دار الشروق . بيروت - القاهرة ، ط ٩ / ١٤٠٠

٠ م ١٩٨٠

(ق) حرف القاف

(٦٦) القاموس المحيط . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار الجليل .

لبنان .

(٦٧) الاقتصاد في الاعتقاد . أبو حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية . بيروت

ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

(٦٨) القواعد الثرواثية الفقهية . شيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق محمد حامد الفقي /

إدارة ترجمان السنة . لاهور / ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

(ك) حرف الكاف

(٦٩) الكشاف : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري وبذيله كتاب الانتصاف

دار المعرفة . بيروت .

(ل) حرف السلام

- (٧٠) لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين مكرم بن علي
ابن أحمد بن منظور . دار صادر . بيروت ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٤ م .
- (٧١) ليس من الاسلام . محمد الفزالي . دار الكتب الاسلامية . القاهرة / ط ٥ ،
١٩٨٣ م .

(م) حرف الميم

- (٧٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن علي الحسن الندوي . دار
الكتاب العربي . بيروت ط ٧ ، ١٤٠٢ هـ .
- (٧٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي .
مكتبة القدس . القاهرة .
- (٧٤) مجموعة التوحيد . رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية . و شيخ الإسلام محمد
ابن عبد الوهاب . المكتبة السلفية . المدينة المنورة .
- (٧٥) مجموع الفتاوى . شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم
وابنه محمد . توزيع دار الإفتاء . الرياض / ط ١ ، ١٣٩٧ هـ .
- (٧٦) محاضرات في النصرانية . محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي / ط ٣ ، ١٣٨١ هـ
١٩٦١ م .
- (٧٧) مختصر التحفة الاثني عشرية . مكتبة ايشيق . استانبول / ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .
- (٧٨) مختصر منهاج القاصدين . أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي . تعليق
شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . دار البيان . بيروت ١٣٩٨ -
١٩٧٨ م .

(٧٩) مدارج السالكين . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية . دار التراث

العربي . القاهرة / ط ١ ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢ م .

(٨٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر - بيروت .

(٨١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، محمد الفزالي . كتاب الأمة (١) .

١٤٠٢ هـ .

(٨٢) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام . عبد اللطيف بن

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ . دار الهداية . الرياض .

(٨٣) المصباح المنير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي / تحقيق د . عبد العظيم

الشاغوري - دار المعارف .

(٨٤) معالم في الطريق - سيد قطب / الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات

الطلابية .

(٨٥) معجم مقاييس اللغة . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق

عبد السلام هارون . الحلبي . القاهرة - ط ٢ ١٣٩١ - ١٩٧١ م .

(٨٦) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن

محمد) تحقيق محمد سيد كيلاني . الحلبي القاهرة (١٣٨١ هـ) ، ١٩٦١ م

(٨٧) مقالات الإسلاميين / أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية / ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

(٨٨) الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني تحقيق

محمد بن فتح الله بهران . مكتبة الأنجلو المصرية .

(٨٩) منهج التربية الإسلامية / محمد قطب / دار الشروق . بيروت . القاهرة ، ط ٧

١٤٠٣ - ١٩٨٣ م .

(٩٠) المؤامرة على الإسلام مستمرة . جابر رزق / دار الدعوة . الإسكندرية ،

ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(ن) حرف النون

(٩١) النهاية في غريب الحديث والأثر . الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك

ابن محمد الجزري . تحقيق طاهر احمد الزاوي ، و محمود محمد

الطناحي . المكتبة العلمية / بيروت .

(هـ) حرف الهاء

(٩٢) هذه هي الصوفية . عبدالرحمن الوكيل / مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ،

ط / ٤ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م .

فهرس

المَوْضُوعَاتُ
حصه

| | |
|---|-----|
| ٢ - معرفة أقوال من تقدم . | ٥٩٩ |
| ٣ - الاستيثاق، من الفهم . | ٥٦٠ |
| ٤ - التأني والترتيب وعدم التسرع . | ٥٦١ |
| ٥ - ان يقول فيما لا يعلم : الله أعلم . | ٥٦٢ |
| ٦ - الامساك عن الفتوى حال الغضب . | ٥٦٣ |
| ٧ - الخاتمة . | ٥٦٧ |
| ٨ - فهارس | ٥٧٠ |
| ٩ - فهرس الآيات . | ٥٧١ |
| ١٠ - فهرس الأحاديث . | ٥٨٩ |
| ١١ - فهرس النقول عن شيخ الاسلام ابن تيمية . | ٥٩٦ |
| ١٢ - فهرس المراجع . | ٦٠٠ |
| ١٣ - فهرس الموضوعات . | ٦١١ |

فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| المقدمة | ١ |
| أسباب اختيار الموضوع . | ٣ |
| خطة البحث . | ٤ |
| تنبيهات على المنهج . | ٦ |
| العقبات التي واجهتني . | ١٠ |
| اعتذار . | ١١ |
| شكر وتقدير . | |
| الباب الاول : مفهوم الغلو وحكمه وتاريخه . | ١٢ |
| الفصل الاول "تمهيدى" : وسطية منهج الاسلام . | ١٣ |
| النموذج الاول : الموقف من الانبياء والدعاة . | ١٤ |
| أولا : موقف اليهود . | |
| ثانيا : موقف النصارى . | ١٧ |
| ثالثا : موقف الاسلام . | ٢٣ |
| النموذج الثانى : الموقف من المادية والروحانية . | ٢٤ |
| أولا : موقف اليهود . | |
| ثانيا : موقف النصارى . | ٢٨ |
| ثالثا : موقف الاسلام . | ٤٣ |
| الفصل الثانى : تحذير الاسلام من الغلو . | ٥١ |
| أساليب تحذير الاسلام من الغلو . | ٥٢ |
| ١ - التحذير الصريح . | ٥٣ |
| ٢ - الاعتبار بالام السابقة . | ٥٤ |
| ٣ - توعيد الغلاة بالهلاك . | ٦٢ |
| ٤ - وصف الغلو بالاعتداء . | ٦٢ |

| | |
|------------------------------------|----|
| ٥ - تبرؤ الرسول من الغلو والغلاة . | ٦٤ |
| ٦ - التحذير من تكفير السلم . | ٦٥ |
| ٧ - سد الذرائع | ٦٧ |
| أولا : النهي عن الاطراء . | ٦٨ |
| ثانيا : النهي عن اتخاذ القبور ساجد | ٧٢ |

٧٥ الفصل الثالث : مفهوم الغلو

| | |
|---------------------------------------|----|
| أهمية تحديد معنى الألفاظ والمصطلحات . | ٧٦ |
| ما هو المقياس ؟ | ٧٨ |
| الغلو في اللغة . | ٨٠ |
| تعليق . | ٨٤ |
| الغلو في الشرع . | ٨٥ |
| نماذج توضح التعريف : | ٨٧ |
| (١) من القول . | ٨٧ |
| (٢) من الفعل . | ٨٨ |
| (٣) من الاعتقاد . | ٨٩ |

٩١ الفصل الرابع : الغلو في العصر النبوي :

| | |
|--|-----|
| نموذج : الثلاثة الرهط . | ٩٣ |
| نموذج آخر : عبدالله بن عمرو بن العاص . | ٩٥ |
| نموذج آخر : أبو اسرائيل . | ١٠١ |
| نموذج آخر : أبو الدرداء . | ١٠٢ |
| نموذج آخر : زينب . | ١٠٤ |
| خلاصة . | ١٠٩ |
| أسباب الغلو وعلاجه | ١١٠ |
| أولا : أسباب الغلو . | ١١٠ |
| ثانيا : أسلوب العلاج . | ١١١ |
| هل وقع غلو في العقيدة ؟ | ١١٢ |
| أولا . | ١١٢ |

| | |
|---------------------------------|-----|
| ثانيا . | ١١٣ |
| ثالثا . | ١١٤ |
| <u>الفصل الخامس : الخوارج :</u> | ١١٦ |
| تمهيد . | ١١٧ |
| تعريفهم . | ١١٩ |
| ألقابهم | ١١٩ |
| فرقهم | ١٢٠ |
| جماع رأى الخوارج . | ١٢١ |
| أصلهم ونشأتهم . | ١٢٢ |
| صفاتهم : | ١٢٦ |
| ١ - الطعن والتضليل . | ١٢٧ |
| ٢ - سوء الظن . | ١٢٨ |
| ٣ - المبالغة في العبادة . | ١٣١ |
| ٤ - الشدة على المسلمين . | ١٣٤ |
| ٥ - قلة الفقه . | ١٣٩ |
| ٦ - حدائثة السن وسفاهة الحلم . | ١٤٤ |
| <u>الفصل السادس : الشيعة :</u> | ١٥١ |
| الشيعة لغة . | ١٥٣ |
| الشيعة اصطلاحا . | ١٥٤ |
| جماع قولهم . | ١٥٥ |
| فرقهم ، أكبر فرقهم . | ١٥٦ |
| ظهور التشيع وتطوره . | ١٥٧ |
| مظاهر غلوهم : | ١٦٣ |
| أولا : اعتقاد عصمة الأئمة . | ١٦٣ |
| ثانيا : تأليه الأئمة . | ١٦٥ |
| ثالثا : عبادة أصحاب القبور . | ١٦٦ |
| رابعا : التكفير . | ١٦٧ |

| | |
|---|-----|
| الفصل السابع : <u>الصوفية</u> : | ١٧٠ |
| نشأة الصوفية وسبب التسمية . | ١٧١ |
| التنازع في الصوفية والتصوف . | ١٧٣ |
| انحراف التصوف . | ١٧٥ |
| مظاهر الغلو في التصوف . | ١٨١ |
| أولا : الغلو في الصالحين . | ١٨٢ |
| ثانيا : الغلو في الزهد في الدنيا . | ١٩٣ |
| . معنى الزهد . | ٢٠١ |
| . ثالثا : الغلو في العبادة . | ٢٠٢ |
| . العبرة بالمعاني لا اللباني . | ٢٠٣ |
| <u>الباب الثاني : مظاهر الغلو في العصر الحديث :</u> | ٢٠٦ |
| . تمهيد ، نظرة على العصر الحديث . | ٢٠٧ |
| <u>الفصل الأول : تهويل الأمور</u> | ٢١٢ |
| . أسباب تهويل الأمور . | ٢١٥ |
| نموذج | ٢١٦ |
| . المناقشة . | ٢١٧ |
| نموذج آخر . | ٢٢٠ |
| <u>الفصل الثاني : الاستبداد بالرأى :</u> | ٢٢٣ |
| . أسباب الاستبداد بالرأى . | ٢٢٤ |
| . ماهو التعصب المذموم . | ٢٢٥ |
| . موقف الاسلام من الاستبداد بالرأى . | ٢٣٠ |
| . ايضاح مسألة : " الحق واحد لا يتعدد " . | ٢٣٧ |
| نماذج للتعصب وآثاره | ٢٤٢ |

| | |
|-----------------------------------|-----|
| الفصل الثالث : سوء الظن : | ٢٤٧ |
| . أسبابه ودوافعه . | ٢٤٩ |
| . نماذج ومناقشتها . | ٢٥١ |
| . النموذج الأول . | ٢٥١ |
| . النموذج الثاني . | ٢٥٢ |
| . النموذج الثالث . | ٢٥٤ |
| . النموذج الرابع . | ٢٥٥ |
| . النموذج الخامس . | ٢٦٠ |
| آثار سوء الظن وخطورته . | ٢٦١ |
| . موقف الاسلام . | ٢٦٢ |
| . العلاج . | ٢٦٣ |
| | |
| الفصل الرابع : الطعن في العلماء : | ٢٦٥ |
| . أسباب حطة الطعن . | ٢٦٨ |
| . نماذج ومناقشتها . | ٢٧١ |
| - الطعن في الامام أبي حنيفة . | ٢٧١ |
| - نموذج آخر . | ٢٧٧ |
| - نموذج آخر . | ٢٧٩ |
| - نموذج آخر . | ٢٨٠ |
| قواعد تعصم من الشطط . | ٢٨١ |
| وفي النهاية لنا كلمة . | ٢٨٥ |
| | |
| الفصل الخامس : الشدة والعنف : | ٢٨٦ |
| . أسباب العنف . | ٢٨٨ |
| . نماذج ومناقشتها . | ٢٩١ |
| . موقف الاسلام . | ٢٩٥ |

الفصل السادس : التعسير ٢٩٨

| | |
|-------------------|-----|
| أسباب التعسير . | ٣٠٠ |
| نماذج ومناقشتها . | ٣٠١ |
| أولا : | ٣٠١ |
| ثانيا : | ٣٠٣ |
| ثالثا : | ٣٠٩ |
| رابعا : | ٣١٢ |
| موقف الاسلام . | ٣١٣ |

الفصل السابع : التكفير ٣١٦

| | |
|--|-----|
| موقف الاسلام من التكفير . | ٣١٨ |
| نشأة فكر التكفير وانتشاره . | ٣٢٢ |
| نموذج | ٣٢٥ |
| نموذج آخر | ٣٢٨ |
| قواعد هامة ينبغي مراعاتها . | ٣٢٩ |
| القاعدة الأولى : الذنوب ، كبائر ، وصفائر . | ٣٢٩ |
| القاعدة الثانية : الكفر نوعان : أكبر وأصغر . | ٣٣٥ |
| القاعدة الثالثة : تفاوت البدع . | ٣٣١ |
| القاعدة الرابعة : للتكفير شروط وموانع . | ٣٣٣ |
| أ - شروط التكفير . | ٣٣٤ |
| (١) العلم . | ٣٣٤ |
| (٢) العمد . | ٣٣٨ |
| (٣) الاختيار والقدرة . | ٣٤٣ |
| ب - موانع التكفير . | ٣٥٠ |
| (١) التوبة . | ٣٥١ |
| (٢) الاستغفار . | ٣٥١ |
| (٣) الحسنات الماحية . | ٣٥٢ |
| (٤) دعاة المؤمنين للمؤمن . | ٣٥٢ |

| | |
|---|-----|
| (٥) ما يعمل للميت من أعمال البر. | ٣٥٣ |
| (٦) شفاعة النبي وغيره . | ٣٥٣ |
| (٧) المصائب . | ٣٥٣ |
| (٨) فتنة القبر . | ٣٥٤ |
| (٩) أهوال يوم القيامة . | ٣٥٤ |
| (١٠) رحمة الله وعفوه | ٣٥٤ |
| القاعدة الخامسة : لا يلزم في القتال أن يكون المقاتل كافراً . | ٣٥٥ |

| | |
|--|-----|
| معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر | ٣٦٠ |
| <u>الباب الثالث : أسباب الغلو في العصر الحديث وآثاره</u> | ٣٦٦ |

| | |
|---|-----|
| <u>الفصل الاول : الاسباب السياسية</u> | ٣٦٨ |
| <u>الفصل الثاني : الاسباب الاجتماعية .</u> | ٣٧٥ |
| <u>الفصل الثالث : الاسباب الفكرية .</u> | ٣٨٠ |
| (١) الاعراض عن العلماء . | ٣٨٣ |
| نتائج الاعراض . | ٣٨٤ |
| مناقشة هذا الموقف . | ٣٨٥ |
| (٢) التفقه من الكتب بدون معلم . | ٣٨٧ |
| أسباب ذلك : | ٣٨٨ |
| ١ - الاعراض عن العلماء . | |
| ٢ - الغلو في ذم التقليد . | |
| ٣ - التطبيق الخاطيء لكلمات صدق . | ٣٩١ |
| أ - التقليد مذموم . | ٣٩٢ |
| ب - هم رجال ونحن رجال . | ٣٩٣ |
| ج - منهج الصحابة التلقى المباشر من القرآن والسنه ؛ | ٣٩٥ |
| آثار التفقه بدون معلم . | ٣٩٩ |
| موقف الاسلام من هذا المنهج . | ٤٠٠ |

| | |
|---|-----|
| ٣ - التباس المفاهيم . | ٤٠٤ |
| أسباب الالتباس . | ٤٠٥ |
| نماذج ومناقشتها . | ٤٠٧ |
| ١ - التباس مفهوم الجهمية | ٤٠٧ |
| ٢ - الخلط بين الحكم على معين والحكم العام . | ٤١٠ |
| - التباس مفهوم الجاهلية . | ٤١٣ |
| العلاج | ٤١٥ |
| <u>الفصل الرابع : الاسباب النفسية</u> | ٤١٨ |
| <u>البحث الاول : العجلة .</u> | ٤٢٠ |
| دوافع العجلة . | ٤٢٢ |
| العجلة في الاصلاح . | ٤٢٣ |
| موقف الاسلام من العجلة . | ٤٢٥ |
| <u>البحث الثاني : الاستعلاء . بالطاعة</u> | ٤٣٣ |
| موقف الاسلام من الاستعلاء . | ٤٣٥ |
| <u>البحث الثالث : الهوى</u> | ٤٤١ |
| مقاييس الهوى . | ٤٤٣ |
| علاج الهوى . | ٤٤٨ |
| <u>البحث الرابع : ردود فعل المعن</u> | ٤٥١ |
| <u>الفصل الخامس : آثار الغلو وخطورته</u> | ٤٥٣ |
| أولا : على الفلاة . | ٤٥٥ |
| ١ - الهلاك . | ٤٥٥ |
| ٢ - التفريط في حقوق أخرى . | ٤٥٧ |
| ٣ - الانقطاع عن العمل وكراهيته . | ٤٦٠ |
| ٤ - التعرض للمعن والافتتان . | ٤٦٢ |
| ثانيا : آثاره على المجتمع | ٤٦٤ |
| ١ - تحطيم المجتمع وتصدية . | ٤٦٤ |
| ٢ - بث الرعب والارهاب . | ٤٦٤ |

| | |
|--|-----|
| ثالثا : آثاره على الدعوة . | ٤٦٨ |
| ١ - التنفير من الدعوة . | ٤٦٨ |
| ٢ - ضرب الحركة الاسلامية وتشويه صورتها . | ٤٧٠ |
| <u>الباب الرابع : العلاج :</u> | ٤٧٢ |
| <u>الفصل الاول : المسئولون عن العلاج</u> | ٤٧٣ |
| المبحث الاول : الاسرة . | ٤٧٦ |
| المبحث الثاني : المسجد . | ٤٧٨ |
| المبحث الثالث : الاندية ومراكز الشباب . | ٤٨٠ |
| المبحث الرابع : المؤسسات التعليمية . | ٤٨٢ |
| المبحث الخامس : العلماء . | ٤٨٤ |
| المبحث السادس : أولوالامر . | ٤٨٦ |
| المبحث السابع : الاعلام . | ٤٨٩ |
| المبحث الثامن : صفات من يتصدى للعلاج . | ٨٩٢ |
| ١ - الاخلاص . | ٨٩٢ |
| ٢ - الصبر وسعة الصدر . | ٨٩٣ |
| ٣ - الحلم والأناة والرفق . | ٤٩٥ |
| ٤ - التعامل بروح الأبوة والأخوة . | ٤٩٧ |
| ٥ - المعاشية للأخذات . | ٤٩٨ |
| ٦ - اقرار الحق . | ٤٩٩ |
| ٧ - الثقة . | ٥٠٠ |
| <u>الفصل الثاني : وسائل العلاج :</u> | ٥٠١ |
| <u>المبحث الاول : الاساليب الناجحة .</u> | ٥٠٣ |
| أولا : الحوار الحر البناء . | ٥٠٤ |
| نماذج من مواقف السلف . | ٥٠٥ |
| ١ - مناظرة ابن عباس للخوارج . | |
| تعليق | ٥٠٩ |
| ٢ - مناظرة عمر بن عبدالعزيز للخوارج . | ٥١١ |

| | |
|---|-----|
| تعليق . | ٥١٥ |
| نموذج من مواقف علماء العصر الحديث | ٥١٦ |
| ثانيا : ازالة الشكايه | ٥١٧ |
| <u>المبحث الثاني : أساليب غير ناجحه</u> | ٥٢٠ |
| ١ - الشدة والعنف . | ٥٢٠ |
| ٢ - السخريه . | ٥٢١ |
| <u>الفصل الثالث : واجب المصابين</u> | ٥٢٣ |
| أولا : دراسة أخلاق وسير العلماء . | ٥٢٥ |
| ثانيا : دراسة الفقه المقارن . | ٥٢٨ |
| ثالثا : فقه أدب الاختلاف . | ٥٣٠ |
| رابعا : تقدير الاخوة وحقوقها . | ٥٣٣ |
| خامسا : معرفة تاريخ الفرق . | ٥٣٨ |
| سادسا : فقه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . | ٥٤٠ |
| مراتبه | ٥٤١ |
| قواعد هامه في الانكار . | ٥٤٤ |
| ١ - لا انكار حيث تكون المفسده أكثر . | ٥٤٤ |
| ٢ - لا انكار في المجتهد فيه . | ٥٤٤ |
| ٣ - ترك التجسس . | ٥٤٥ |
| ٤ - التثبيت . | ٥٤٦ |
| ٥ - اختيار الوقت المناسب . | ٥٤٦ |
| ٦ - الاسرار بالنصح . | ٥٤٧ |
| ٧ - خلط بعض ما تشتهيئه الأنفس مع أمور الآخره . | ٥٤٨ |
| ٨ - ترك الاستغزاز واستخدام الحجة . | ٥٤٩ |
| ٩ - الانكار بالحسنى . | ٥٥٠ |
| طرائق الانكار . | ٥٥٣ |
| صفات المحتسب . | ٥٥٥ |
| سابعا : التحلى بأداب الفتيا . | ٥٥٨ |
| ١ - الالمام بالكتاب والسنة وعلومها . | ٥٥٩ |